

فانتازيا يعربية

عودة الفلاشا العرب إلى الأوطان

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

محبي الدين صبحي



ومعرفتهم بواطن الأمور، فقد ذكر أحدهم لأخوته في العروبة أن الأمة العربية تقدم ربع ما يقدمه العالم الثالث من الأدمغة النازحة إلى العالم الأول، وقال: وأما الأخوة الفادة إن هذا وضع لا يحتمل، فهو تفریط بإفصيا العلمي التليد وحاضرنا العقلي المجيد ومستقبلنا الضفي العتيده .

وقد تبارى شعراء الأنظمة في نظم الأناشيد التي تثير نخوة المغترين العرب نحو أمتهم العظيمة ونجاء أوطانهم النافضة . وقالوا إن التضحية هي أساس النضجات وسنة من سنن الحياة، وإن من واجب المثقفين أن يضحوا لأن وعيهم يستوعب معنى التضحية . وقد رد أحد المغترين العرب عل قصيدة زجلية نظمها شاعر نظامي (أي ينتمي إلى نظام حاكم) فقال للمغرب: إتنا مستعدون للتضحية، ولكننا نريد أن تصرف أين ستدبب تضحياتنا ولصالح من . فصعدت له الأعلام الشريفة المناضلة لترد عليه وسكته، لكن حكمة الفادة المحذون أسكتت هذه الأعلام برسمه عين حين قالوا: إتنا في عهد ديمقراطي من حق المواطن فيه أن يطرح الأسئلة، ومن واجب المسؤولين أن يقيموا الأجابة ضمن حدود مسؤولياتهم القانونية . فخرجت الصحف والأذاعات تحمل أشادة الأعلام الشريفة بما يتحلى به الفادة العرب من ححي ونهى مع نقابة البصر ونفاذ البصيرة . وقالت الأعلام التي تكلم

■ فجسأه، زعق الاعلام العربي بكلمة واحدة: «عودة الأدمغة»، وتبارت الصحف مع اللجلات والتلفزيون مع الأذاعات في الحديث عن العبقرية العربية التي صادرها الغرب . والطاقتات البشرية الخالقة التي

غادرت أوطان العروبة إلى بلاد الغربة، بحثاً عن الكلا والمرعى تارة، وعن السلامة من لئى الوطن تارة أخرى، وفي تارات كثيرة طاب لها المقام في مجتمع الوفرة حيث يستطيع المواطن شراء كل حاجيات البيت بساعة واحدة، بدلاً من أن يقبض في الطابور ساعات لا يتخللها إلا اقتحام رجل غرابرات للصف، فيأخذ ما يريد ويمشي بسرعة لحاية النظام . ويمده ياقى الحزبي والعسكري، فإذا جاء دور المنتظرين كانت السلع قد نفذت .

بالطبع لم تذكر وسائل الاعلام العربية هذه الأسباب لثلاثيـه إلى سبعة الأنظمة العربية في الخارج . بل أشادت بحكمة الفادة العرب الذين تنهوا قبل فوات الأوان إلى هذه الكثرة القوية التي تدفع بالاختصاصيين العرب إلى هجر الأوطان نحو بلاد المعمران . وقد دفع الاهتمام بهذه المشكلة بعض القادة العرب إلى تسميتها باسمها الإنكليزي brain drain ونزوح الأدمغة، مما دل على سعة اطلاعهم



باسم الضمير وتقوى الله إن الديمقراطية العربية تفوق نظيرتها الأمريكية في أنها تصدر عن خشية الغداة من الله في أمور الشعب، وأنها تنوعى التضحية بالصالح الخاصة على مذهب المصلحة القومية. وأعلنت شركات الطيران العربية أنها نظمت رحلات مجانية للمغتربين وعائلاتهم من يهتمسون العودة إلى أوطانهم. وتبنات المغنيات والراقصات في البيات في المطارات لتقديم عروض يستقبلن بها العائدين والعائدات، ولكن من الكرم بحيث يعطون عناوين وأرقام المرافقين للمساكين الأغنياء من العائدين إلى أرض الوطن. كذلك كان الموظفون والمسؤولون والخزيريون ورجال الهيئات الخائلية يبدون اعتياداً خاصاً بالعائدات والفتافق التي تتويين ريشاً تحب الحكومة بيوتاً للعائدين، بعد أن وعدهم بتسهيلات في الجوازات وفي طرق دفع أقساط البيوت وإنجاء وظائف.

كان رياض عملاً بارزاً في الغزاة الفلكية، فعينه أستاذ فزياء في الجامعة. حين لم يجد تسكواً ولا أدوات رصد أو تصوير أو تحليل سألم: ماذا أفعل هنا؟ أجابه: ألف كتاباً بسيطاً للطلاب والقبض ثمة ما شئت. بهذه الطريقة أصبح عالم الذرة معلماً والباحث النووي أستاذ ديانة والروائي أستاذ أدب. وتوزع باقي الاختصاصيين على بقية وزارات الدول العربية، فحدثت رجة في الدوائر الحكومية: خاف الموظفون الكبار على مناصبهم من مزاحمين جدد أكثر كفاءة وأقل مكانة، وخاف الخريجون على العوائد التي يدرها عليهم تدخلهم في الإدارات وقبض الرشاوى وديلات المسمرة. بعض للمغربين كانوا يعلمون بأن كبار أصحاب السلطة وأبنائهم يعملون ويصرون كأب وكلاء للشركات العارية للنفارت، أكثر مما يعملون ويؤمنون وشريعتهم تقدم بعض المغتربين خيريهم في الاتصالات والمعاملات للإقرار من أبناء المسؤولين الذين ورثوا الدولة في حياة آبائهم. فأنشأوا دولة فوق الدستور والقانون وسلطة الدولة الأصلية. أما البعض الآخر فقد نمر وسكت على مفض. لكن ريفاً ناشطاً من المغتربين وبمجموعة من السكان الأصليين ألفوا حزباً باسم «التطهر» وأعلنوا دون وجل أنهم عازمون على تطهير جهاز الدولة من أمراء الفساد والورثة. وسرعان ما انتشرت الفكرة في بقية البلدان العربية وظهرت أحزاب باسم «استعادة النظام» و«العودة إلى القانون» و«حقوق المواطن»... الخ.

■

كان مصطفى في العقد السادس من عمره، قد عاد إلى وطنه ليتقاعد بعد أن أمّن نفسه دخلاً من عمله في أميركا لمدة ثلاثين عاماً. كان يعيش وحده، تزود عجوز جارية من عمره، فترتب بينه وتعد له الطعام وتغسل الثياب، وتنسج المواد الغذائية والمنزلية، وهي أشق المهيات على المواطن في دولة تتولى احتكار المواد من البقدونس إلى شركات الطيران. وتوزع احتكاراتها على المقربين من أمراء السلطة وأعوامهم بحيث لا يصل إلى المواطن شيء بدون واسطة أو رشوة، اعتماداً على إذلال الناس وتبذير الدولة والمواطن. أما في الدول التي لم تنتعج بتمعة الاحتكارات الحكومية، فإن المواطنين يرون كل شيء متوافراً في اتجاهات الأسواق الكبرى (السوبرماركت) ولكن جيوشهم

خالوة بعد سلسلة انهيارات مالية وقعت في المصارف العربية في بلاد الغرب، أودت بالودائع التي نجت من التبذير والحروب الخفاء والأفلام الماجرة، بتكاليفها الباهظة في الصحف والرحلات والأفادعات المربة والسومعة.

كان مصطفى على علم بكل هذا، لكنه بحكم تخصصه في ميزانيات الدول في العالم الثالث لاحظ أن هذه الدول تنفق أكثر من ٧٠٪ من دخلها على شؤون الدفاع، دون أن تكون قادرة حقاً على الدفاع عن نفسها. لكنه حين استقصى التفاصيل وجد أن مسائل الجيش والدفاع ستارة كبرى تخفي وراءها كل أجهزة القمع: إن ثلثي ميزانيات الدفاع في العالم الثالث تصرف على المخابرات والحرس الخاص. لهذا يظل الجيش على الدوام غير مستعد للقتال، في حين أن الأجهزة الخاصة هي التي تنتعج بالوضع الأفضل والأسلحة الأكثر تفكاً ووسائل الاتصال والاستعلامات الأكثر تطوراً والصفهات والرواتب والامتيازات التي تخلف منها طبقة صاعدة موهوبة.

كتب مصطفى العالي سلسلة مقالات عرض فيها مقارنة الأرقام بين ما تنفق على الجيش وبين ما تنفق على الجيش الخاصة وأجهزة الأمن الخاصة في العالم الثالث، ثم أضاف على التحليلات الرقمية استخلاصات استنتاجية مفادها أن هذا الوضع بالذات يشكل خطراً على كيان الدولة والمجتمع، إذ أن كبار الضباط يشكلون مع كبار السياسيين كتلة واحدة هي البنية الأساسية في تكوين النظام، لكن القوتين تحتان عن الثورة، وطريقها يمر عبرة فتحة محزنة. فلذا تم التهام القنات الثلاث قهر المجتمع المدني وتفككت الدولة. وقد شرح مصطفى الخطر تفكك الدولة بأنه يحدث عندما تنشأ مراكز قوى من خلال الصراع على السلطة، فتقسم السلطة إلى أقطاعات مستقل بعضها عن بعض سواء تناحرت أم تناصرت. ويكون هذا بدء تفكك الدولة. وتبين تجربة جمال عبدالناصر أن نظام التصيين يرضي رغباً مشاركة في السلطة. والثاني أن هذا التصيين يرفع عن كامل الزعيم عبء دفاع عن قطاعات الدولة، فقد ضمن الجيش لعبد الحكيم عامر، وضمن المخابرات لصالح نصر، وضمن قطاع الزراعة لزعيم، وقطاع الاقتصاد لزعيم، وقطاع الاعلام لزعيم، ويجلس الشعب والملافت الداخلية لزعيم آخر كما هو أنور السادات. وهكذا. فلما غاب الرئيس جمال عبدالناصر تفرقت مراكز القوى واجل النظام.

أما تجربة لبنان فبين العكس: إذ لم يسكن إنهاء الحرب الأهلية إلا بدعوة أمراء الحرب إلى اقسام السلطة. وفي الخاتين يبقى رئيس الدولة عاجزاً عن إدارة دفنها وجعلها بتفاصيل ما يدور فيها، وظل كيان الدولة معرضاً للفتك، ليس بسبب الصراع بين مراكز القوى فقط، بل أن تفاهما أخطر من تصارعها، لأن الدولة عندئذ تصبح بؤرة للفساد، فيتناسم مثلاً تهريب الدخان مسؤول وتهريب المواد الغذائية مسؤول آخر وتهريب المواد النسيجية والملابس المجاهزة مسؤول. وهكذا في كل قطاع بحيث تخلق خزينة الدولة من عائدات الجوازات وتصنع السوق السوداء أكثر وأعمق ومن السوق الأهلية. انتشرت كتابات مصطفى العالي أولاً في بلد، لكن المغتربين

الهجرة ...

تقريظ

بماضينا التليد،

وحاضرنا

العقلي المجيد،

ومستقبلنا

التقني العتيق!



الأمن العربية لمراقبة تحركات مصطفى العاني وجماعته، وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا مجموعة من المثقفين المشتهين الذين لا تربطهم رابطة تنظيمية وإن كانوا يعتنقون الأفكار نفسها. وقد سجلت تقارير الأجهزة للملاحظات وضحت إبقاء العناصر الشاذة تحت المراقبة. كان أصحاب مراكز القوى والثقل من قوتهم فلم يعاؤوا بمصطفى العاني وكتباته. لكن ابتاعهم وزبائنهم رأوا فيها خطر يتهددهم، فتداولوا للاجتماع سرّاً في سوريا حيث تداولوا المسألة فقالوا إن أبادنا ضحوا بحياتهم في خدمة هذه الشعوب، ونحن وضعتنا دماً على أكفنا لصيانة ثروات هذا الوطن، أن تصور نضالنا على أنه سلب ونهب فهذا كذب على الله والتاريخ. وكان بينهم فتية أفتى بجواز تأليب أصحاب الألسنة الطويلة وسيفك دمهم إن لم ينتهوا عن افتراءاتهم. كذلك كان بينهم فيلسوف قال إن الحقبة التاريخية تجعل قيام مراكز القوى ضرورة لتقدم المجتمع وانتقاله من المرحلة الأنانية إلى المرحلة الاستيعابية تحت دكتاتورية السيد العادل وأخوانه الأشداء الذين يحرّمون المراحل اللطيفة بالمجتمع إلى مرحلة الحرية المطلقة التي لا تتبلج إلا من مرحلة السبوتية المطلقة. واتفق الفيلسوف التقدمي والفتية المستنير على أن فرض سياسة شد الأزمات على البطون يصون أخلاق الشعب من التحلل والبوذية اللتين ترافقان الرخاء والرفاه. كذلك اتفقا على أن الحرية الوجهة تشد الشعب إلى ثرات أسلافه ونقته من الضياع في متاهات المذاهب الفاسدة المستوردة. أما الألقاب التي تملك فقد آاء الله عليها خيرات الشعب بجهداتها في تنمية موارد البلاد وإحياء بيضة الدين. فلولاً هذه الألقاب المتمكنة في ثروات الأقطار العربية فمن أين لأمة العربية أن تتبوأ اليوم هذه الملكية التي لم تلتها أبداً في كل تاريخ المديد؟

عاد الأبناء من سوريا إلى أقطارهم وقد عقدوا العزم على إعادة كل من يترسّ طريقتهم في وراثة مراكز أبائهم، وبدأت بعض حوادث القتل والأغتيال تتناول بعض أصحاب الألقاب العربية والألسنة الطويلة. فبعضهم خرج من بيته ولم يعد. ومجلدت جنته على مزلة. وجثة أخرى شوهدت مخترقة وقد كومت أشلائها أمام باب دارها. وتكررت حوادث المذهب بالسيارات التي تضرب وتترسب، كذلك تسلبت عناصر إلى للقاهي والطعام فتقتل الشجار وتورث بأصحاب الآراء المدمامة فتسكر جماعهم أو فقررت ظهورهم أو ركهم، بحيث تعرق الصباب علة دائمة. وكان التحقيق يسجل أنها حوادث فردية، ولكن أعداء الفساد كانوا يرون فيها جرائم سياسية متعمدة بهدف تصفيتهن. فأصدروا بيانات يتدوّن فيها بالعناصر المجهولة - المعلومه، وحاولوا قلب الحقائق إلى مقاعرات، فتدخلت السلطات لتع الاجتماع بحكم قانون الطوارئ الذي لا يزول ولا يحول ولا تدركه العقول. فوقع للذلة كل تصرف ويحذر المواطن من كل حق. لكن العائلتين من المهاجر اتصلا بجمعيات حقوق الانسان وقدموا الصور والتواريخ وأسَاء الضحايا وكتباياتهم وعظيهم، فاقصّل هؤلاء الممارسين الأجانب في الأقطار العربية وكلفهم بالنطق من صفة المدمامة مما تسبب في طرد لبعض رؤسوة البعض، فجماعت تقاريرهم لمنسبة لا يستغاد منها إلا أن العائلتين يترعضون أكثر من غيرهم لحوادث استفزازية.

الغيورين في الأقطار العربية الأخرى عملوا على إعادة نشرها في بلدانهم، وتناولوها بالدرس والتعليق والتطوير، فذكر بعضهم أن ما يحدث في المطارات العربية شيء يندى له الجبين، وإن مرقني التفتيش يقاسمون المواطنين أصمتهم، وذكر آخر أن إنشاء جسر معلق في إحدى المدن العربية كلف ستة أمثال قيمته لأن الجسر كان كل مرة يهاير لكل يقضي أمير الحمتة اللدنية - كما كان يسمى - عمولة جديدة من الشركات الأجنبية ويقطع من رواتب المهتدين. وفي قطر آخر نشر أحدهم وثائق تبين أن المساعدات الغذائية التي كانت تقدمها السوق الأوروبية لقطر والبحمان، قد استولى عليها أمير المواد الغذائية وباعها في السوق بأسعار مرتفعة بعد أن منع المصانع المحلية من تسويق انتاجها في البلد لمدة شهر. بل بلغت الروامة للموظفين الضغار انهم وضعوا تعريفة لكل معاملة فإذا لم يقضوا مرقوها وقالوا إنها ضاعت. أما قطاعات المصارف والعملة الفاترة فقد تسلط عليها أبناء السؤوليين في الجيش والمخابرات، فكانوا في كل يوم يجولون على فروع المصارف ويصادرون ما يحوزونها ثم يحويرونها ثم يبيعونها ما يتحصل لديهم في اسبوع، ويوفدون واحداً منهم ليحمله إلى خبير في المخابرات المالية في مراكز المال المحلية، ولما استمروا الأرباح وقضى القوائد، عمدوا إلى تأخير رواتب الموظفين لمدة أشهر، كذلك كان بعضهم يشتري طابقاً في كل عارة في أحسن الشوارع وأغناها، ثم يسلب زبائنه على الجيران ونسائهم وأطفالهم حتى يصعبوا ويغفلوا فيعرضوا المقار للبيح فلا يزال أحد على الشراء بناء على قاعدة الجار قبل الدار، فتضخم الزبائنة ويشتروا المقار ويحسب الأثمن لأصنامهم وأبناء أسلافهم.

كان حاكم البلاد يقرأ مقالات مصطفى العاني ببلغة خفية، فقد ورت عن أبيه وحده بطاقة فاسدة لم يجرؤ على الدخول معها في معركة مكشوفة. كانت البطانة مكونة من عدة أسر توالف الحكومة والمعارضة. فكان كل نشاط سياسي في البلاد يخضع لمراقبتها. وكانت الجهات الدراسية إلى العالم المتقدم حكرًا على أبناء هذه البطانة. فكان منهم السياسيون والعسكريون والفتيون والصحافيون، ومدراء أجهزة الاعلام ومدراء الجامعات والمعاهد التقنية، فضلاً عن التجارة والاقتصاد.

وكان الحاكم يعلم أن الضدام بينه وبينهم سيوحدهم ضده، فبدأ هو حريص على أن يلعب دور الحكم ليصنعهم النظام الشرعي الذي هم بحاجة إليه. ولكن صدف أن بعض دعاة الإصلاح في أحد الأقطار دعوا مصطفى العاني إلى سلسلة محاضرات في الفكر فذهب مصطفى وحضر سفير دولته المحاضرة، فسمع رئيس النادي يقدم مصطفى بقوله: «إن أوجه الفساد التي كشف عنها الدكتور مصطفى العاني لا تقتصر على بلده بل هي مشتركة بين الأقطار العربية، وينبغي معاربتها على أساس قومي إذ لا يمكن استئصالها من قطر وإبائها في قطر آخر». فرفع السفير تقريراً يقول فيه إن مصطفى يؤسس حركة هدامة تعمل على قلب الأوضاع في البلاد العربية بواسطة فروع لها تنتشر في كل الأقطار. وقال السفير إن التجارب تبين أن أية دعوة تنطلق من قطر قابلة للانتشار في بقية الأقطار، كما حدث للحركات القومية والأصولية. وعلى هذا الأساس بدأت الاتصالات بين أجهزة



كان كل حاكم عربي لا ينأى عنه قبل أن يقرأ التقرير الأمني الداخلي. فهم يعلمون إنه إذا كانوا عاجزين عن حماية أمنهم الخارجي من العدوان فإن الأمن الداخلي مسألة حياة أو موت بالنسبة إليهم. وقد أحسوا منذ البداية بالخطر ضد المعتادين فظفروا أن الأمر يتعلق بنظام المقاسمة. فقد كان رجال الأمن يقاسمون الأغنياء من المعتادين أموالهم بأن يجتزمهم في السجن دون دواء ورعاية إلى أن يكتبوا لهم صكوكاً نصف دخلهم الشهري. وكان الحكام يفضون النظر من منطلق دخلهم ويتعواء ولكن على ألا يصل الأمر إلى القتل. وذلك لكي يظل للقتل هيبة الخاصة بين الطبقات، فلما توالى حوادث القتل عرف الحكام أن أبناء المسؤولين وراء هذه التعديلات.

على أن سير الأمور اتخذ مساراً مختلفاً حين كان حاكم البلاد في رحلة صيد صحبه فيها السفراء والأعيان، فلذا بالسفير الأمريكي يتنحى بالحاكم جانباً ويؤامه:

- يا صاحب المقاسمة، إن حوادث الاختيال في بلادكم دفعت بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى التنازل عن سببها، ولا سيما أن بعض المغتربين المعتادين هم رعية أميركية.

فأجاب الحاكم بسرعة بدعية:

- لا تدخل حكومتنا في ذلك. فالأميركان يقتلون الأميركيين على أراضنا!

وذلك لأن أبناء المسؤولين درسوا في الجامعات الأميركية والبريطانية والفرنسية فحصل كل منهم على جنسية البلد الذي درس فيه. بحيث صارت عاصمة هؤلاء الشبان الطائشين في أوطانهم تثير مشكلة دولية. وتضيق المجال لم كي يهربوا من جرائمهم أو تدخل سفارات أجنبية لتحمي رعاياها. وقد جاء جواب الحاكم على سؤال السفير طارفاً للمشكلة برمتها.

على أن ذلك جمع الحكام مراكز القوى وأنهم على القتلان الأمني والحليف الواقع على المعتادين. وقال لهم إننا نحن دعوتناهم ليعمروا بلادنا لا لتخرب بيوتهم. وقد آتب الأياد أبنائهم فقلن الأبناء أن مصطفى العاني قد تنظم إلى الحكام ففروا تذكاه، بعد أن اتفقوا على وقف الاختيالات.

دخل مصطفى العاني إلى بيته في الساعة العاشرة مساء، ففوجيء بوجود قطعة مذبوحة على سجادة الصالون. كذلك في اليوم التالي لم تأت قرينه ولا في اليوم الثالث أو الرابع. فذهب يسأل عنها فلما بلغه جيرانها أنها خرجت إلى بيته لم تعد. فلما قفل راجعاً بسيارته لاحته سيارة وصدمت. وعندما أخذته الاسعاف إلى المستشفى ترك يترف حتى اغشى عليه مع أن أصابته خفيفة. وما أن عاد إلى البيت حتى وجد قرينه نيكى. فقد كان البيت مذهباً، أي خالياً من أي أثاث وكانت المرأة تقعد الأرض وتندب، فلما سأله عن غيابها شرحت له أنها ركبته سيارة أجرة وأعطت السائق العنوان فالتحق بها إلى منطقة لا تعرفها واستل موسمها وأصرها بالدخول إلى بيت هناك، مله بالقدار، وقال لها: إن نخرجي حتى تنفضي. وأقام معها سائلاً عن ثروة مصطفى العاني وعمله وأصدقائه في المهجر، ليعرف أن كان بينهم سيايون نافذون قادرين على إغاثه إذا أصيب أو اعتقل. فلما سألته

عن سبب اهتنامه بمصطفى قال لها إنه جاسوس يشكل خطراً على النظام. وإته سبيلتي عقاباً يجعله عيرة لغيره.

ذهب مصطفى العاني إلى غفر أخي ليبلغ عن السرقة، فسأله رئيس المحضر:

- من يدخل إلى البيت في غيابك عادة؟
- لا أحد سوى امرأة قريبة لي تخدمني. ولا أشك بأمانتها مطلقاً.
- وأين كانت حين وقعت السرقة؟
- كانت غفوفة. خطفتها عصابة لمدة ثلاثة أيام.
- هذه جريمة أخرى تستوجب التحقيق. أين المرأة الآن؟
- في البيت.

فقال للمحضرين:

- انزعابا معي واحضراها.

بعد استجوابها قرر رئيس المحضر حجزها على ذمة التحقيق في جريمة السرقة والاختطاف، فجن جنون مصطفى وخرج يبحث عن كل من يعرف يستعين به على تخليص المرأة، وعمل معاترة في استعراج كل أرواقه الثبوتية من جديد: هيته، جواز سفره، بظافته المصرية، أوراق الطابور. وعشرات الأوراق الأخرى، فلذا به يجد أن جميع زملائه من المعتادين وكل من يعرفهم من المقيمين الذين انتصروا إلى عودته أو ساندوه بكتاباتهم، قد حصل لهم شيء يشابه ما حصل له. ووجد أن اللذين نجوا أو بقي معهم جواز سفره هرعوا إلى أول طائرة ليمودوا من حيث أتوا تاركين وراءهم كل شيء جلبوه معهم إلى الوطن من ثياب أو أثاث أو أموال أو مفاتيح. كان هم الواحد منهم أن يتجسس بطلده وأولاده من هذا الجحيم الذي تورط في العودة إليه. بما البقية فقد دعوا كل ما عايناه منهم ليحطوا بسرعة على جوازات السفر ليخبروا من الوطن العربي الكبر الرحيد الديموقراطي الحر للمستقل الذي التقى الأمن الثاني المسائل المتلورة.

ما أن بدأت الهجرة المكثفة من قبل المعتادين الذين اتجهوا من جديد إلى أي بلد يعطيهم تأشيرة دخول بحق العمل، حتى اتبرت الصحف المحلية تنفض تحاذل هؤلاء المفسودين على الرفاهية الغربية والخارجين على التقاليد العربية والتشكرك لآسائهم والتعظيم من مواقفهم في المصانع والجامعات والعمال، فخابت آمال الوطن فيهم وغشوا الأمانة التي وضعها في عنقهم. كما أن بعض الصحف بيّنت أن حتى الهجرة اجتاحت بعض السكان الأصليين لولا أن السفارات الأجنبية صيّقت تطلق الهجرة وأجبرت الناس أن يبقوا في أوطانهم.

وأما مصطفى العاني، فكان من أموره، أن كاتب كل معنني دعوة التطهير، ليأتوه من مختلف البلاد العربية ويصنعوا في بيته معالين اضراً مفتوحاً عن الطعام، إلى أن يتم التحقيق في كل البلاد العربية عن كل الجرائم المرتكبة. ولكن لم يلب هذه الدعوة سوى أربعة أشخاص وصلوا إلى مطار القنطر في يوم واحد وانجهم إلى منزل مصطفى فوجدوه مقلداً، وتلفونه معطلاً، وعلموا من لجيران أنهم لم يروه يخرج منذ أيام، فلما اقتحموا الباب وجدوه مطروحاً على الأرض غائياً عن الوعي. كان مصاباً بفالج نصفي يمنعه من الحركة والكلام وكان حوله عدد كبير من القتل المذبوحة والقتل والجردان تتعذى بجثة الحية. إلى الميتة. □

أنبرت الصحف تنفض تحاذل المفسودين على الرفاهية الغربية، الخارجين على التقاليد العربية

هذا العالم لولاك...



ARCHIVE

أنسى الحاج

والأنكار... لك في السقوط عصمة طبيعية هي أشبه بالبنسكة المخلوقة. هالة تصاحبك حتى في العمهر.

سأعني أن أنا لم أميز بين فراغك وامتلاكك أو بين زخرفك وجوهرك. لا أميز لأنني أرفض الواحد دون الآخر. احلدي الكتابات تتحسر، على لسان بطل روايتها التاريخية، كيف أن ذلك الملك لم يعرف من النساء في البلاط غير التهافتات عليه بعبطورهن وأزيائهن وبهارج جامهن... وتقول بلسانه انه كان يؤثر أن يشاهد روح المرأة يذلل جسدها.

سأعني أيتها المرأة إن أنا رفضت هذا المنطق الأنثوي في ظاهره، المعادي للمرأة في حقيقته، لأنه منطق أنثوي متجرف متطلع الى تقليد الرجل، حاسد اياه على... على ماذا؟ منطق متزوع الجنس، معاق الخيال، يكره الأنوثة - كما يتصورها الرجل - لا حباً بل المرأة بل كرهاً بالرجل وبالمراة، كرهاً بجاذبية الفرق الشكلي والجالي والمظهري. منطق يريد القضاء على هذه الجاذبية بحجة أنها سطحية سخيفة، لا تحترم

■... وهل يؤلف سرّك إلا المزيج من التينة والجوهر؟ من الحرقاء واليومى؟

وهل سرّك إلا الخيالي، أيضاً، هذا الخيال الذي أنوسل اليك أن لا تكذّبه، أن لا تغضي منه فتسردى عليه وتحطمي، كما حصل أحياناً، بُعدك الأجل، صورتك التي هي لا الوهيتك فحسب بل كذلك بشريتك الحق، في صميم ما يشاقها وما يحتاج اليها الجسد والروح معاً؟

تقوم الحقائق وتزول وأنت ثابتة. تمضي الآمال ولا يمضي الحلم بك. تمضين أنت وتسقطين، تبشعين وتشيعين وتؤوين، ولا يسقط الحلم بك. ما الذي يؤلف سرّك غير تلاقي روحك وجسدك عند تقاطع العابر والأبدى؟

أستسلم فتكونين استلامى، وأكف عن الاستسلام فتكونين نهوضي.

ومهما تبدلت بواسطتك، ولا مرة تبغين في الرخص مبالغ رخص القيم الأخرى، مبالغ رخص الرجال

متى لم أشعر بالرغبة في الكتابة عنك؟
لم أحب إلا ما فيه امرأة.

الوطن، الأرض، الشعر، الفنون، الدين... ما
أحببت من هذه إلا ما فيه امرأة.
والرجل أيضاً. الرجل الرقيق، الحساس،
الشفاف. لم أطمئن يوماً إلى الرجل الخالي من هذه
الصفات.

والمرأة، طبعاً. المرأة كما أفهمها: الجامعة بين سحر
الأنوثة - هذا السحر الذي يجب أن يظل خافياً على
علم الرجل - وقوة الطبيعة وهذوتها.

تقول: لا وجود للحب، أنت تحترقه.
وإذا؟

وهل أجل من اختراعاتنا؟

ما يستنبطه خيالي.
كتب أفضل، بيني وبينك، أن لا أدرك هذه
الحقيقة.

أو نصف، أو بعض الحقيقة.
فما أحل التصديق! النعمة أحياناً هي السداجة.
وفي كل ما يسعدنا شيء كثير من الوهم.
ولكن صار.

وهل أنت غير ما تتخيله أيضاً؟
لو أن جمال الممشوق لم يكن حقيقياً وأريد له أن
يصير حقيقياً، هل كان سيسلك أفضل من طريق
الخيال؟

ولو كان الله، مثلاً، لم يكن بموجود، فعلاً، هل
كان الخيال وحده يستطيع أن يخلقه من عدم؟

إذا نعم، فليكن.
الفرق الوحيد سيكون: عوض أن يكون الله قد
جاء قبلاً، نكون نحن قد جئنا قبله.

وهل أجل من اختراعاتنا؟! *

«روح» المرأة بل «تسلع» جسدها، وتجعلها «غرضاً
جنسياً».

ساعتني أبنتها المرأة أن أنا مجدّد فيك هذا الفرق
ورجوتك أن تحافظي عليه، وتوسّلت اليك أن تعودي
اليه وأن تمنّعي في تطويره. الفرق الشكلي والجمالي
والمظهري. فرق اللامساواة الشكلية. تكحلي
وتعطري، تزيّني وتزيّني، ظلي في حالة استحمام
وتبحّر، لا تلبسي السراويل المرعبة ولا عسحي
تدويراتك وجسماتك بالقمصان اللاشكّل لها. اجعلي
نفسك دائماً على أمة العشق. لا تصدقي أصوات
الاهمال والاستهتار. لا تصدقي دعاة التساهل مع
الجسد. لا تسترخي. هذا المبد كان منذ البدء أجل
المعابد ويجب أن يستمر أجل المعابد. لا يليق بالخور
بمكان كما يليق به. ولا للشك. ولا الفل.

الذين يقولون لك: «قلجورك لروحك لا
جسدك»، لا يريدون لك أن تحمي. انهم يشطرونك
شطرين ويباعدون بينك وبينك وبين العالم لا
فرق بين روحك وجسدك، لكن روحك تبدأ برهانها
من جسدك. كلما عشق جسدك قويت روحك. كلما
عشق جسدك ازدادت روحك. كلما عشق جسدك
اشتد تركيز العاشق على النظر الى عينيك. كلما ركّز
على عينيك انخطف الى روحك، اتعجن بروحك،
أصبح جزءاً من روحك. كلما عشق جسدك خفت
جسدك وحضرت روحك. كلما عشق جسدك أدى
الغاية التي من أجلها خلقه الله: أن يكون الوتر الذي
يوصل نحن الى النشوة، أي الى الاتحاد. والاتحاد هو
دائماً تذابوب الأرواح عبر أجسادها.

*
أنت صلّمة دمج الظلام بال نور
وقليل أو كثير من عدم بقليل أو كثير من الأبدية.

*
لا أعرف لماذا أكتب اليوم عنك. أي نهاية العصر؟
أهو الحرف من شيء؟ أي الحاجة الى غنّ؟ لكني

لماذا أظن أمشي نحوك حتى أصادفك؟

لماذا أمشي إليك عندما أصادفك؟

لأنك تملكين مفاتيحي .

نتالك مفاتيحن؟

ولكني لا أشعر، بنعمة الانخراط الباهر، إلا

بأنك أنت تملكين مفاتيحي ولو أضعتها .

وإن أنت لم تضيئها فسأضيئها أنا

معك .

فيك .

أو على دروب مغامرات أخرى .

الحياة، هذه الحياة المختلة، ظهورك يجلس

ميزانها .

هذا العالم لولاك لكان سيّداً مُطلقاً وحده بلا

نقيضه .

بلا مفتر منه .

التبض الذي هو اغراؤك، المظهر الأكبر للمعصيان

على قوانين السلطة والانفعال والخير والشر .

المفر الذي هو الولع بك، حريق الحواش والجوارح

الذي وحده يطفىء، ولو سحابات، حريق الآمال

الأخرى .

شيء ليس لي يصبح لي

ليس هدية لا تصدق؟!

أبدأ هناك، يبدأ قدري

دائماً، كل مرة

عندما تلتقي عيوننا لأول مرة

فوق أرض النهر الجافة

فوق عتيق مواضينا

المحبوكة بحلقات فضائنا المقبل .

وفوق أرض النهر الجافة

فجأة يدفق الماء

ماؤك المنزّه

أوماؤك المحقق

أي فرق

وهل أجل من اختراعنا؟

كل امرأة هي تجربة مستقبل تُعاش سلفاً، وحين

تُعاش يُعاش معها أيضاً كل الماضي .

وفي البهيمه الراقدة، ملاك يستيقظ .

وفي الملاك الراقد، بهيمة تستيقظ .

يا أمّ الحول الناعم، تمزّين في الانسان المجهول

الذي فيه، تستولدينه، تكشفينه، تقنعينه أنه جديد .

تفاجئنيه بذاته كلما استسلم الى مؤالفة ذاته حتى

الملل، حتى الانطفاء .

يا أمّ الحول المريء . . .

وأنت

الشقة، الحساب اللعوب الرؤوم، الصبر، صلح

الحقة الذي منه أدخل بلا جهاد، موج الغوى الذي

يدعوني الى الغرق فيه دون خوف الا من أن يكون

الغرق سريعاً جداً .

لا حياة بدون ما أشعره نحوك .

وجوعي إليك، وجوعي غير المشبع أبداً، هو مثل

جوع ديني . وأنا الذي يخافك

أحبك أكثر من الحياة، لأنك الحياة أكثر من

الحياة .

يا صاحبة علم الأعصاب بالسطوح والرائر

بالظواهر، سيّدة التزّعة الخلاصية والمباغنة العجائبية،

العاصية على العقل، المتواطئة مع التناقضات كأخت

كبيرة،

لا تغمضين شيئاً أينما المتعريّة، ولكن كل شيء

يصبح معك غامضاً مثل نقوش الأعمدة القديمة،

ولا تفسرين شيئاً أينما اللتبسة، وكل الأشياء تجر

تفسيرها معك .

وفراغك يملأ فراغي

شيء ليس لي
يصبح لي
ليس هدية لا
تصدق؟!



فيصعد فراغي شجراً وماء من ضبابك، من
أثيرك، من مسافات فراغينا التي تستحيل، عند
الانطفاف، جسوراً تتلاقي فوقها العوالم التي لا
تتلاقى.

«أحزرت أو أكلت؟»

هكذا كان أبو الهول يعترض المارة.

وأنا منذ البداية صممت أن لا أحزرت،

يا أم الهول الطيب، يا قمر البرية الداخلية.

رفضت أن أحزرت

لا لكي تأكلني فحسب

بل لأظلم أكلك أيضاً

فالمأكل ههنا أكل.

وما أتعس الحازرا

وما أتعس الناجي من حيلك أيها الجنية الكاذبة!

أعرف أنك قد لا تحبين شيئاً تحت هذا الغموض

أعرف أن جمالك هو أحياناً بثر الضفادع والأفاعي

أعرف بشاعتك وهشاشتك

أعرف من أنت،

ولكني منذ البداية صممت أن لا أرى!

فيا همّي حقيقتك أو وهمك ما دام خيالي قادراً أن

«يرى»

وما دميت قادرة، إن أردت، أن تكوني بنت خيالي،

وإن أردت، أن تصبح خيالي هو ابنك ورييبيك؟

لأنني صممت أن لا أتعامل فيك إلا مع الكائن

السحري

مع المساحة الغنائية

مع اللحظة الغانية، الأبدية

مع الشرارة الحارقة.

منذ البداية صممت أن لا أرى فيك غير الجانب

الذي، في الحقيقة، يجب أن لا تجعليني أعرف سواه

فيك

لأنه هو أنت المتخيلة

اذن أنت الأجل والأصح

مهما قال لك أعدائك العكس

ومهما شكّل لك هذا التخيل من أسر ومن طقوس.

هذا هو أنت!

الحداثة، الترومة، المرسومة في الشعر والروايات

والحكايات، المتعة، المحلومة، الملموحة في وجيب

القلب الساذج، الغامضة، الخلابة، التي أبداً تُصعد

الأمل بها ولا تخرجه.

هذا هو أنت!

«الواقع» الآخر، على ضخامته، ساحبي إن أنا

رفضت له الدخول على حياتي ورفضت أن أتركه يدمر

نظري اليك. أخفي عني كما تريد، وكما علي أنا

أيضاً أن أخفي عنك «واقعي» المائل.

وهكذا نتعاون في انتصارنا، أنا وأنت، على واقعنا

الخير فتجاوزته إلى واقعنا الحقيقي، ذلك الذي لا

يعود يستقبل من الخيال.

والأمومة بعد اليوم هي هذه: أمومة المسؤولية عن

خيال الرجل قبل نسله...

الأمومة بعد

اليوم هي

هذه: أمومة

المسؤولية عن

خيال الرجل

قبل نسله...

لو أردت لظلمت أكتب.

فأنت أرض الكلمات وأنت فضاءها، وما أن أقول

«يا» حتى تتوجه البقية اليك.

اصبريني إن أنا قيدتك بسلاسل جمالك

وجانفتك، فهذا قدرك ولن تهربي منه إلا إذا أردت أن

تنتهي الحياة، أن يغدو العالم مزمّدة تسكنها قردة

وأشباح.

ولكنك لن تهربي. مهما حاولت المذنية الجديدة،

لن تهربي. أليس أنك لن تهربي؟

ستحلين هذا الدور، دور المتقد بالفتنة والحب،

لأن الحلم بك عتيق، ولا يعرف نهاية.

وستكونين الماء المتروك والماء المحقّق، لأنك الغد

أكثر من أي غد، ولأن أمس الرجل لم يكن بارأ

بوعوده، ولأنك ألهة السلام.

وعلى قدر اغرائك سيكون مصير الإنسان.

بروت
16 آب 1991

تغيّر الدنيا وتغيرات الناس

عيد السلام العجيب



الفيلم المروض، مشوقة أخافة. الصبي كان مولعاً برواية أفلام السينما، ولكن مصروف الجيب الذي خصصه له أبوه اسبوعياً، والذي كان يأخذ مساء كل يوم خمسين من وكيل الأب في قسرية العلية يسوق للمتلقي لا يتبع له بحسبة في التردد على دور السينما. حسب الملو دفع ما في جيبه ثمن تذكرة حضور فيلم اليوم فسيحرم نفسه بقية أيام الأسبوع من وقعة الغذاء الطازجة التي كان يتناولها مثل كل رفاقه في المدرسة من «الحجي»، بالغ الأرفقة المحسنة حالوة أو عجة أو جنة، في الفرصة بين دروس ما قبل الظهر وما بعده. عليه إذاً أن يفتح الآن يتأمل صور المثلثات والمثلثات معلقة على جذران قلب المدخل، في انتظار اليوم الذي يتاح له فيه أن يمتع نفسه بمشاهدة الفيلم نفسه...

وبينما كان الصبي ينقل بصره من صورة إلى أخرى على لوحات تلك الجدران تقدم إليه رجل مليء الجسم، شاربه كتيكاف، خرج من وراء كوة بيع التذاكر، وقال له:

«هـ- تحب التفرج على السينما يا بني؟»

فرقع الصبي رأسه إليه وتأملة للحلقات، وسوى تحت إبطه الكتب والدفاتر التي مالت إلى السقوط قبل أن يجيب بقوله:

«كثيراً».

قال الرجل: يمكنك أن تدخل الآن. الفيلم يبدأ بعد قليل...

فيلم جميل، مستبسط لمشاهدته.

قال الصبي: في غير هذا اليوم. لا أحمل في جيبه اليوم ثمن التذكرة.

قال الرجل: لا أحد يطلب منك تذكرة. تدخل مجاناً.

سأل الصبي مستغرباً: مجاناً؟ كيف؟

قال الرجل: اسمع يا بني، كل المقاعد في الدار مشغولة. مشغولة بالنساء. حفلة بعد الظهر هذه خصصة للسيدات. مستجد لك مكاناً

■ هوصي في الحادية عشرة من عمره، ولكن دقة تكوينه وصفاء علاجه كانوا يوهمان بأنه أسفر من ذلك بهام أو عامين. كان عائلاً من مدرسته الثانوية التي تسبب له أول صفوها منذ تسابع ثالثة، متعلماً قتيه ومفكره. يسر على مهل في الجلبوع العريض الذي ما يلبث

وأجهات مخازنه تبهر نظره، على الرغم من مرور تلك الأسابيع عليه في المدينة الكبيرة. وعندما أصبح في عهدة سينا وويل، في الجانب الشمالي من الشارع، توقف أمام مدخلها للحلقات، ثم ما لبث أن دلف إلى قلب المدخل حيث كانت صور محلي الفيلم المروض في ذلك اليوم ملصقة على لوحات على الجدران، في مشاهد مشوقة وجذابة. كان فيلاً عربياً، على ندوة الأفلام العربية في تلك الأيام... فيلاً بطلته سميرة خاويهي وبطلته مطرب الملوك والأمراء، محمد عبدالوهاب، اسمه «الوردة البيضاء».

واضح أنها واقعة قديمة، مضى عليها ستون سنة أو ما يقاربها زيادة أو نقصاناً. إلا أن قمتها لم يسلبها عنى الأثر ولا طريف العربة في ذاكرة الصبي، الذي أصبح شيخاً، حين يتذكروها أو حين يفصها على الآخرين. قال له صديقه الصليح بتاريخ الحركات الفنية المعاصرة، وهو يروي تلك الواقعة له: «حانك ذاكرتك فيها تروييه يا صاحبي... في العام الذي تحدثت عنه لم يكن فيلم الوردة البيضاء قد عُرض. لعله كان فيلم «انتشودة الفؤاد» الذي كان بطله جورج أبيض». هز الراوي كتفيه بلا مبالاة وقال: «ربما التيس الأمر عليّ في اسم الفيلم، إلا أن ما جرى في ذلك الأصل لم يغب عن ذاكرتي... أتذكره وكأنه جرى اليوم وليس منذ أكثر من ستين عاماً». وما جرى في ذلك الحين، كما رواه الراوي، كان ما يلي:

كانت الصور المروض في المدخل، والتي تمثل لحظات من ذلك

في طرف القاعة، تشاهد منه الفيلم كما تحب.

قال الصبي: حقة للسيدات؟ ماذا أصنع أنا بيتهن؟

ابتسم الرجل وابتعد عن كنف الصبي في تحب وقال له: أنت تلميذ صغير، لن تجلس النساء من رؤيتك هن أو من تحملك بيتهن. كل ما عليك فعله هو أن تقدم من كرسيتك حين تصاف الصالة بين فصول الفيلم، وتتناول الأبريق الذي يستجده إلى جانبك، فتدور على العائش من المفرجات وتستقيهن...

قال الصبي في استغراب مشبه للاستكشاف: أنا؟

ربت الرجل على كتفه مرة أخرى، كالمهدي للاستكشاف، وأضاف:

- أنت تلميذ صغير، ولكنك تفهم بلا شك. ليس في هذا ما يعيب. هذه أول حقة تقيمه للسيدات في البلد. تعرف أمهن كلهن عجبا لا يرضين بأن تقع عين رجل على وجوههن السائرة. أما أنت فالك في حساب طفل من أطفالهن. سيفترن عن وجوههن أمامك بدون حياء. تشاهد الفيلم جيئاً، وتنادي لونه مكافئة لك ربع مجدي فصة (العملة النقدية في تلك الأيام).

سوى الصبي كتبه مرة أخرى تحت إبطه، وقد توتر وجهه لما أحس بأن الرجل يبهه بكلامه، وقال:

- أنا أحمل إيريقي الماء وأسقي السوان؟ من تحسني يا أفندي؟

اشمعت إشماعة الرجل وهو يقول: يا ولدي لا تكن عصياً. قلت لك أن ليس في هذا ما يعيبك. لا بد أن يوجد هؤلاء السيدات المسكينات من يسفين ماء في حر الصالة. تعطيك تليف مجدي، لماذا سكنت؟ أنت تردد. حسناً... لك مجدي كامل، اسرع، فقد بدأ العرض. منظار هذا الفيلم جيئ، وأغابته مطربة. تقبل يا ولدي. إيريقي الماء والكأس واده السائرة إلى نغلي الباب...

الواقع أن الصبي لم يكن متروفاً، بل كان مجروراً في مشاعره من تصوره بأنه موضع استعصار من هذا الرجل الضخم الجثة الكثيف الشاربين. لو كان له شيء من بسطة البدن وقوة الساعد لكان رد على هذا الاستعصار بطريقة غير تلك التي سلكتها... وكان وقع يده ضارباً أو وقع صوته شاملاً. كل ما قدر له، وهو ينس بالحق يشد على حنجرته حتى ليكاد يدفع بالدمع إلى مفتليه، أن استدار على عقبه ويخرج من باب دار السينما إلى الشارع سراعاً.

أسرع الصبي في سيرة. كان عليه أن يقطع مسافة طويلة ليصل إلى بيت عمه، حيث كان ينزل مع اثنين من أبناء أعمامه بكراته في السن بثلاث سنوات وأربع، صيفراً دائمين في جيبتهم من البلدة الصغيرة لتابعة الدراسة الثانوية في المدينة الكبيرة. أحس، وهو يتبع دار السينما، بأن الضيق والحقن اللذين شكلتا من كلام بالغ التذكار فيها، أعيداً تصادلاً. وما لبث أن اعترف لنفسه بأن الرجل لم يسي إليه. كان مهذباً، وكان بحاجة إلى ساقى لا تستحي النساء في هذا البلد المترت ابتلاء من رفع الحجاب عن وجوههن أمامه حين يشربن للماء، فعرض عليه ذلك العرض. ما قصد أن يبيته بلا شك... فهو لا يلام على هذا، ولا سيما أنه لا يعرف من هو إلا ابن من هو، كما لا يعرف بلدته ولا عشيرته؛ وحين قارب الصبي الوصول إلى دار عمه فارق وجهه التعطيل، وارتسمت إشماعة على شفتيه وهو يتصور كيف

سيدش ابني عمه برواية هذه الواقعة لها. ودخل الدار، فوجدتها في انتظاره. بادوا بسؤالها قائلين:

- أين كنت؟ خرجنا معاً من المدرسة، ولكنك تأخرت عنا.

قال: نعم تأخرت. اسمعوا ماذا جرى في...

وراح يقص عليها الحكاية، وهو ينظر أن يخلقا في سبة ذلك الرجل لتجربه على أن يعرض على ابن عمها ذلك العرض المشين. إلا أن دهشته كانت كبيرة من رؤية ابني عمه، وكلامه أكثر من يضع سنوات، فيها مرافقان أكثر منها صبيين، دهشته كانت كبيرة لرؤية لها يصفقان بأيديها معاً وهما يتفان به:

- أصبح أن الرجل عرض عليك هذا؟

أجاب: صحيح. لا أوه. كان مؤثراً معي، ولكنه عرض ذلك علي بصراحة.

قال حسين، أحد ابني العم: أو تعلق؟ مائة امرأة، وربما مائتان أو ثلاث، حبسها ونساء ناضجات، يرفعن الحجب عن وجوههن أمامك، وربما تحفن من ملاهاتن تكشفن عن أزهرهن وصدرهن، ولا تعلق؟ قليل الحظ أنت؟

قال محمد صالح، وهو ابن العم الآخر: أقل قليل العقل. من يأتي إلى السينما من السلف عجم الفاتحات المائتات المتزيئات المتفردات؟ وفوق رؤية وجوههن الموردة والجساعدن المشتهة تشاهد الفيلم المروض دون أن تدفع قرشاً، بل تقبض فورة عجباً كاملاً؟ ناجحي، أنا مستعد لأن أعطي عشرة مجديات، كل ما يرسله الوالد في شهر. ليس مشاهد ما عرض عليك أنت ورفضته. قليل الحظ وتقبل العقل في أن واحد أنت...

فيهمض العيني فإذا كل هذا التبرع من ابني عمه. وكان الحق معه آنذاك. كانت المرافقة بعيدة عنه في تلك السن، فإ شعر بالتوق الذي يشعر به قبان في ذروة فتوها، إلى رؤية خطوط جسد أنثى متجرة من ملاهات السوداء، ورؤية بحياها متحرراً من كثافة حجاب سميك مطبق على خديها وشفتيها وعينيها. لم يهتم تقرب ابني عمه، فهز كتفيه وانسل إلى غرفة لينف وجهه بين كتبه محضراً دروسه المطلوبة منه في يوم الغد.

تالت الأعوام بعد عام تلك الواقعة، فتغير الصبي وتغير المجتمع الذي يعيش فيه وتغيرت النساء اللواتي يعشن في ذلك المجتمع. هو كبر فشب ثم شاب، والمجتمع تطور، والنساء تحلصن من الحجاب والملايات مسفرن عن وجوههن وكشفن عن أزهرهن وصدرهن وصوفهن في الزيارات والحفلات والشوارع. اعتبر الصبي، الذي كبر، تلك الواقعة مجرد حدث عابر. إلا أن ذلك الحدث كان يعود إلى خاطره في طرف متباعدة فبأخذ حباً يتناسب مع الطرف الذي يعود فيه، أو يوحى بعمرة يخلقه ذلك الطرف. يُفرق في بعض الأحيان في استغراب ما مر به في ذلك الأصل، حتى لا يكاد يعيق أنه مر به فيسأل: أحفان أن نساء مدينة كبيرة مثل حلب، وهي المدينة التي جرت فيها الواقعة، كن أن التزمت بحيث يرفعن أن مسفرن عن وجوههن أمام رجل راشد، ولو كان ذلك لتبف الواحدة منهن جرعة ماء من عفش مُلح؟ يا له من زمن مضحك ذلك الزمن! وإنه لينكر

عصاة سمكية
على عيني
العجوز
السبعينية
حتى لا تقع
في الفتنة!

قلبك الحدث في كل مرة يجري الكلام فيها أمامه عن محر لاراة المعاصرة، وعن مشاركتها في الحياة العامة، وعن تصورها أو إفراطها في هذا. وذاك. يتذكر الحدث فيرويه ضاحكاً، فيضحك من يسمره من ويستعربون ويعجبون.

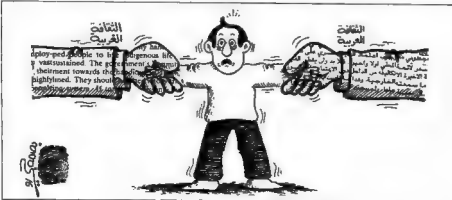
قال له، منذ صبح سوات، وحين صاه اسمايل، الذي ما فاروق بلدته الصغيرة ولا تفعل غير قيم البيلة الصغيرة واعتباراتها الاجتماعية. وتغيرت الدنيا يا رجل. تشتهي في هذه الأيام ان تري صبية ترتدي ثوباً متعشياً. منذ أيام وقعت عيني في حارثا على فتاة في مقتل العمر تلبس فستاناً سابغاً يصل إلى كعبيها. صحبح ان وجهها كان سافراً وشعرها كان ظفراً وان زنديها حتى الكوعين كانا عاريين، إلا ان إسباغها ثوبيا على جسدها أعجبني، فقلت لنفسي إن الدنيا لا زالت يغير. ولكن تأمل: ما ان غطت تلك أمني خطوطين حتى تبين لي ان توبسا السبايح كان مشقوقاً على جانب قانتها، من الوروك إلى الكامل. . . كلما غطت بدت ساقها عارية من أهل الفخذ حتى القدم، لا يسترها حتى جراب رقيق. وشهدت انها كانت سافراً حسنة الفل والاستدارة، ناعسة اللون في ثوبه خفيفه.

ضحك هو لجملة صاحبه الأخيرة ورضه تلك الساق، وقال له هذه الأيام ليست أبنتا التي تعرفها. تغيرت الدنيا يا أبا. حال في صديقي إلياس منذ أيام وهو يز رأسه. وفي صباي كنت أقول لنفسي إنه حين أتزوج وأزرق ستاً، وتكون الفتاة تصبح فتاة بالغة، فأقول لمن يلقي نظرة على ابني أو يحدت إليها بكسه. ولكن بأش ما تبين يجري في اليوم. . . يز جرس التلموز دموع السبعة. فينادي صوت صبي يرق مشد بنفسه، يقول لي مدون عية أو يعرف بالصدات: ألو، اعصني يدنيا وأجسد، بكل طوعية ودون أي احتياج، أصبح ستاً التي بلغت السابعة عشرة من عمرها. ناديا، تعالي كلمي. لا سأل من هذا الذي لا يستأذن ولا يقيم لي وزناً، بل يتخطان إلى ابنتي كأنني كم مهملة! تغيرت الدنيا يا رجل. . . لم ترانا نحن الذين تقربا؟

عل ان الدنيا لم تتغير كل التغير، لو ان ناس هذه الدنيا لم يتغيروا كلهم عما كان عليه سابقهم. قال الصبي، الذي كبر وتسلق سلام

المعرفة حتى أصبح طبيباً يشار إليه بالبيان، قال الصبي هذا لنفسه منذ عدة أسابيع متذكراً واقعة مدخل دار السبنا تلك. لقد تذكر تلك الواقعة من جديد حين دخل إليه في عيادته رجل وامرأة، كلاهما في مقتبل العمر، يقودان من يديها امرأة جميلة بالسواد من قمة رأسها إلى أصابع قدميها، ملقوفة الرأس بعصابة سوداء يتدل منها أمام وجهها حجاب سميك أسود كذلك، وينيب كشفاها في قفازي سلكي السواد. تبادر إلى ذهن ان المرأة عمية، فالكشاف والعتا يقودها في سيرها. كما عطر له ان لغة كاذبهم أكلت أطراف أصابعها ومعال وجهها تعلقت أهلها بديها بيده الأديبة السود. وتوجه الطبيب إلى الشاب يسأله من تكون هذه المرأة، ولماذا تشكو. قال الفتى إنها أمه، وإنها تشكو من ألم في معدتها. فمد هو يده إلى الحجاب للسند أمام الوجه ورفع فابصر وجه عجوز جاوزت الستين، معصبة الرأس تحت الحجاب الأسود بكوفة يضاه مشدود على عينيها وتزول جيها إلى عذتها حاجبة وجهها إلى منتصف أنفها. سأل هو اني: هل تشكو أمك من بصرها؟ هل أجريت لها عملية جراحية في العينين حتى شئت هذا الشكل؟ قال الابن: ولا يا طبيب. . . أو تبي منذ قريب، وأمي في البعدة. . . الشيخ أشار عليها بهذا: لم يدر الطبيب هل يتغير حتماً أم ضحكتاً. أية علة هذه؟ وأي شيخ أشار على هذه العجوز اني درست السنين بأن تطعس عن بصرها بهذه العصابة السميكة حتى لا يقع في الفتنة إذا ما رأت وجهها مليحاً في أيام عذتها؟! حشاً أن ناس هذه الدنيا لم يتغيروا جميعاً، ولو ان الدنيا نفسها تغيرت حتى أصبح أسفلها أصلاًها. بل لعل كثيراً من الناس فيها يتغيروا إلى الوراء أكثر من يتقدمهم مروحين في أمكتهم. لم يكلف هذا الطبع والوراثة بأن يحفظوا على المرأة تناول كأس الله إلا من صبي دون اعشاره حشية الفتنة بين الجنسين، بل أزموا العجوز الغالية بأن تدير إلى عيادة الطبيب كالمعمية، يقودها ابنها وزوجته، كي لا يقع بصرها على مخلوق غير عزم عليها، ولو كان هذا المخلوق طبيباً يكشف عن بطنها المزيلة وبشرتها المقرنة، كي يتشخص داءها ويصف لها دواءها.

من يقول إن كل ما في هذه الدنيا يا صاحبي، تغير، أو ان ناسها تغيروا كل التغير؟ □



الأسلاف



تمثال

شوقي بزيح

خاضع من لبنان صدر له مؤلفاً
فيون "ورقة التمس"

يتقلدون جراحهم
كي يحرسوا أحفادهم من طعنة الأيام .
كي نمشي على أكبادهم في أوج وحشتنا
ونحنون تحت ثيابنا السوداء
أو يلهون بالريح التي تنسل من أبوابنا ليلاً
لثلا يعترينا البرد
أو ينصتون الى تسيح دموعنا تحت الغطاء ،
كأننا أصواتهم نهر يصب خريزة في لحمنا
ووجوههم صفصاف
لم يبعدوا عنا
ولكن أفسحوا لحيننا درياً لزيتهم
لنرشدهم الى أسبائنا الأولى
وظلوا في أسرنا خيوطاً تترق النسيان
ظلوا جمرات لتحتنا ،
ما يبقى من الانسان بعد أداء وصلته الأخيرة
فوق سطح الحانة - الدنيا
هم الأسلاف ،
حبل نجاةنا للقطوع ،
خط دفاعنا المرفوع ضد الموت ،
قبل سقوطنا في قبضة السياف
هم الأسلاف ، ملح الأرض ،
نفس النضر ،
يسترون في عشب البيوت ،
يعلقون معاطف الذكرى على أوتادها
ويسافرون .. كأنهم أطيار
لم يرحلوا عنا
لم يبعدوا إلا لنشبههم
نحلق في مرابهم فلمع خلقها قسائنا . .
ونخاف
أن لا نستعيد وجوههم من حفرة الماضي ،
وأن بناؤا بعيداً في منافيهم
قنصر موتنا فيهم
ونصبح مثلهم أسلاف □

■ تعريد نارهم في الصدر

والأشجار تقطر من معاوهم
ويصطفون صوئاً إثر آخر خلف محلة الصدى
الشفاف

هم الأسلاف

أصداف التردد بين منزلتين للذكرى
فراشات الغياب وضوؤها المكسور *
مطوين كالكتب العتيقة فوق أدراج البيوت
يحققون بأعينهم نعي الى أصص تدلّت من حديد
بيوتنا



إسمه أوقع القطيعة بين ميخائيل نعيمة وعيسى الناعوري

وليم كاتسفليس: مهجري وَصَف القرن السادس والعشرين!

جورج طراد

شهد وصول بخارة يونانيين، استقر بعضهم وتزوج في المدينة. ورويا كان والد ولیم كاتسفليس، أو أحد أجداده، واحداً منهم ونُسب له حُرُس اسم «كاتسفليس»، هذا حكاية طريفة شاعت المصادفة البحتة أن التُرك إلى بعض تفاصيلها. ففي مطلع الثلاثينات الثلاثين، في عمان، بالأديب عيسى الناعوري الذي كان يشغل، يومها، وظيفة عالية في المجمع النعوي الأردني. ولأن الناعوري الراحل هو من الرُّائل الذين كثُروا في أدب المهجر، كان من الطبيعي أن تتناول معه حول هذا الموضوع. ووصلنا في الحديث إلى علم من أصنام المهجر الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة، هو ميخائيل نعيمة، فسألت الناعوري عما إذا كان يلتقي أوبقيم أي اتصال معه وهنا احتد الناعوري واتفعل، قبل أن يجري أن قطعة نهائية قامت بينه وبين نعيمة، غداة صدور كتاب «أدب المهجر» الذي نُقِش به الناعوري أبحاثه عن أدب المرحلة وأعلامه. والطريف في الموضوع أن سبب تلك القطيعة هو اسم ولیم كاتسفليس. فلقد ارتأى الناعوري، قبل دمج كتابه إلى الطبعة، أن يرأس نعيمة ويتوصله طريقة لفظ الاسم، باعتباره نعيمة وغيثاً لكاتسفليس. «والرابطه القليلة، واستجاب نعيمة للطلب ورد إيجاباً على رسالة الناعوري. لكن الفجأة حدثت عندما أدلى نعيمة لمجلة «الحكمة»، في بيروت، بحدث قال فيه أن كتاب الناعوري عن «أدب المهجر» ليس سوى بحثي الرسائل التي ردّها على أسئلة الناعوري الحظية. والرايم من مرور بضع عشرة سنة على هذه الحادثة، فإن الناعوري حين التقى، ظل غاضباً من موقف نعيمة، معتبراً زعمه مجرد افتراء، مما أدى إلى قيام القطيعة بينهما حتى وفاتها. كل ذلك بسبب اسم ولیم كاتسفليس

■ الكاتب المهجري ولیم كاتسفليس (١٨٧٩ - ١٩٥٠) يكتب. يُنقل عفاة، دائرة القلم، ساحة، دك، ب. على حد علمنا، لا يتطرق عليه في حال الإقبال هذا سوى راسمي «خروج وروبع باحوط، الذي لم يمتزله سوى على قطعة نثرية واحدة تحمل عنوان



والرفشة» لكن كاتسفليس عَرَضَ عن قلة إنتاجه بسخاء كَفَّه في دعم كل حركة أدبية في المهجر. وبما ساعده على هذا أنه كان ميسور الحال ونابهاً في مجال الأعمال، غالب الأحيان حتى أنه تسلم وثلاثة وبك لبنان الوطني، مما يدل على أنه كان واحداً من رجالات المال الفاعل الذين حاولوا المشاركة في الأدب المهجري وكاتسفليس لم يكن من طينة أغلبية أبناء المهجر، ذلك أنه سليل عائلة ميسورة، عاشت في طرابلس اللبنانية، وحرصت على إيفاد أبنائها إلى أرقى مدارس العصر. وفي العام الثاني من القرن الحالي، غادر إلى نيويورك، وفي جعبته شهادات علمية وثروة وراثت عائلتي من النُسر والبيجيرة. وهذا ما يفسّر كونه في طليعة الأدباء المهجريين الذين وصلوا القارة الجديدة وهم يتقنون اللغتين الفرنسية والانكليزية. وهو، في مطلق الحالات، وضع كتاباً بالانكليزية بعنوان «حضارة العرب» والواضح أن اسم عائلة «كاتسفليس» يبدو عرب الحُرُس والوَقْع في اللغة العربية. وليست لدينا حتى الآن، وثائق حاسمة تثبت إن كانت تلك العائلة يونانية الأصل، وإن كان نصيل إلى هذا الاعتقاد، باعتبار أن طرابلس البحرية، ولا سيما منطقة «البيضاء» منها، كانت



ولم يكن كاتسفليس، قطعاً، لم يكن ليبدأ أن يتحول إلى مادة خلاف بين الأدباء، وهو الذي يدل ما في وسعنا، حالياً وصغياً، لتشجيع الأدب المهجري وتنشيط الدراسات عنه. على الأقل يبقى لهذا الحادثة أهميتها لجهة تسليطها الأصوات عن كاتسفليس الذي لم يزل، مع الاسم الشديد، ما يستحق من اهتمام. وهذا عائد، بالطبع، إلى قوة انتصاحه كما سبق وذكرنا، وإن كان تزيين بأن كثرة الإنتاج لا تشع لصاحبها دألاً، ولا تؤمن له مكانة مرموقة. ومن تلك القليلة، والمصيرة، التي كُتبت، هننا وهناك، عن كاتسفليس، غير عدد على ترفيق وريحونة عيشه، فخورح صيد، في كتبه وأدبنا وأدبنا في المهاجر الأميركية، يروي حادثة طريقة معادها أن كاتسفليس هذا كان يقني كلية مدلفة، عاشت مترقة في كتفه. لكنه أبشلي يوفاتها قنبح بقاء حزيناً. فما كان من الشاعر أيليا أبو ماضي، الذي زاره وهو على هذه الحالة، إلا أن داعبه بمقطوعة شعرية يعذد فيها مآثر الكلية الراحلة، فيقني، ويوقع فيها من معنويات ولهم المكتوب، كذلك فإن فيليب كاتسفليس، شقيق ولهم، عزاه بمقطوعة طريقة ليس هنا مجال ذكرها. وهذه الحادثة أن دلت على شيء، فإنها تدل على نرس حالة ولهم كاتسفليس المالية، لدرجة أنه راع بذلك حيوانه، في حين كان العديد من شعراء المهجر بحاجة إلى لقمة عيش بسيطة يسدون بها الرزق!

لكن، من الظلم بمكان إهمال دراسة آثار ولهم كاتسفليس، ليس فقط لأنه عضو مؤسس وداعم في الرابطة القلمية، ولكن كذلك بطرق تصمم بعض آثاره من رؤى مستقبلية حرة. ليقف بعدها وأبرز تلك الآثار هي فطعة «البرون» سنة ١٩٢٠، التي عثر عليها في «مجموعة الرابطة القلمية» لسنة ١٩٢١، إلى جانب فطعتين أخريين له هما «مجدول الحلم حيلاً»، و«القلوب الحائمة».

عسرى الفطعتين المذكورتين يدور حول رؤى فلسفية اجتماعية نقدية واقعية، من النوع الذي يمكن أن نصف به رؤى جبران وصيغة وأبو ماضي وغيرهم من أعضاء «الرابطة القلمية». والحقيقة ليس هناك في الفطعتين ما يجدر التوقف عنده، باستثناء أجوائها الأسلوبية التي تنال الأسلوب الجبرلي. ومثالنا على ذلك عدة فقرات أبرزها ما جاء في «القلوب الحائمة»: «هاكم مرآب كميّة وأسرار مطوية أو وكم هو عدد الذين يدركون أن الآم الروح، وإن تكن أبعد عن الحس من الآم الجسد، هي مثله مثلها ومتشعبة للعش، وأتيراً وأكّز عرياً وعائش غريباً في عالم لا يفهمه». هذه الأسلوبية التعبيرية والروائية لا تختلف في شيء عن طريقة جبران، ذلك أن فيها تساؤلات فلسفية وأملات في الروح، وليس في الجسد، وهذا منحى ثابت في أدب «الرابطة القلمية».

لكن النقطه الأكثر أهمية، في رأينا، والأكثر استفادة للتوقف عندها، هي فطعة «البرون» سنة ١٩٢٠، ذلك أنها فطعة مستقبلية، وإن كانت مدلولاتها محسوسة. وكاتسفليس عامر، في معصوميتها، إذ قرر برؤاه سنة ثمانية ليصعب لنا ما يعتقد أنها في القرن السادس والعشرين. وهذا، في اعتقادنا، روح غير موجودة في معظم نتاج

الرابطين. وإن كانوا قد اتجروا مع الرؤى التي جاءت طوعاً وبغيره، وبالتالي غير محسوسة، في معظمها.

وهنا نختبر بنا الإشارة إلى أن الأجواء المستقبلية في الأدب، مع ما فيها من توقعات للتطورات العلمية وانتكاساتها على مصبة الناس في القرون المقبلة، ليست جديدة في الأدب العالمي. ولعل أقربها إلى زمن فطعة «البرون» سنة ١٩٢٠، هي تلك التي جاءت على قلم الكاتب الفرنسي المعروف جول فيرن Jules Verne (١٨٢٨ - ١٩٠٥)، حيث وصف الزمن الألي في عدة قصص خيالية علمية أبرزها «الرحلة إلى القمر». وحتى ما عرفنا أن ولهم كاتسفليس، كما رأينا، يستند إلى ثقافة فرنسية وإنكليزية واسعة، أدركنا أن احتيال تأثره بأجواء جول فيرن المستقبلية، غير مستبعد.

يتحدث ولهم كاتسفليس في «البرون» سنة ١٩٢٠ عن رؤاه للعالم في القرن السادس والعشرين، فإذا افترضنا دولة واحدة وله حكومة واحدة هي حكومة العالم المتحدة، ترعى الثقافة وتقول القامة المحاصرات والتناوت التي تلحظ برامج واضحة للغادات في كل من البيرون ومشرق والقاهرة، وفق جدول زمني ثابت.

أهم أن المحاضرة التي ستقام في شهر أيار/مايو من العام ١٩٢٠، مسرحها بساحة هائلة في حوار «البيرون». والبساحة وكتابتها على قاعة مستديرة مساحتها دارتيا لا تنقص عن ميل. وبعد أن يصف ولهم كاتسفليس قاعة المحاضرة، يعذد بوعيه موادها وتقنيته هنستنها يتنقل إلى المناظر والحدود السعيدة جمال العلم الرهاوي. وكان قد ذكر لنا المفاكر التي إجابها السعدون وهم من مصر وفلسطين ويطلق والعراق ويصطف وهذا، لخص الرأياشي. أما وسيلة النقل التي اعتمدها فهي «المتطابق للسرعة التي تمر في الجو من الطريق، أو التناولات الموصية المرتفعة عن الأرض نحو مآثرتي ذراع والتي تسير على دولايب واحد فوق شريط من القولايد. أما القفراء من المحصور قلند «جاموا من الأماكن القريبة في سيارات عظيمة الحجم».

ثم يتنقل كاتسفليس، يصف هذه الأجواء الخارجية العامة، إلى موضوع المحاضرة التي تدور حول «مجموعة خطيب ومحاضرات لآناس تخلفين في الجبل العشرين». هكذا نرى كمية التقاطع الزمني قد أدت دورها كلساً. فلنكتب البدي وضع فطعتي مطلع القرن العشرين، جعل أجوائها في القرن السادس والعشرين، ولكن معولها هو نتاج القرن العشرين. وفي اعتقادنا أن كاتسفليس، قام بتوظيف هذا التقاطع الزمني، دعماً ولأياً من القرن العشرين وأليه، كي يشي له الظهور بظهور من يراعى عصره من بعيد. فهو ابتعد عن زمانه المباشر كي يتمكن من تصفحه بوقته ويعتبر من قاطع الخلل فيه.

وهذا واضح من خلال القدام كاتسفليس على وضع كلام يدي على لسان محاضر الرهاوي في قاعة «البيرون» سنة ١٩٢٠. فالزراوي الذي يصف القرن العشرين بأنه واحد من «العصور المتأخرة»، يفتح فكر خطابه الجبل العشرين يقول: «استقلت نظري في أكثر حطهم» أي الخطايا كانوا يمحسبون ذلك كلامهم لأطراف احصور بلبالغة السخيفة (...). والتلك التي لحشو الكلام الرنان المصنوف

الشرق

كلمة مستديرة

العلماء

كلمة مستديرة

العلماء

كلمة مستديرة

العلماء

كلمة مستديرة

تنبأ بموت المذهب البشفي لأنه «هدم في عام ما بناه العالم في مليون عام».

صفاً، والمركب تركبياً، معنى جون معنى، ما يثبت أنهم كانوا يرتاحون إلى هذا النوع من التثرة التي لا خاتمة لها والتي لا تدل إلا على شيء واحد، وهو حماية الكاتب أو الخطيب بالخشش من الكلمات والجمل التي تفرقه، جميعها مترادفة سواء كانت لازمة أو لم تكن. والثالث الأخير (بعض) لروص الحاضرة أو الخطاب.

واضح أن وليم كاتسليس، يبارس هنا مفاداً لأدعاء أروحية الأب في عصره. وربما هو ينتقد بطريقة غير مباشرة، نتائج للمهجريين وبعض زملائه في «الرابعة القلمية». ولقد أثر أن يتفرقة ترون إلى الأمام، ويضع كلامه في لسان محاضر مستقبلي، لينسب له عارسة النقد للشواهدات الأدبية في عصره. فالمحاضر الرهاوي، في رأينا، ليس سوى وليم كاتسليس نفسه!

وكذلك هو يبارس اللعبة الزمنية نفسها، واتحاح شخصية الرهاوي المستقبلية، لينتقد نظرة إمام القرن العشرين إلى الأديان والشذيلة المتخطف بحرفية تعاليمها، وعدم معرفة الناس للحياة الحرة والمتطلعة من الفيدو كما يعرفها العالم اليوم (أي سنة ٢٠٢٠)، والجمل المقتضي الذي جعل «الناس في تلك العصور كانوا يتخوفون أنهم بلغوا شأواً كبيراً من التقدم والرفق».

ولا يتحسر وليم كاتسليس في نقده، على طريقة «الغلاش ماك»، البشيفية المعروفة، على الثرتين من أبناء القرن العشرين. بل يبارس النقد، ويصادف نفسه، على الغرب. فيحس الدول، كما يقول، «وكانت تذهي الثروق، وضعت الوطنية فوق الدين، أي أنها هربت من الشكك إلى تحمّل الزئبق»، «أولاً للخطر عتبه يقول في مكان آخر: «وكان شيطان العالم، بلا غرض إلا بدلا من فلاح الدين» انتزع سلاح الوطنية لتظل الإنسانية راسقة في قيده ونحت قدميه. وفي رؤيا سياسية مستقبلية تدور حول مصر الثورة الشيوعية التي كانت قد وقعت في روسيا قبل كتابة المقال بثلاث أو أربع سنوات، يقرأ وليم كاتسليس، الأحداث التي وقعت في الكتلة الشرقية مطلع التسعينات، فيقول إن مذهب البشيفية الذي هو أقرب إلى الأخاء العمومي لم يلبث طويلاً حتى مات «ذلك لأنه أخضع استمبال الوسائل، فاعتلى سيف الظلم لإبادة الظلم». وثمة سبب ثانٍ لموت مذهب البشيفية يستشره كاتسليس قبل بداية تفكك الامبراطورية السوفياتية بحوالي السبعين سنة، إذ يؤكد أن الخطأ الفاتل لهذا المذهب عائد إلى التسرع «بأن حلول أن يدم في عام ما بناه العالم في مليون

عام». لكن الكاتب برؤياه المستقبلية يؤكد أن الأخاء العمومي للرافف تقريباً للبشيفية لن يتبدل تماماً، وهو يرى طيفه مستمراً في القرن السادس والعشرين، «إذ أن (هذا المذهب) ترك أثراً في حقول التفكير الذين فحصوه وعرفوا مواطن الضعف فيه مبذوها، واقتبسوا منه ما كان مفيداً وصالحاً لجانب الإنسانية، فصارت العقول تتخضع من جيلاً بعد جيل حتى ولدت كمالاً

وثمة نقاط أخرى كثيرة يتناولها كاتسليس في توقعاته المستقبلية، صغر قطعة «السروق سنة ٢٥٢٠»، مثلاً، يتكلم الخطيب على المتغيرات في القرن العشرين فإذا هي مراد وكان برأيه يستعملونها في الحسروب للقتل والتدمير، فأصبحت «في القرن السادس والعشرين»، وقد حستأها، نستعملها كقوة محررة أوجدت الصوابية.

ومن ملة «الراديم» المستعملة في عالم المدة يقول الكاتب إن أبناء الجيل العشرين «لم يتوصلوا إلى استخراج الراديم من الهواء وصهر قوته المائلة». ومن وضع الطب في القرن العشرين نجد الكاتب متخفلاً للقياس إلى القرن السادس والعشرين إذ كان «الناس يموتون بالاجواء والالام بدلاً من أن يلقطوه بدهود وبلا ألم كما هي الحال الآن». وهو يبرز ناحية التطور الطبي في فترة أخرى، إذ يشير إلى أن القرن السادس والعشرين توصّل إلى استخدام الراديم لتطعيم بالشد الحية التي تصلح ما فسد من دم الإنسان ويجعله فيه مادة الحياة. وهذا التقدم الصحي سيؤدي حتماً، كما يقول إلى رفع معدل الأعمار. ولطينا كان معدل التعمير (في القرن العشرين) من الخمسين إلى السبعين، وكان عدد الذين يموتون قبل الأربعين يعادل الثلث، يرى اليوم أن معدل التعمير أصبح فوق المائة، وأن الذين يموتون قبل السبعين لا يعدلون واحداً من مائة، وأكثرهم يموتون من حوادث طارئة غير متوقعة.

وفي مقطع كامل يشدد الكاتب، في رؤياه المستقبلية، على مدى التطور الذي بلغه أبناء القرن السادس والعشرين في علاقاتهم مع العوامل الطبيعية المختلفة فيقول: «انظروا كيف أننا نستعمل العناصر كما نشاء، فنحول مجاري الأودية ونجلم المواصف ونستزل الأمطار ونقطع المسافات الشاسعة يضع ساعات مما لا يحسبها به. إن ضغط الهواء، تلك القوة المائلة، كانت معدة بآلاً مفلاً إلى في بعض الصغائر، فيجعلنا قوة غير الأرض هراً»

وفي نظرة اقتصادية سياسية إيجابية شاملة يؤكد أن كل هذا التطور ودمه بفضل الأخاء العمومي، وتوحيد الشرائع في الأرض، مع توحيد العملة وتوحيد جميعها ومنع الاحتكار وتقلل ضائقة الطمع في نفوس البشر مما أبطل الشجاعة والحروب. ويترج كاتسليس رؤاه المستقبلية هذه بفعل إيمان يؤكد أن كل هذا التطور إما هو مشيتة عليا سمحت للعالم أن «يبلغ من الكمال الدرجة التي نواها له الآله الذي هو الكمال»

قطعة «البرتون سنة ٢٥٢٠» لوليم كاتسليس التي نُشرت في العام ١٩٢١، تنتمي إلى الأدب المستقبلي الاشتراكي، ورغم أن فيها بعض التفرات التي لا مجال الآن لتفصيلها. ومن الثمن الكبير أن تبقى، هي وصاحبها، في إدراج الأعمال. □

صدر حديثاً

العرب والبرابرة

المسلمون والحضارات الأخرى

— عزيز العظمة



56 KINGSTON BRIDGE
London SW1X 7JN
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305

مسامير



■ الرجال متعبون والنساء متعبات، الأيدي على الأيدي وحشة الأخضر الشادي في احترافه، والاقدام أقدم الاعشاب والنباتات الصغيرة، العيون زائفة، والأفئاس خشخشة وثالث ذبيحها الرمل، طرق ملثية، وطرق متقاطعة، وطرق للموشومين بحرم الطين، والزوايا مغارات الماشين على رؤوس أصابعهم، والزوايا تذهب بالمكان إلى أبعد مما تسع الرؤيا، والزوايا:

- زاوية لشعب يعلم بظلم
- زاوية لظل ينتأر بعيداً في المكان القمي
- أعلى رجل الحدار إلى الداخل، فتحدو الشجر من قبل الأرض ... وفر هارباً
- فرقة في رأس الشارع:

يتشاجر رجلا حتى يصل الشرطة فينتقى الشارع ويدخل الجميع في حبيب، وب من حالك إلا وقد شرب حووه والأشجار تداعب رؤوس المشويين على جر الأسفلت

- رجل الشرطة الذي تنص في فورع السيارات ذات السور وقوات لسان، داح، أعنى عليه، سقط . اشتبك اليمن باليسار . والذئبا طارت طينه

● عندما يصعد المصوب بالسلمي يروح لكون . ويصبح لأرض عن يباس شائع ومراتع للصوص، وتُزل السياه شمساً إلى أسطح المباني تحرق الخطب والخبث، وعلى برح بين صمت الهواء وصوت المسامير في إطار السيارة . فقد مرزوق صوابه، هبط من سيارته مطبوخاً ليواصل طبخه على رصيف الشارع

توهج النهار الفاظك اليابس المحروق يكتسب الأفئاس ويكوي الوجوه.

تعاظم في الرأس فكرة السر، الرحيل، الهروب، ماذا يعمل هذا الفقير المحروم؟ إطار السيارة تأمر مع الشمس عليه وفش.

(الله يلص إلى صنع المسامير) نصع في الذي المشتعل، فتح صندوق سيارته، أدخل رأسه وخرج بالاطار الاحتياطي، ثم أدخله وخرج بالرافع . ثم أدخله . . ولم يخرج.

بعد نصف ساعة قال راجان صاحب القاعة المقابلة للساحة المسبحة المرسوقة بالظوب الأحمر والتي توسلها (نافورة) ملا ماء ويحوض جاف، إنه شك في الأمر عندما لم يخرج رأسه.

- على رصيف الشارع مدد مرزوق بطوله الفارع، لحته السوداء، خضباها الأحمر الذي تقيها، والريد يسيل من أنفه وهمه جاءت الشرطة . . فاقض الناس من حول الجثة، إلا ثلاثة:
- رجل سثنى مريبوع على يسراه حقية سوداء صغيرة
- امرأة ميبينية تتلفع بوقاية كانت حمراء قبل دخول العيب.
- شاب بين الخامسة عشرة والسابعة عشر يقص طرف دشدشته إلى الأعلى كاشفاً عن بطنه الرياضي الأزرق.

أعاد إلى قلبه عطاءه، قتل على الدتر علاقه . وصعه على المصدة الصغيرة الملصقة بالمعد الذي أمامه، نظر إلى الحلة الخضراء الفازعة المستريحة في قاعدتها على المصدة، ومع ستار الضوء البلاستيكي، ولما لم يكن الضوء الداخل قوياً والوقت منتصف النهار، أرسل نهاية مسرورة، كانت العائزة قد خلقت الشمس بعيداً وراءها. □

محمد اليحيائي



قصائد

قال : «الملك الذي لا يؤث
لا يعمل عليه»^(١)
لأنه عاشق
انقسموا جيشه فيما بينهم
وراحوا يتغامزون
كما لو أنهم
لأول مرة يرونه
كما لو أنه
لم يرههم في حياته قط



■ إلى تأبط شرأ تأبط كارثة
تأبط وذيلة وأنى
تركب قوساً
ودار بصرخ في نادي أهله:
أنتم فجيعتي

* إلى أمير الصعاليك عروة
قسم جسده من جسوم كثيرة
ومضى
شهوة في القتل
سهم جامع في قلب القبيلة
السفر منفاه
والأهل أبداً لم يكونوا مقبرة السر
أه يا عروة
عدت غائباً
لكنني فُجعتُ في أصحابي

● إلى عبي الدين بن عربي
قال : «الشوق الذي يفتّر عند اللقاء
لا يعمل عليه»^(٢)

إلى بوذا
يا لبوذا المسكين
خلق شعرة حتى الجلد
وصنع من أوراق الشجرة قصيدة
أشرع أبوابه
وارتدى الصحراء
يا لجوئنا المسكين
حبة أرز واحدة في اليوم
كل ذلك

فرج العربي
شاعر من ليبيا

من أجل الخلاص !؟

نافذة

من النافذة
يُحدّق في فضاء مليء به
ترتجف النافذة
لهول ما رأى

فخذ ريان

نسيت رأسي على فخذك البض الريان
تركتني أشرب منك
وما ارتويت
أرغفت فيك
ملأت اناءك حتى سال
وأكثر من الخبر في قلبي

عجوز أسيانة

في الصباح
ينسل الليل مذعوراً
من مدح امرأة
ويقفر من النافذة
وفي الصباح
أمام الدار
نبته تنسل عجوزاً أسيانة
تنظر في العمر البعيد

دار كيا الوديان

أشرع عيني
على مساء
يُبصر أمه بصعوبة
الدار التي ارتأينا
هربت من ذاكرتها
وراحت تسرح كيا الوديان

فوهة الغد

أسكب ذاكرتي في وعاء مثقوب

ناراً معرفتي

بقايا زجاج محطم

يلمحوني برقاً

غيباً خافتاً في الظل

لكنني أزعج

أرعى قطمان النار طوال الليل

وأسند قلبي

إلى فوهة الغد

ليل يشخر بجواري

لا أحد

زائري الوحيد بالأمس

عاث في كل شيء

مزق الستائر والأبواب

وأحدث شرخاً في ذاكرتي

مزيداً من الخراب

كي أستيقظ من غفاتي

وأشعر رعبني عالياً

ربما لعاهرة بلاستيكية

توقظ الشهوة بالأزوار.

ربما لسرقه الأيام

واحتراق الاشارات عند مفترق الطرق.

ربما لاولاد يتزاحون،

أمام بائع النار،

وعلب النعاس المتأثية.

ربما لفرصة أخيرة

تسبق الميت إلى المقبرة.

ربما لمقعد مهجور،

يجلس وحيداً في الحديقة

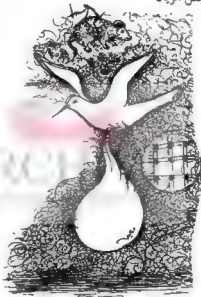
ربما لفتاة شيفة

ترفع تنورتها للمارة

ربما لي

عندما التفت يتناقل إلى الليل

وهو يشخر بجواري. □



عودة التاريخ من المنفى



غالي شكري

(١)

اليونان والرومان والعرب، ومن ديانات مصر القديمة ومصر البطلمية ومصر الإسلامية، ومن اللغات المبروطلية والعربية، وهكذا. وما هي الجغرافيا تربط مصر عبر البحر بالبرقيا وغير الصحراء بأسيا عبر الوسطى وأبين «النهضة» عناصر غامضة في بداية الأمر، ثم أحدثت تشكيلاً وحيّاً ونشأ حتى بلغت أوج وضوحها في «التعديلية» حيث انتجبت «التالية» عن أنفضح صور الفكر والتعبير لدى أحد أئمة الأبناء الكبار للغة الوسطى المصرية، وأحد الأوهام لمسيرتها في غفلات الصمود وخفلات الانحدار.

وكما إن الحكيم جمع بين الصراصة العارية في «التعديلية» والأقنعة البشكية في غيرها، كذلك فإنه كان حريصاً على إطلاق السبي وتجميع البشري، كما هو شأن التيار الذي يتسنى إليه، فلم يتكلم هذا التيار عن «نهضة» ولم يتكلم عن «ثورة» بل عن «الثورة» وكان البصبة كانت لمصر كلها. وكان الثورة عام ١٩١٩ كانت لمصلحة الشعب المصري جميعه. وكان الطيف الوسطى في الوطن

هكذا فعل أيضاً توفيق الحكيم، فخرج بشأنيته إلى دهاليز التعديلية من نطاق المحدود والملموس والشخص والتاريخي إلى النطاق الكوني وما وراء الطبيعة «الليل والنهار، السكون والحركة، الدين والعلم، الحياة والموت». وسنلاحظ أن هذه التصريفات المطلقة قد استجرت إلى توصيات مطلقة أيضاً ما هو نسي: كالعامل والديمقراطية والحرب والسلام.

ولكن «الإطلاق» و«التعميم» أي نفي التاريخ - هو الصفة الأولى لفكر الطيف الوسطى لحظة صعودها، وولاد والمساءلة حين تشديد التاريخ من المنفى لحظة الانكسارها ومنذ البداية يجب الإقرار بأن «القنعة» في حياة توفيق الحكيم وفي ليس مجرد قناع مسرحي، بل هو أحد مظاهر التناهي. كما يجب الإقرار بأن «المقاومة» في حياة توفيق الحكيم وفكره ليست مجرد حملة درامية، وإنما هي أحد مظاهر التناهي

(٢)

توقفت أغلب داري الحكيم وتقاده عند ثلاث كلمات في «عودة الروح» هي «الكل في واحد» وأياً كان تأويل السياق الذي وردت فيه الكلمات، فإن هناك ما يشبه الإجماع على أن الكاتب قصد الشعب

■ في عام ١٩٥٥ أصدر توفيق الحكيم كتابه «التعديلية». وفي ظني أنه كان يتوقع أن يصدر مثل هذا الكتاب لأحد القنادر، ولما طال انتظاره يادر هو إلى كتابته. فذلك أن «التعديلية» في حقيقة الأمر هي عبارة تنكير الحكيم في مؤلفاته الأخرى. ولا ريب في أنه كان يسير أكثر لو أن غيره هو الذي تناول مؤلفاته واستخلص منها هذه النتائج.

كتاب «التعديلية» على هذا النحو هو خلاصة فكرية لأداء هشوة في رواياته ونقصه ومصرحاته وقضايا. وأسس دعوة جديدة «دعوة» كما بالغ البعض في وصفها ولكن الحكيم استطاع أن يقدم لى هذا الكتاب الصميم رؤية دقيقة طرهر أمياله وهي رؤية تستمد عناصرها الفكرية من ثلاثة مصادر: أولاً التناهي الفكري المصري التي سبورت في التيار الغالب على الثقافة المصرية بدءاً من رفاعة الطهطاوي إلى الإمام محمد عبده إلى طه حسين. هذه التناهي التي جسدتها معاملة «النهضة» القائمة على ثنائية رئيسية اختلط الناس في تسميتها، فهي التراتر والحدائنة، وهي الإسلام والغرب وهي أصبحوا الأصالة والمعاصرة. وعن هذه الثنائية الرئيسية تنفرع ثنائيات ثانوية تتناول مختلف مجالات حياتنا.

والمصدر الثاني الذي استقى منه الحكيم عناصر رؤياه هو ثورة ١٩١٩ التي كان زمعها سمع زغلول - أحد أبناء التيار «الثاني» - ولمع كان الترجمة السياسية الأولى للتناحية لمعالة النهضة بعد اختراق الثورة العمالية. كان زغلول تلميذاً للإمام محمد عبده، وقد جمع بين ثقافة الأرض وثقافة العرب، كما هو شأن أبناء التيار حيوياً. ولكنه افرق من بينهم تحقيق طموحات الطيف الوسطى وتوحيدها مع طموحات شراستها الدنيا في «ثورة» تعتبر من معصر القواعد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أقيم فوقها «النظام» المصري منذ الاحتلال البريطاني.

والمصدر الثالث هو شخصية مصر التي تأمل الحكيم تاريخها وجغرافيتها واستخلص من ذلك بعض عناصر رؤياه، فيها هو التاريخ الذي يصل بين حضارة موعلة في القدم وحضارات أخرى واعدة من

الحكيم
الشيوعية
والرأسمالية
كلاهما
مصيب
كلاهما
مخطئ

تستكمل الصورة التي رسمها الحكيم بعد اجهاض ثورة ١٩١٩ء بقول: «... والرأي عدي في علاج كل هذا الأمر فيه موكب يتغير عام يحدث في محيط المجتمع المصري من جميع توافحه... لأن الفساد جاء من عاصفة جاءت لاجلها، شوهت وأسيء فهمها، والعلاج؟ إنما يمكن في «عاصفة أخرى جاتحة من المياض...» تب هتفتم ما وقع... وتبادل الحكيم وكيف تأتي «العاصفة المباركة؟» ويجب بأنها لا تأتي بغير عاصفة استعصاء يستمرها جهاداً طويلاً ومحركة وطنية عجيذة كذلك التي تحتج النافذة لثورة ١٩١٩ء. وهنا يأتي دور البيت والمدرسة حتى تنهأ الظروف المناسبة والإحداث الثورة المباركة التي تقيم الوطن على أقدام الصحة والقوة والطمأنينة.

عند هذا الحد يستطيع من يريد أن يمسك بتلابيب النص ليقول ان صاحبه دون شك كان من أباء «الثورة المباركة» التي وقعت عام ١٩٥٢ء. غير ان النص الصريح في ضرورة الثورة لا يقل صراحة في ضرورة الاعداد من نقطة البداية (البيت والمدرسة) وان تكون الحركة الوطنية المهيمنة هي الجسم السياسي لهذه الثورة... بل إن الحكيم يعلت نظريته بقوة إلى ان قد نلتزم للنظام النهائي «لا يعني أي انقلاب بالغائه، فزوال هذا النظام يقضي إلى مشكلات لا حل لها، لأن هذا النظام ليس تدبيراً متعمداً فرضته إرادة معينة في وقت معين، وإنما هو نتيجة طبيعية لتطور فكرة السلطة الشرعية منذ فجر التاريخ...» إلى هذا الحد يؤلف الكاتب النظام اليابي ومفهوم الديمقراطية والانتخاب على صوره هو الوسيلة التي لا بد منها ما دام الناس مع أصحاب الرأي في تصويب حكومتهم بهذا النظام، يصبح ذات بدينامية بشرتوب الحكيم في ٢٢ مايو ١٩٢٠ء في «جريدة المصري» وأنها ردة مأطراً جاء به

«إلى يوم التقلت الديمقراطية، لم أضع أكثر من أولئك الكتب الديمقراطية الذين هموا في مرصاً واكتفوا بمعملون على بعض مطالب هذا النظام مشجون بربوح الرقبة في علاج الداء وتقوية الضعف... ولكن حين يتهدد النظام الديمقراطي في الصميم وتلاشي الخلافات والانقسامات ولا يبقى رحل واحد أو صاحب قلم وفكر إلا ان يهبط داءاً عن الديمقراطية، ناسياً إلى حين مآخذها، فهي النظام الوحيد الذي يستطيع ان يعيش ان طله فرد ذو كرامة.

● «الذي أؤس به إذن وأدعاه مع هو الديمقراطية باعتبارها مبدأ انسابياً لا نظاماً سياسياً الديمقراطية الموجودة في قلب كل انسان انقلب معنى حقوق الإنسان وصنى الحرية والكرامة الأهمية. ولذلك فعلى تحقيق الحكيم بنشر مقالاً في أول فبراير ١٩٤٧ء يلهمه والحلفاء الذين يسمون أنفسهم «الصالح الحر» وهم استعماريون عصريون، لا يتكروا للمستمرات بل يمتدون من وسائل الاستعمار، والغاية واحدة: استبعاد الشعوب. وتذكر الحكيم نداءه قبل سبع سنوات إلى رجال الفكر ويقول: «ما لها من خدعة، فقد أسس الله واقع على المبدأ وان الحلفاء هم حومة اللبادة، فقد كانوا «مخاريون» من أجل غرض لا علاقة له بقيم إنسانية، ولا صلة له بمثل علماء. كانت مأساة يروشيا وناكازاكي قد أصابت بصدفة عاتية. وكان اصرار الإنكليز على البقاء في مصر صدمة عاتلة

ولذلك كان المكثور في فكره بين ١٩٣٨ و١٩٤٥ هو استعادة

التاريخ من صفاتي «الإطلاقة» والتعميم، واستكشاف المضمون الاجتماعي للديمقراطية، لعل هذا المضمون يستكمل النص أو بعد الانسجام إلى «ديمقراطية المثنية».

في ١١ أكتوبر ١٩٤٧ء راح يقول: «لا أستطيع ان أنفسي تحت لواء الشيوعية أو الرأسمالية، فكلاهما مصيب وكلاهما مخطئ...» وكان ذلك كلاماً جديداً لمألاً، بل مستخدماً تقريباً، ما كاتب ليس عسواً في دائرة اليسار. وتحدد أفكاره في هذه المسألة على النحو التالي:

● «إن الثورة الروسية ليست سوى الشرط الآخر المكمل للثورة الفرنسية... الثورة العرسية هي ثورة وحقوق العرءة، والثورة الروسية هي ثورة وحقوق المجتمع... الثورة لمرسية هي ثورة وحقوق المواطن، والثورة الروسية هي ثورة وحقوق لوط»

● «الملكية والجمهورية تصلحان على السواء إطاراً للمحافظة على حقوق الإنسان والسياسات... الملكية والجمهورية أيضاً سواء في صلاحيتهما إطاراً للمحافظة على حقوق الجماعة والوطن»

هذه البداية، ان شئت، وليس ذكراً الكمال التي تروق وير المنتفضات توفيقاً بنشد التكميل، وليس التكريب... لقد تمكن الحكيم من ان يكتشف في ضوء المضمون الاجتماعي ما كان يحدس به من نقص في الديمقراطية الليبرالية، وهذا ما وصل به إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه معكر وطني آنذاك... الثورة الروسية تتكامل مع الثورة الفرنسية، ولذلك التمسك بال لا بد منها بل في مفهوم الديمقراطية... والملكية والجمهورية كلاهما يصلح إطاراً (أو مضموناً) لحقوق الفرد والجماعة والوطن... كان الحكيم يقول ذلك في ظل النظام الذي حينئذ تصبغ المساواة مع النظام الجمهوري في أي شيء، جرمية... وكان الحكيم يقول ذلك وفي ذهني أنظمة ملكية لا تهدم الدستور والقانون (بريطانيا، السويد... الخ) وأنظمة جمهورية (في اسبانيا والبرنغال غاشية الشكل والمضمون.

إذن، فما يسم الحكيم هو البرنامج الذي يتبع بالتكامل، وان بقيت عقبات رئيسية في سبيل التكريب، هي التي ستصاحبه من التأكيد الشروط لنظام يوليول في «هجرة الوحي». بل ان غياب التكريب من مشروع النهضة الناصرية هو نفسه الذي يستهي بها إلى الجريمة يقول في برنامجه المتضمن في مقال ١١ أكتوبر ١٩٤٧ء انه يريد ان تتحقق في ثلاثة:

- ١- حماية التعليم وحماية التطبيق.
- ٢- تقسيم الأرض إلى مناطق تعاونية يجري فيها البذر والزراع والحرق والسياد والمصايد والدراس بآلات حديثة وشجرة علمية.
- ٣- فرض الضرائب التصاعدية بقوة، وسدوا لو ادارت الحكومة مرافق المياه والنور والمواصلات وغيرها حتى لا يكون لها غير ربح زهيد.
- ٤- توفير المسكن الصالح والعمل للملاط، وفرض الحد الأدنى للأجر الذي يكفل للمواطن كرامته الداصر لكباب الوطن
- ٥- لا تطالب بالقضاء كلية على الرأسمالية، ولا تبركها لرحم وحدها في ثمة الاستغلال، ولكن لنجعل للعمل شعاراً يوجه به رأس المال «استغلي واشركي في الربح»

يختتم الحكيم هذا التصور بقوله: «هذا تخطيط بسيط فيأه الآن

في هذا الأمر . . . لست أسفل بأن يمكن أن يسمى بين المذاهب . . .
حسبي انه انهاء اراء ناعماً بمسور التنفيذ، أمل ان يرى ضوء الشمس
في بلادنا ذات يوم .

هل هذا هو برنامج لنظام يوليو ١٩٥٢؟

في محاولة الجواب لا بد من الاشارة إلى ان ما يسميه الحكيم
والحركة الوطنية الموحدة قد نادت بكل الأفكار والقيم والمبادئ التي
أعلنت الثورة الناصرية انها كقضية باتجاهها بدءاً من الإصلاح
الزراعي إلى التصنيع إلى تأميم القناة إلى السد العالي، فضلاً إلى ذلك
- وقيل كل شيء - الجلاء والدمشقر والنظام الجمهوري . ليس هناك
جديد عن هذا الصعيد سوى ردود الأعمال على الفعل الاستعماري
التصل . وكانت أفكار الحكيم من بين الأفكار الوطنية - الاجتماعية
الطروحة في مصر طيلة سنوات الحرب الثانية، وما بعدها .
لذلك، فليس هناك مفكر واحد أو حزب معين يمكن القول بأنه
وحده هو الأب الشرعي لنظام يوليو . كان سلامة موسى وطه حسين
وتوفيق الحكيم وفندي روضان وعبد مندور وعزيز المصري وأحمد
حسين وسخن البنا من أباء نظام يوليو . وكان الوفد والطلعية الوندية
والاعوان المسلمون والشعبيون ومصر الفتاة والحزب الوطني من أباء
نظام يوليو .

ولكن الذي حدث هو أن النظام الجديد اختار توفيق الحكيم،
بإقتضاه أولاً من بطش وزيره إسحاق الفهاني الذي قرر فعلاً فصل
الحكيم كمدير لدار للكتبة في حركة التطهير، فما كان من الثورة إلا
أن طردت الوزير . ثم يجرئ الناقد أحمد رشدي صالح على نقد الحكيم
في «الجمهورية» فتصدر التعليقات إلى رئيس التحرير كمال السندي
بوقف المقالات، وعلى عبدالناصر - بطل السويس في ذلك الوقت -
انه تأثر بموقفه الرابع، ويمنع صاحبها أحمد أرفع أروسة القلم .
نظام يوليو هو الذي اختار الحكيم . ولقد اشتملت إجراءات
النظام على والثورة المباركة أو المعاصرة المباركة التي نتابها الحكيم .
ولكن الحكيم لم يبق فقط بالمقررات الجديدة هذا النظام : العسكريون
في السلطة، وما استتبهم ذلك من العناء مدأ الحزبية، والثاء دور
المعارضة، وعبارة القمع . هنا حدث والابتلاء من جانب الحكيم،
ثم بعد ذلك تعادلية، وإيا أصبح الواحد الصحيح يساوي صفراً .
ولكن الحكيم لم يستطع اعلان هذه النتيجة التي قررها في
«التعاضلية» .

هل كانت هذه هي اللحظة التي عاب فيها الوعي؟ ولماذا نفهم من
هذه الكلمة معناها البسيط المباشر ولماذا لم يردك إبعادها المحتملة؟ لماذا لا
نفترض ان النظام المعرفي بعد توفيق الحكيم قد حال فعلاً دون اتصاله
بالوعي القادر على اتخاذ الموقف «المنسجم» من البداية إلى النهاية؟
هل يكني القول بأن الحكيم ابتلع الطغمة الذي قدمه النظام له
طبق من القفص؟ وكيف نفسر حينئذ أن «أهم» أعمال الحكيم قد
ظهرت خلال الحقبة الناصرية؟ هل شكَّلت هذه الأعمال وحياء
مستقلاً عن وعي صاحبها؟ فإين ينتهي الوعي الزائف، وأين يبدأ
الوعي الصحيح؟ ثم ان هذه الأحوال قد كتبت وحيأ آخر؟
لا يجوز لنا، أياً كان الجواب، ان نبسط مقولة «الوعي» الذي غاب
عن الحكيم وكأنه كان ناعماً أو شاملاً حين كتب «أهم» أعماله الفكرية

والتيه على السواء في تلك الحقبة .

وإننا نستطيع ان نفترض ان التناحية الكونية (مسألة القوة بالقوة
والمعدل بالمعدل) الساكنة (بمحبة التوازن والقائمة الداخلية) قد وصلت
بالحكيم والنظام . من طرفين مختلفين - إلى حائط ملود .
هذا الحائط هو البنية المعرفية الثانية - بعد التناحية - في تكوين
الحكيم وفكره .

(٤)

إذا كان اكتشاف الحكيم للمضمون الاجتماعي قد انشأ تفكيره
«الديموقراطي» في ضوء المفاهيم الواحدة على الخريطة الاجتماعية
المصرية، فإن مفهومه عن شخصية مصر لم يصل - كالتناحية الكونية
الساكنة - إلى درجة «التركيب» عما شكل عائقاً بتأثيراً دون «الوعي
الجديد» .

وما تبلى هزيمة ١٩٦٧ وأكادها غياب للتركيب من جانب النظام
بتعيق الابداع الديموقراطي «والانكسالات المترتبة على ذلك في
النظام السياسي» . بينما تبلى الهزيمة ذاتها وأكادها غياب للتركيب من
جانب الحكيم بتعيق الابداع الحضاري لشخصية مصر القومية
والانكسالات المترتبة على ذلك في النظام الاجتماعي .

هذه الوصل بين غيبة الوعي عن النظام وغيبة الوعي عن الحكيم
هي الحلقة الوسطى التي منطقت وعياً (وروياما) فكانت العربية بكل
الغايبين من تحتها أولاً، ثم حوسبها أركان الحياة الذي تأسس على وعيها
لأن

يشتكي وهي هذه الطبقة بالتاريخ الموروث على التاريخ، أي انها
تلمح إلى التنسيب للتأنيص للسلطان، فيقول الحكيم وأمة يزعمون انها
ميتة منذ قرون، ولا يرون قلبها العظيم بارزاً نحو السماء من بين رمال
الجزيرة . . . لقد صنعت مصر قلبها بيدها لعيش للأبد، وهذا هو
المرم، أول التلوث في صياغة بروج مصره التي يتبادل في عنوان ١٣
نوفمبر ١٩٤٨ هي إذا كانت قد فُتحت . ومن ثم يصعب لإنهاء مصر
جعباً وقلب واحد هو قلب أوروبا الذي لا يفتأ الحكيم يشير إليه
منذ التأسيس عن كتاب الموتى ذلك القطع الذي يتهدج فيه حوريس
قائلاً «اهبط، انفض يا فرعونيين» فيجبه هذا «أين نحن» إلى
آخر . ثم يصل إلى حد القول، استطراداً من «معجزة» الهرم - «إن
هذا الشعب الذي يحسه جاعلاً يعلم أشبه كثيرة، ولكنه يعلمها
بقلة لا بمقله . إن الحكمة العليا في دمه لا يعلم، والقوة في دمه لا
يعلم هذا شعب قديم . . . جيء بفلاح من هؤلاء وأخرج قلبه، ثم
بعض روايت عشرة آلاف سنة، من تجارب ومعرفة رسد بعضها فوق
بعض وهو لا يدري . . . نعم، هو يجهل ذلك، ولكن هناك لحظات
سرجة تغرق فيها هذه المعرفة وهذه التجارب فتسقط وهو لا يعلم من
أين جاءت . . . هذا يضرنا تلك اللحظات من التاريخ التي فيها مصر
تظهر طمرة معيشة في قلب من الوقت وباتن بالأعاليج في طرفة عين؟
كيف نستطيع ذلك ان لم تكن هي تجارب الماضي قد صارت في مصها
مصر العريضة؟»

وهكذا، فالقوة انفجار مكبوت تاريخي يطلق من «مصر كلها»

ابتلع الحكيم
الطغمة الذي
قدمه النظام
له على طبق
من القفص؟





وهو من حركته. وحين تبدو الأمور وكأن مصر تالمة أو أن بينها يتناحرون، فإن الحكم يرى أن «روح مصر الحقيقية لم تذهب» وهي قد تلام أحداً حين يسماء أهلها فلا يفرطوا وطناً ويمتد الرعا، فيقودها كلٌّ في طريقه، ونظراً في قوتها وأبدعها أو وحيتها إلى أن ينح لها «القدرة من الظروف والأحداث ما يدفعها إلى موحدة الغاية والسبل والقيادة». عند ذلك «يرى العالم المحب ويصيح الناس ويصيح التاريخ: انظروا لقد تكررت المعجزة، وجاءت الروح»

لتحول أن نغرز النسي من المطلق. أسامنا روح مصر وقليها الواحد والفرع من المطلقات. ولكن هناك الرضا، والظروف والأحداث والتم والتبدد والحيرة من النسيات. وهي نسيات تشير إلى وحركة اجتماعية سياسية داخل التاريخ ويفضله. ولكن الحكم لا يرى من هذا التاريخ سوى الماضي المستمر الثابت: الحرم الذي يقام الزمن كأنه خارج التاريخ. وكان الحرف الوحيد الذي رآه الكاتب (ثورة 1919) يجد شريته الوحيدة في المطلق، ومن ثم فهي ثورة لم تمت لأن مصر لا تموت. وهو يفسر الطبقة الوسطى التي أصبحت من الآن فصاعداً هي مصر.

إذن هو الخطاب المصري الأول في مقاومة الزمن. ومن ثم فهو النص غير الآلي الذي يتمتع بصيرورة التاريخ والراهن معاً. يستغل الدولة والسلطة في اتحاد المطلق بالنسي. لذلك يربط الحرم بالطبقة البعث بعد الموت. وهو البعث المؤبد، حيث يقهر الإنسان الزمن، ولكنه البعث المفاضي، في آتية وفاته. ومن هنا المصدر تهاوؤ الذي الحكم فكرة الطفرة في حياة مصر ونهضة، هو ليس فكرة «روح مصر» منة والقدرة: الذي هو الظروف والأحداث والأحوال وهو يموت في عالمنا لا في عالم آخر. ليس هناك عالم آخر عند المصري القديم، وألا كان قد امتد حرمه في السبع كالسبع لاندن. وعلمني ليست من مد العالم. والبعث على هذه الأرض، يعني الاستمرارية رغم الموت «الظاهري». والحضور الطائفي لصفحة الحرم هو البنية المرفقة المتعددة الأنساق لحضور الدولة.

والسلطة باقية خارج الحرم ودخله، ولكنها بالتحيط هي السلطة المؤجلة، فالتحيط بعد الحرم هو البنية المرفقة الثانية في مثل «الوعي» بالعلاقة بين الدولة والسلطة. يقول الحكم في المرجع السابق نفسه والتحيط اختراع دلته صبره الدفاني في تلك الحرب الصروس، صد الزس إنه يعني الشخصية الباشرة، فليس هناك توكيل أو نيابة لأحد عن شخص آخر، من يتم تحيطه هو الذي سيبت لا غيره ويوضع الطعام إلى جانبته لأنه سيقيم جالماً. ومعنى ذلك أن الزمن مستمر في حرمه من هذا الميتة أي التتم أو للمحل على يوم خاص يجمع فيه الإنسان كذا كان هو على وقته الحياة. وكما أن أحداً لا يتوب عن أحد، كذلك فالتحيط ليس رمزاً، إنه الواقع المعاني.

وليست صدقة أن بناء الحرم وكميابه التحيط ما زالا من وأسراه مصر القديمة. ولكن الحكم يراها - بالطبع - من أسرار مصر ذاتها، قديمة ومتعددة. إنها أسرار الدولة المستمرة والسلطة المتعرة، أسرار اتحادها وبضاتها والعلاقة الدينيية بينها، وأيضاً أسرار الموت والابتهاج في حياة مصر ولا أقول في تاريخها طالما أن الفلاح المصري

في وعي الحكم يتجزأ تراكمات عشرة آلاف سنة من المعرفة ولكن الحكم يكتسب لها المعرفة الحاضرة بالدولة والسلطة. وهو يتقن هذه المعرفة خارج التاريخ حين يصعب عن البنية الثالثة في تركيب الوعي الذي نحن بصده، وهو النيل وبها ويموت مرة كل عام موت ويموت، ويبحث عن موت، ومن هذا النيل خرجت أساطير البعث، وفي هذه الأرض البعيدة الدائمة الحبيب نشأت فكرة الحلود

وقد قال الحكم هذه الكلمات منذ حوالي نصف قرن، ولم يصب إلى ما قاله شيئاً بعد إقامة السيد الحالي وتوقف القيسان الذي أوصى إليه معركة الموت والحياة الدالين لمياه البحر لقد تمكن الإنسان من احتشام المياه الفائضة واستغلالها في شؤون أخرى كتوليد الكهرباء، وتوسيع رقعة الأرض الزراعية. في بعد النيل يفيض ويحب مرة كل عام. وأتينا سكوت وعي الحكم عن الكلام المباح حول دور تنظيم الري في إدارة الحكم، أي علاقة مياه الحياة - روح مصر - بالديمومة الدولة وقضة السلطة

لقد اعتمد الحكم بالتأكد على أن مصر قبلت المسيحية فالاسلام لانها يعترفان بالبعث ولقد رفضت مصر دين إسرائيل خلقاً من تلك التكررة التي لا تعيش مصر بغيرها، فالبعث هو نشيد مصر الخالد بعينه النيل في كل عام. ولم يذكر الحكم عيد وفاته النيل والتذكاري. وكان فدما المصريين يعملون به احتفالاً كمنياً فيقولون بناتاً حقيقية يسمونها عروس النيل في مباحه فداه له. ولم يبق من هذا العيد سوى رموزه الانشائية دون طفرته القديمة، ولكن الحكم لم يذكره لأن فكرة القلاء تعيد تركيب النظام العربي لسالة العلاقة بين الدولة والسلطة

(5)

كانت هذه الصياغة لشخصية مصر هي أكمل وأضيق صياغة فكرية ابتدعتها الطبقة الوسطى المصرية بشرائها المختلفة منذ بداية صعودها في العشرينات وحتى هزتها بين أواخر الستينات وبداية السبعينات.

كانت معادلة النهضة قد استندت كمنها لا حذر الثورة الوطنية الديموقراطية ووسدت «الصاعرة» وكانت طرق النجاة هذه النهضة باصافها الحاسمتين للعداء العربي والبعث الاجتماعي إلى مضمون هذه الثورة. ولكن الناصرية شيدت التدخل لفظ إلى هذا البناء ولم تستطع قط استكمالها، فكانت انقسام عرى الوحدة المصرية السورية عام 1961. وكذلك كانت نهاية الحطة الحسية الأولى للتنمية بداية لما وقع في 1967 أيضاً. ذلك أن عراب النهضة الذي يعتبر أدق حزمة الصيغة الديموقراطية لعظام يوليو دفعت بالبعدين العربي والاجتماعي إلى التراجع، والعصوة إلى شقة البداية - أي تحرير الأرض، الأمر الذي أجبر على مشروع تطوير النهضة وتويرها وأتاح الفرصة كاملة لاختصاص قوى الثورة الصاعدة.

كان توفيق الحكم وحسين فوري ولويس عوض وغيرهم ممن حلوا لواء التنائية البهضوية في إطار شحمية مصر المرتبطة بالماضي التاريخي والجغرافيا المتوسطية، أي بمصر القديمة والحضارة الغربية،

قد ارتبطوا مع نظام يوليو في صفة غير معانة بالسكوت عن البعث، والصيغة الديمقراطية. هذا السكوت هو الذي دعه توقيع الحكيم عام ١٩٧٣ بغية الوحي.

كانت مصر المصرية المرتبطة بالتحديث الغربي هي مشروع الطبقة الوسطى وحملها الذي تم تحقيق الثورة الناصرية. ولكنها على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي كانت تحقق ذاتها للمرة الأولى تخفيفاً استراتيجياً. وضابت الصيغة الليبرالية لأن طلائع الثورة قنعوا من المؤسسة العسكرية، ولأن وثوب شرائح الطبقة الوسطى إلى مؤسسات الدولة كان يستدعي اشكالاً متعددة من المراجعة الادارية والسياسية.

وبدأ كان لويس عوض هو الوحيد من كبار مفكري مصر المصرية والحداثة الغربية الذي دفع الثمن مرتين: بالخروج من الجامعة عام ١٩٥٤ ودخول المعتقل عام ١٩٥٩. وكان أول عمل له بعد الافراج عنه هو مسرحية «الراعب» التي لم يتراجع فيها عن أفكاره حول مصر فوري (وصيحت بمحو كل دماء) هم مصر الذين ترمعوا على عرش السلطة الثنائية في مصر ايمانية التي لا يؤمنون بعدها العربي ولا يتقنون صيغتها والديمقراطية هذه لمعارفة بين فكر هؤلاء ولكافة التي احتلوا في النظام، قد اثمرت علمياً (أهم) «ساحمهم الادب» وفي وكيفية (وهو انتاج التأييد للشروط أو الولاء التام للثورة). وفي لوقت نفسه كتبت «وهمهم الحقيقي، أوما دهاه الحكيم بغية الوحي. كتبت ومصريتهم، و«البريتهم».

ثم وقع التنازل بين هزيمة النظام. هزيمة الطبقة الوسطى أساساً. وبين هزيمتهم فبدأ الأمر كما لو انه هزيمة واحدة. ولكن الفرق بين الفكر والنظام، على صعيد البنية المرفوعة، كان مأسواً جداً... فيها استطاع حصر الثورة من داخل نظامها الاقتصادي على السلطة. تمكن أصحاب رؤيا مصر الجغرافية والتحديث الغربي من الوهم بأنهم اعتبروا وجدوا أنفسهم في نظامهم الصحيح الذي نادى بأن مصري حضارة الآلاف السبعة من السنين (وكان الحكيم قد قال عشرة، وكلامه خطأ فادح لأن التاريخ المكتوب لا يتجاوز الخمسة آلاف) ونادى بالديمقراطية والانتقال على الغرب. شيئاً فشيئاً بدأ الاقتراب من إسرائيل. وهكذا وجد المليون بمصر المصرية الغربية أنفسهم في وضع هذا النظام.

وفي البداية حين كان النظام يملن عن هويته الناصرية كتب الحكيم بيانه الشهير الذي وقَّعت عليه جبهة كتاب مصر عام ١٩٧٣ تطالب بحرية الفكر والتعبير. وبعدها بقليل كتب الحكيم «دعوة الوحي». وحسن أقبال الصلح للمفرد مع العدو الاسرائيلي بلوكه الحكيم، ثم عاد يلغعه حتى وفاته.

ماذا يعني ذلك؟ يعني ان هذا والنظام لم يكن في أي وقت هو مشروع الطبقة الوسطى المصرية، بل لعله المشروع لفساد هذه الطبقة بكل شرائعها، ولكن الوحي الجياني الزائف الذي أعاد النظام انتاجه أروعه ليعض الوقت انه مفلس الأول.

غير ان الهياكل الاجتماعية للطبقة المأسوية تختلف عن بُناها المرفوعة. ولقد ظهر لنظام الناصري مفكرو ونظرو من مدارس

فكرية مختلفة، ولكن الطبقة ذاتها التي أجداد السلام تطويعها لايديولوجيته في السياسة والتنظيم لم تعثر بعد جيل الحكيم وفوري وعظرو وعوض وزكي نجيب محمود على أبنية فكرية أرقى تحافظ على الحكم مكتبةً حياً وسفراً حياً آخر. ولم تكن صفة ان الماركس لم يجد بين الحكيم وعوض ومحمود من جانب والسلفيين من جانب آخر، لأن الحلم للكتوت في الظل الناصري قد أعلن عن نفسه أنيراً ولكن فوات الأوان

كان التاريخ قد عاد من المنى وأعلن انه لا يكرر نفسه، وأضاف ان معادلة التوفيق الكمي بين ثباتات معادلة النبهة قد سقطت. وليس الارهاب السلفي إلا كزهاب التفرغ، وبهنا لمعلمة واحدة هي انتهاء مرحلة الصعود بين تاريخ الطبقة الوسطى المصرية، وبالتالي انفصال عرى التوفيق بين تقاضاه الفكرية.

وكان التاريخ قد فرّ هارباً من معنى المطلقات وقال ان إعادة انتاج الوحي الزائف هي التي هيكلت شخصية مصر في إطار شعري - ميتافيزيقي يستهدف على أرض الواقع الاغناء على عرش السلطة وان راوغ في مسألة سلطة الدولة بالقول ان الدولة باقية والسلطة متغيرة. وهي الاطروحة التي جلبت توفيق الحكيم وبهله من أصحاب الرؤيا ذاتها إلى تعميم خيرة فوري ١٩١٩ على كل مراحل التاريخ المصري الحديث. وهي التي جلبته وبهله إلى فقدان الوحي، الطبقة بمقتضات كل سلطة وبطيمتها ورؤاها، فأصبح الحكيم بين الدولة والسلطة متعمداً في اللاوعي. ومن هنا لا تصبح «الأنظمة» إلا تحولات سطوتية مختلفة ليدلوا ذاتها، التي هي مصر في النهاية. وقد يكون هوساً بالتمرد على السلطة، ولكن في الحدود التي لا تسمح بالتمرد على الدولة. وهكذا، فإن التأييد للشروط الذي قدمه الحكيم وبهله للسلطة الناصرية، كان الجزء الأول منه تأييداً للدولة والجزء الثاني شرطاً على السلطة. ولكن التزديد بينهما سمح صلياً للسلطة الأخيرة ان تاكل الدولة البقية. وطبع مفكر الطبقة الوسطى عن الوحي الشامل هذه الطبقة وانتج أدبه في ظل الوحي بسلطة الدولة. وكذلك كان الأمر في التأييد غير المشروط للنظام الجديد، فقد كان إدانة عفوية للتأييد السابق. ولذلك كان بيان الحكيم ودعوة الوحي، كتاباً واحداً في حقيقة الأمر، لأنه توهم استمرارية الدولة والسلطة. واحتاج منه الأمر إلى عشر سنوات ليكتشف في الثابتات ان السلطة الجديدة لها دولتها، وأنه لا يتعيّن إلى هذه ولا إلى تلك

سقطت الثابتات في العهد الناصري، وسقطت المطلقات في العهد الذي تلاه. ولم تكن مسألة توفيق الحكيم كقدر، بل مسألة طبقة ورؤيا جيل كامل، تحطمت آماله في الجميع بين الحرية والعدل، لأنه أراد ان يشهد معرفته من خارج التاريخ. ولما حاول استعادة التاريخ كان الوحي قد تزفّف. فلم يسأل الحكيم عن الحكم ولين للتعرض حتى نفيس التبادل والاختلال باليزان الاجتماعي، ولم يسأل دولة من وسلطة من حتى تعالين التوازن أو والاستقرار بآعين الاجتماعية. كان الاطلاق والتعميم ذروة الغاء الآخر وابتلاعه باسمه والفكر في وأحمد. ولكن والواحد الصحيح يساري صفرًا. هذا التناقض بين اللطاف والنسي هو المصدر الأول لتشاؤم الحكيم، وهو نفسه المصدر الأول لحصرة التي انتجت أكثر من سبعين كتاباً في طبعة تراثا الوطني. □

مأساة الحكيم
ليست فردية
بل مأساة
طبقة وجيل
كاملين



العرب ألغوا العقل قبل أميركا

على هاشم

عربياً مسلماً، وهتك عرضه واستباح حرمة ما دمر إمكاناته وثرواته، بعدما سرق ما سرق، ثم تسبب -

وهو فصل حاسم - في جر السلب الاستعماري الأمريكي / الصهيوني، إلى الكرم العربي للدفاع عن الشرعية العربية قبل الدولية. وفوق هذا كله عرض بلده، لأكبر عملية تدمير في العالم، حتى غرقت وعظمتها وجبرته واعتزاز به حصص وخزوع لا مثيل لها في التاريخ، حتى إذا قال له المتحالفون الآن: «نحن ظهرك، امش على أربع..» للعل. دفنك جيشك لقل، «دارم أسلحتك (التي دفع لها شعب العراق ثرواته وبمه) أرمها في الزبيلة للعل. لكن المتحالفين يقولون له قوة عموده يستطيع أن يثق بها عتق أو رأس من يرفع رأسه من أبناء شعب، لا حياه بل ليسويو مع الزمن جلاًداً لشعبه، وقد فعل هذا، تنهيدة لأوامرهم.

وحتى يثبت صبري حافظ أن عقله مُثَل، يعطينا مدحاً بعد يؤكد فيها ذلك. لطير احتلال العقل المصري بعد زيارة السادات المشؤمة للقدس، يعرب ألقطه عن نشر الفساد نتيجة للتغلغل الأمريكي في مصر. مع العلم أن الفساد الواسع والمنظم والمدرس والذي أدى إلى الكارثة بدأ في عهد الرئيس عبد الناصر. فقد بدأت في عهد مرحلة «الصحراء الأخلاقي»، والرئيس الراحل ليس مسؤولاً شخصياً عنها، إلا بقدر التغاضي عن فساد رجائه، بدءاً من الراحل عبد الحكيم عامر، مروراً بكبار ضباطه الذين تولوا «العصا القوية»، وبعث «القومية العربية»، وعسكرة العنصرية، وما أخط بالقوة يستد بالقوة. فما استدر هؤلاء شراً بل اغتوا عنوان مصر وثرواتها. ومع ذلك بابي السيد صبري حافظ إلا أن يميل الفساد في مصر للأميركيين وعملاتهم (إن سعتهم الترسية في مصر. مع أن الشواهد والشهود من عهد الرئيس الأسبق الراحل يؤكدون ذلك.

ليس دفاعاً عن الأميركيين، فهم ليسوا أبناء، وعسوتنا ولا مع أصحقاتنا. ولطائفهم الصهيونية معروفة. وهم أصدقاء صديقهم كل السؤال هو لماذا أعظمهم العراق حجة ليشعلوا وقد أنشروا مرات ومرات، وأهلوه مرات ومرات. وتدخلت لديه مصر ووجهه. لكنه بقي مغروراً متعاليّاً، أحق، داس كرامة بلده. إلا إذا كانت الحظبة والشنجية تحفظ مثل هذه الكرامة. ثم إن القول: ما دخل أميركا وفيها؟ السؤال يجب عن نفسه. فكما هناك من خاص، هناك أيضاً من عام. ولا قلت مُلّف العالم وانتع على مصرعيه.

وسد النطق المعكوس فيلسف صبري حافظ كتاباً لم يقرأه. فهو يتركلم عن الجاسوسية؟ في عهد الأقرار

موجة الصنع إلى حد لا يطلق في القطب الشمالي لكان اللب ذنب حلقاه الرئيس الراحل عبد الناصر. ولو تشقت الأرض في اليمن السيد أو حل الجفاف في السودان، لكان اللب ذنب مصر وعقلها المحتل من قبل الأميركيين والصهيونية. وأما هنا لست في مجال عبورية الكاتب صبري حافظ واتجاهاته، فهو حر في أن ينظر إلى مصر النظرة التي يريد، عملاً يمينياً عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلد عربي.

أما عندما ي طرح صبري حافظ نفسه كاتباً قوسياً وغلط الحابل بالتابل (ولا الأروق) ويميل الطامع طاملاً وأماناً مقرباً والمعتني مخطئاً عنه، فهذا شأن آخر كما أننا يميلُ لأننا منذ الحق، يظلُّه تقي حذاً الجني، مع أنه هو الذي ساعد على زحف الباطل ما لنا. صبري حافظ بدأ مطالته بجملة حل حرب تحرير الكويت فسيأها مواجهة عند (البوابة الشرقية للامة العربية). وهذا يجي نسبة إلى شملوات لم يعد يؤمن بها أحد، مثل غيبة السوي واحتلال العقل وإضعاف الذات القوية، شملوات أكلمها الزمن وويل، شملوات حق يراد بها باطل.

بعد المطالعة الرومانسية العاطفية، يمر حافظ وأندني على وزارة السادات المشؤمة للقدس، ثم يجي مرحلة السلام، ونحن معه أنه سلام إسرائيلي، لكنه ليس السلام المسؤول عن تدهور أحد من الأمة العربية، وإقاديها في الاحتلال والتفكك. . . ويعدا يصل إلى القصد من مقاله وعن «التردي العربي إلى حد أن قطاعات عريضة من الذات العربية لا تفتح فحسب في خندق أصدائها وإتيا تحارب كذلك في صفوة، وضد أبناء أمته وقد أهما تغلغل سموم المدوي في بؤر العقل المُثَل السليب عن رؤية ما تقتربه في حق ذاتها وفي حق مستقبلها من جرائم هذا هو القصد. من كل مفاته. قصد الفعاع (وليب أو لأخر عن نظام مرق الأمة العربية وأحدث الشرح في صفوة المسلمين في العالم، واخصب بلداً

■ لا تعرف بعد قراءة مقالة السيد صبري حافظ الذي نقد أو قلّم أو أهال المصحح عن كتاب الدكتور رفعت سيد أحمد (صلياً وبسواسي: التدخل في الشرق الأوسط الأمريكي / الإسرائيلي في مصر - الناقد العدد ٣٧). لا تعرف هل قصد بعنوان المقالة احتلال العقل العربي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية، وألغى العقل المصري العربي بالذات، أم أن عقل الكاتب صبري حافظ هو الذي احتل بالذات من قبل أفكار سابقة، غطت حل هذا العقل وحجبت عنه كل رؤية للواقع وألقى بسمت تله، أرواح يتة في معميات حليمه وتضاعت تجاوزها الزمن، وإلى ذات نظرتها البها نظرة واحة وحللتها تحليلاً واقعياً، لرأينا أنها هي احتلت العقل ومنته من التفكير وسالت دونه ودون التفكير المنطقي الحقيقي، ثم جاءت بعده الوقائع الجديدة التي أوردتها كتاب الدكتور رفعت سيد أحمد تريد في التي، وتبيل طبقات جديدة من الضباب تمنع الرؤية وتفتح الرأي والوعي.

وبوعي عقله مثل ربط صبري حافظ مفهوم كتاب الدكتور رفعت سيد أحمد بالمرقة التي لا تزال دائرة عند والبوابة الشرقية للامة العربية، أي ربط ما حدث وحدث في مصر من احتلال أمريكي / صهيوني للعقل المصري بمسيرة تحرير الكويت. كان هذه المرقة جاءت نتيجة للاحتلال الفكري المعادي للفكر العربي وللعقل المصري بالذات، لا لعقل السيد صبري حافظ نفسه. وهكذا من دون منطق ولا وهي ولا عقل ولا تفكير، يري، حافظ النظام العراقي من استطاع، أو خطيته الكبرى المثلثة باحتلال الكويت وجبر الذب الأمريكي إلى الكرم العربي يراة أو من دون إرادة وصبري حافظ واحد من الكتاب الذين تخلفوا سابقة أو لاحقة، لا هم، إلا الطعن بكل نظام خلف نظام الرئيس، عبد الناصر. حتى لو أن السباه أسطرت في بتلاش واستيت في حدوث فيضانات قضت على كل شيء، لكان اللب ذنب عهد أنور السادات أو عهد خليفة حسني مبارك. ولو ارتفعت



بقيصات التراب إليها، على صوت أحدا الذي تنصت دور القس، حيث راح يقرأ، بتلثم مشعل ردي، نضاً من كتاب العهد القديم: «إذا سرت في راي، ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي، عساك وعساكرهما اللذان يزياني».

إلى الجانب الأيمن، اجتمع التسعة صيارس طقساً مشابهاً لتلك التي تقسم بها أمهاتهم وجدتهن: الطفق على الخنفور والصفور، هيل التراب على الرأس، الككاة والنواج. كتاب قبيلة رخل قتل إليها، قراحت تكرر طقسها بجشون وحشي، سحياً للتخلص من ذلك الأحاسيس الذي دامهم أفرادها، بأنهم معلقون بين السماء والأرض، يلتصق بعضهم ببعض لا إرادياً، خوفاً من تلك الهوة، ومن ذلك الفراغ المجنون الممتد بلا مبالاة ورواءة، مسترجعين تلك الأصرة التي كادت تختفي، ييساً، ستمها وطفاً أو أي شيء آخر...

لكن المفارقة، رغمًا عن ذلك، أطلت براسها علينا. أولئك الفرنسيون الذين ساءوا على أرض كانت جزءاً من وطنهم الأم. قد أصبحوا غريباء فرتها، ورتها الذي عاش غريباً على تلك الأرض قد أصبح أجنبياً مواطناً من مواطنها.

حالة السنين يعيشون في المنفى تختلف عن الآخرين الذين يعيشون في القرية أو المهجر، إذ أنّ أرباب منهم تظل مفتوحة أمامهم. إنهم يحققون بذلك التواصل بين الماضي الذي يسكن في دهايز دكرتهم، والحاضر المتعلق في بلاد أخرى. الحالة التي يعيشها المتقنون مخالفة لتلك، أنه الانقطاع التام بين الماضي والحاضر الذي أصبح تسمى لتشتت بالماضي، عبر الأحلام، عبر التعلق المتطرف بأفانٍ قديمة، عبر تكرار وجبات الطعام المحلية بشكل احتفالي، عبر زيارة مدن مشابهة لتلك التي تنتمي إلى الماضي، عبر المشايات في منى المدينة المسووة الواحدة، فاته من جانب آخر، غور تطلعات العيش اليومي، قوة المداغة التي تمثل الحاضر، عبر الدراسة، العمل، السكن الجيد، ما يراه المرء من أماكن جديدة، أو عبر تعارب عاطفية جديدة. كل ذلك سيفعل ما يمكن الذي تظل الذاكرة متعلقة به، والتي به تظل جذوة الحياة في الأضداد تمت بكهنة حاصة لوعيتا. فكان المرء يجد نفسه مقسماً بين قطبين يظنان سلاصين له.

رما يتر الشاعر سعدى يوسف، في تحنة مفاد الأولى جبر تغير عن هذه الحالة إذ بعد عروجه من العراق في بداية الستينات، استقر في مدينة مسيدي بليبار، الحجازية لما يقرب من ثمانية أعوام في ديواته ومعيداً من السماء الأولى، نجد أن العراق حاضر في معظم قصائده، تعبيراً عن حالة

جدة؟ (أي يتطلع إلى دولة). تفصل ياسيد صيري. هكذا نظام. وهكذا عقلية، مما سبب التزوي العربي. لا مقولة الجوايسس والملاءة والفلانك التي تريد أن تغطي بها السلوات بالقيارات. ياسيد صيري حافظ!

وفي الحتام، واعتراضاً بالواقع اللزير. قد تكون الولايات المتحدة الأمريكية أو الصهيونية حاولت احتلال العقل العربي أو للعصري، لكنها فشلت لسبب وسيد. إن العقل العربي لكأن العرب قبل احتلاله. هذه هي الحقيقة، وإن كانت جائرة. □

الصناعية، حيث لا شيء غريب في بطن الأرض أو عليها

ولا بد من إيراد مثل من التجسس «العربي» يوماً، كان شخص يقف في شارع أبو نواس في بغداد.

يمتع نظيره بنهر دولة. فتشاهد الثمان من غابرات النظام الذي يدافع عنه صيري حافظ، فاختلا، وشوّل إلى عكمة عسكرية تحكم عليه بالأعدام. ولتتهمة: التجسس، هل من على دولة! وتتلل الأفرار للثورة: فرد قواد، فرد داسوس، شلون يناع

الفردوس الموهوم كتابة في المنفى والذاكرة

لؤي عبد الله

لقد شملت المصاحبة أن يكون «صغرت» مسجياً وان يكون صغرياً دفنه في مقبرة المسيحيين، إرضاء لأهله الساكنين على بعد آلاف الأميال عنه، بعد أن عرقلت سلطات بلد إرجاعه إليهم. ووسط دحشة مواطني «بليبار»، الذين كان معظمهم يظن أن كل العرب مسلمون، تم الترجمة إلى مقبرة الرومين، كما يسهمهم الجزائريون. وما بعث الأمم في نفوسهم، أن يقرر عري من المشرق عاش وعمل بينهم سنوات عديدة، الانضاء أجيراً ووجن استشارتهم، إلى الطرف الآخر: الفرنسيين. في الدنابل، واجهنا مشهداً مذهلاً، إذ ما الذي يحدث لبقعة شجرة، حينما يتركها البشر عشرين عاماً بسلام؟ كانت الشجار السرو ترسم طريقاً طويلاً، وقمعة تقارب تدريجياً حتى تغطي في آخر الشراخ، مكونة ديراً يصل إلى السماء المظلمة الزرقة. خلف عني الأشجار، تمت نباتات مختلفة متداخلة مع بعضها، دون انتظام، شقائق النعمان، والشرجس البري، مع نباتات اللبلاب والعقن. التحيش التمشق مع الأتروك البجافة، شجيرات الميموزا مع العبير الصامت والطويرو احتشدت هناك بكثافة غريبة، العاصف، العتدل، طائر الحناء والشحزير. كان ذلك المهرجان الذي أقمته الطيور مغنيراً لحالة الذين أحاطوا بتلك الهوة، وهم يرمون

■ تصاب مدينة وهران في إحدى روايات ألبير كامو بواء الطاعون تتعلّق بوابتها أمام سكانها، ووراء من كان خارجها، أو من استطاع الهروب منها قبل هزلا من المدن الأخرى. فجأة يصبح البدين في الداخل مغنين عن العالم، والبدين في الخارج يصبح العالم مغنٍ لهم. ما يتبع ذلك وصف لسكان المدينة في مواجهتهم للطاعون: التحولات النفسية والمكرية التي يمسرون بها خلال سنوات المحنة تلك. من هم خارجها لم يكونوا موضوع الرواية. والشؤال عما حلّ بالهالرين من وهران إلى المنفى الأخرى، لم يكن هم الروائي السدي وجد نفسه مجبواً داخل أسوار المدينة المورمية. حادثة واحدة قدمت لي الإجابة عن هذا السؤال. كان ذلك في مدينة «مسيدي بليبار» التي تفصلها عن «وهران» مسافة خمسين ميلاً فقط. وتلك المدينة لا تبدو أن تكون قرية كبيرة، تترافق في مركزها المحلات على هيئة خطوط الزموني. وبجولة قصيرة في السيرة، يمكن اكتشاف معالمها البارزة: ثلاثة حمامات، مدرستين ثانويتين، وثلاث حانات تُغلق بعد الساعة السابعة مساءً. في ذلك النهار، من نهاترت نيسان المبهجة، امتعت، لأول مرة، طيرة القرنسبين منذ عهد الاستقلال، لاستقبال أحد المغنين الذين قتلوا في حادثة سيارة.





المفاتيح والرجس المتوحش.

إنها حالة المضي الذي يخترق السطح ليصبح جزءاً من الكيان الداخلي للإنسان، حيث الماضي والحاضر يقفان خصمين متقابلين، وحيث الحين هو الجسر الذي يربط بينهما ربطاً وعبثاً. الكتابة الشرة في المضي تتحدد على الأغلب بثلاثة أشكال. الشكل الأول: حينما يتبن الناص أو الروائي المدن الجديدة التي يعيش فيها إطاراً لفصصه، الأبطال غالباً ما يكونون مفقودين من بلاده أو بلدان أخرى إضافة لمواطني البلد المضيق.

الكتابة الثانية: تدور حول بلاده، وهذه تكون عبر استقطار الذاكرة قطرة قطرة لإعادة ما هو في الماضي، لاسترجاع المدن التي عاشها في طفولته وسراقتها، وهنا تتدخل المخيلة للام الفجوات وترقيعها.

الشكل الثالث: تحويل الماضي إلى واقع

أسطوري، طالما أن اللازم لدى الكاتب مُعَدَّة عن الصدن التي تشكل فيها. وطالما أن الحاضر يقف أمام الماضي كحلم والتمسك صحيح أيضاً لذلك فمناصر كالثقافة والتاريخ والوطن والديني والأساطير يمكن أن تتشابك مع بعضها من أجل خلق واقع فني مغاير للواقع الحقيقي. هنا يصبح الكاتب بقعة تقاطع عناصر كثيرة، قد تبدو للوهلة الأولى متافرة فيما بينها ولكنها تندمج مع الماضي والمخيلة منتسكة في بناء متجانس

إنه سعي لإعادة بناء العالم المضيق، تأسيس الفردوس المفقود الذي لا وجود له في الواقع، والذي سيقيم هزاً كبيراً للقارئ والكاتب معاً. إن حياة أي فرد حدث استثنائي لا يتكرر، وأي فترة من حياة المجتمع هي أيضاً حدث استثنائي. إن قدرة الأدب على التعبير عن هاتين الحياتين فيها ليعبر إنجازاً فريداً واستثنائياً في حد ذاته. □

الحين المتواصل. الذاكرة تزيل كل الشوائب التي تعلق بالوطن الأم. ومع عودته إلى العراق، استيقظ النصف الآخر الذي نما كالفضيل خلال سنوات منفاه. يعتبر عام ٧٢ حاسماً في تجربة سعدلي يوسف الشعرية، وثمرته كانت ديوان «الأخضر ين يوسف ومشاهده». الطاقة التي كانت وراء إنجاز ذلك الديوان الرائع، هي طاقة الحين المعاكس.

إذا أجرينا مقارنة بين الأشياء التي يستعملها سعدلي يوسف في الديوانين منجد، على سبيل المثال، أن الغرق الأبيض في «وميداً عن السماء الأولى» بخلاف النبيل الأحمر الجزائري في «الأخضر ين يوسف». التخلّ مقابل التصوير، القنوت مقابل البحر المتوسط، الدفلى والرازقي مقابل

سرققات أدبية



رغبة جامحة



■ لم أر أحد قبل خروجي المبكر على غير عاداتي. أنهيت بهيات الصباحية. ارتديت ملابس. تناولت إفطاري وحقيقي على عجل وأطلقت منجني إلى مكان عملي. صحت باب اندوار الخارجي الذي يفصل ساحة البيت الاستميتية عن الشارع. أحسست برغبة جامحة في نص دوس **حسبتها في صبري**، وكشطت لمة نحو الخارج. حالت في اللقطة للأرض. في البدء ابتسمت. وأهت بصقعة على شكل قيمة. قلت في نفسي:

«لا بد أن صادفها ونظفها لمصيف عفا عمر عن بوجهها إلى أحد.»

ألقيت بصره على الرقائ. لم أره أحد سوى رخص عموأ يلتصق بمصطف قدر قائم اللون. يعني طهره ويرفع رأسه ويغضض عييه. أسرعت في سيرتي. وحسن وزنه أعقب عليه بصره حاسية حاصفه. لمحت بعمق ثم بصق على الأرض بقوة.

دهشت براء تصرفه. انجسه سرأ بالحنون. تجاوزته وتابعت سيرتي حتى التفتع الرقائ على دوار مشرع لرياح الجهات الأربع مرّ بعض الأطفال بحسني. يعمرون حفاة جلدية أولي خنراء من ملابسهم. انبروا حتى كانت أنفاسهم تلقفي. راقبتهم بلا صالة. رأيت أوسطهم يهق على الأرض بقوة، وزميلي يعلنان مثله.

تلقت حولي. رأيت الرصيف ممثلاً بشئ صوف المصاق الذي افترض بقعة بحجم غيمة أو بركة أو سيارة. توقفت مذهلة. تسرّرت في مكاني والفتت خلفي. دفقت الطر في المسافة التي اجتريتها لتوي. كانت أيضاً كذلك. بصقعة صفراء هاء وأحرى رمادية هالك.

ومن بعيد رأيت امرأة سمينة ثوبا طويلا، وترخي على رأسها منديلأ أبيض، تسير باتجاهي.

واللحة»

تختمت وسألت في نفسي «هل ستصق؟؟».

تلقت حولي ثانية. لمحت حاوية رسالة على بعد خطوات. ضعت باتجاهها. كتمت أنفاسي وقرفضت خلفها. سمعت وقع خطوات المرأة تقترب ووقع غفقات قلبي ترتفع. ثم صوت شيء ما يسقط ويلصق بالأرض. كان صوت بصفتها.

خزعت من مكاني. رأيت بصقعة رمادية أمام الحايوة. لم أتحرك. طلعت أحقق إليها وهي تتحول إلى تل يعلو. تراجعحت للجلع. اصطدم ظهري بالحايوة السوداء والتل أمني يرتفع. رجفة سمعت صوت حاملة قادمة. استندت نحوها. رأيت ركابها عابسي الوجوه. رجلاأ وثيابة وأطفالا. وقبل أن تقترب، انخرجوا رؤوسهم من الترافذ.

«سيهقون»

صرخت وأطلقت أجري قدر استطاعتي. هاء هناك، دون اتجاه محدد. وكلما مررت بشخص. رأته يصق. إلى أن اصطدمت به. وانفجحت التل. سه الدهية في قمع تلعم، وريق مسحر في عييه يلتمع أيضاً. لم أملك بصي ووجدني أبصق بقوة في الهواء.

سامية عظموط

كاتبة من الأردن

هل يوجد أدب فلاحي شعبي حقاً؟

إبراهيم فاضل
باحث من سوريا



■ قبل البدء على هذا السور، دعني،
علياً أن أسهر بأكثري التي تشكل كمال،
أي أن يحمله إلى عاصره الأولى لأن معظم
الاحداث التي حدثت بين شين الحديثين أو
الشعورين ترجع إلى عدم توحيد
مصطلحاتهم وتعرف موضوعاتهم
ولذا اكتشف هن مرابي قصدي من كل كلمة وروت في نص
السؤال.

كلمة «أدب» أهمي بها ملكة تنصص صاحبها من الخطأ في صناعة
الكلام «أدب» ومن غلوش معرفته به
وكلمة «شعب» أهداف بها إلى كل جماعة من الناس تتوحد بطبيعتها
وزادتها ولا يعيها الكلي حول طب واحد. فإني أحيي شعب،
لناية الجزء من الكل، كما أن التسلسل الصاعد من الفخذ إلى البطن
إلى العنق إلى الصفة إلى القبيلة ينتهي بالشعب، وربما مرادف انطلق
من العشرة أيضاً.

وكلمة «فلاح» تأتي في صرف اللغة من العمل «فلاح» الذي به
يتمسك رفاقه الأفعال في لواحقهم، أمثال «فلاح» وفلاح وفلاح وفلاح
وفلاح وفلاح... وكلها تعني حركة العنق في مادة ما. واسم الفاعل
منها «فلاح» وصيغة المبالغة «لأسم الفاعل هي «فلاح».

وقد وردت كلمة «فلاح» في قاموس البستاني وعيظ المحيط كما
يلي: «الفلاح: الملاح والحراثة والمكاري. ويطلق عند أهل المدن على
كل من يسكن الجبال والأرياف كيميا كان.

ويذهب باشو اليوم إلى أن كلمة «شعبي» تقابل «عامي» أو ما
يختص بعمام الناس ضد خواصهم
وهذا يتبادر إلى السمع سؤال ملحاح: هل يتكلم العرب عبر
تاريخهم الطويل لغتين لكل منهما «جملة» متميزة عن أختها؟
والجملة، عاقرو وحيدة تامة، إن في اللغة أو في الرياضيات أو
الفيزياء الرياضية. فحين مثلاً من «جملة» الأرض. والأرض بدورها
من «جملة» الشمس. وراكبو السيارة من «جملة» فإذ سقط كتاب من
أحدهم سقط أمامه وكان السيارة واقفة رغم سرعتها أو طربها. ١
وهكذا، ونساء على «الجملة» يتكلم العرب خلال تاريخهم
للمعروف لغة «خاصة» يديء في تمحيصها منذ مطلع هذا القرن، ولغة
«عامة» يديء بإفانها فور تمهد شقيقتها.

ويطلق على اللغة «الخاصة» اسم «الفصحى» وقيل إن استعمال
«فصحى» خطأ شائع لأن لفظة «فعل» لا ترد على «فعل». ويطلق
على اللغة «العامة» اسم «الشعبية» وخاصة في مثل هذا البحث الذي
نحن بصده

وأرجو أن لا يتفاجأ القاري المتبصر عندما يجد معنا أن لكل «جملة»
لغوية منها قواعد وفردات خاصة بها.

ولعل اللغة الفصحى كسب الزمان لأن قواعدها ارتبطت بالكتابة
«فقدسة» أو «لرسية»، مما دفع بالتحويين والفرسيين واللغويين إلى
سدس «رسمها» وتغ مغايرتها وتبني نساها، إن وجد، والتسليم بها
منحهم مع «رسميات» أعداد، ومع الفيزياء حركة، ومع الكيمياء
لكسوية. اشتقاقاً ١

إلا لغة «الشعب» فقد خسرت لكثرة لحياتها وطوائف استيعابها
من قصور وسائل الاتصال القديمة، ونجاح الحديثة منها. فهل
«دمج» الشعبية مفردات وقواعد «حقاً» ما هي أسباب لحطم
هذه الجملة وضباب أو تكسر قواعدها؟

من المفيد أن أعرض على علماء اللغة ما رأيته في هذا المجال
وكانت البادرة الأولى تنتمي من مدينة «بيلاد» أن صحح نطقها
هكذا ١.

«بيلاد» مدينة تقع بين «حلب» و«دمشق» القائد الأكاديمي «نزار» -
سين- منذ أكثر من اثنين وأربعين عاماً، بل حرفها كما حرق توابعها
وتوايحها. غير أن مكتبة «بيلاد» كانت من الرزم الفخارية التي تزيدها
الار قوة والسعر بقاء.

في عام ١٩٥٥ عثر فلاح عربي سوري كان يقطن أرضه قرب «تل»
مربيعه على حوض حجري كان يمتلئ آية «بيلاد».

وفي عام ١٩٦٤ جاء العالم الكبير، استاذ علم الآثار وتاريخ الم
في الشرق العربي، بجملة «دراسة» البروفسور «هالو ماتييه» والتزم
بكشف المدينة في ١٣ أيلول من العام نفسه.

وي مطلع تشرين الأول من عام ١٩٧٥ عثر العالم على المكتبة التي
نصم آلاف الكتب الفخارية والتي ترصد حياة الشعب بين عامي
٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ ق م

وبدا العلماء المتخصصون في تحقيق هذه الكتب الشعبية. وسهل
الامر عليهم وجود «معاجم» لغوية تجمع بين لغتي «أكاد» و«بيلاد» أو
بالأصح بين مصطلحات العاصمين مع ضبط اللفظ. وراحت

وسائل الاعلام تصفي إلى ما يربح من أخبار الكثر الثمين. وكان الاعلام السوري بغيلاً. ولكن بعض الصحف تورت هنا وهناك مقطوعات من مُرد الكثر. وتحرك الاساتذة؛ وطور، وشي، وشجاعة، ويقاقه وغيرهم بأصدا نثرت أو ترجع أو تعريب معلومات من المدينة العريقة.

وكانت تتبع الأخبار بمحق وجب وتحليل وترقب، مع شديد خيانتا تعريب المحققين، أقصد أن يكون محقق الرقم الايلوية عربي اللغة على الأقل.

وانتشرت الاشاعات حول لغة وإيلاء وكأنها غير عربية حتى كاد يسلم بها على أنها غير عربية. وخاصة عندما نصب لها أعداء والمعرفة ابرافاً تبث في جميع لغات العالم تشويشاً وتشويهاً لوجه وإيلاء مع إعطائها دموعاً ومزقة.

وحدث أن استلم محافظة وإدلبه إنسان يصرف قيمة هذا الكشف، ويقدر جهود العلماء حتى قدرها، فاعتنى بأعضاء البعثة، وأعاد لهم بعض كرامتهم التي جرحها الأهمال من قبل المشرفين على الآثار.

وما لا أنساه من فضل له، هو أنه دعاني إلى إدلبه لاكتفي بالعالم الغد بأبولو مانييه ورفاقه العلماء المحققين والمؤلفين والشاعرين على تالذ البشرية.

ففي إدلبه وفي دار المحافظة بالمدات كاد الفناء. ودار حوار بأربع لغات؛ الايطالية، لغة مانييه وضائبة وراقية، والانكليزية والالمانية والعربية.

فوجيء الجميع عندما قلت، أحاور أحد العلماء التجار، أوجيء سورري بيلم في بريطانيا، والكلام بلغة عربية - انكليزية - لغة إيليا هي اللغة العربية التي نلهمها الآن - والمحافظة الشامية لا، لا، لا، أبدأ. لغة إيليا إيلوية فقط، تقرب من بعض اللغات العربية كما تقرب الأكادية والكنعانية.

كل ما ذكرت من أكادية وكنعانية ولاكاشية وأوروية وبابية، هي هي، لغة والشعب العربي.

ما الدليل؟

هات كلمة، أية كلمة، وأنا أرفها لك في هويتها العربية. كلمة ID و ID و ID، وهذه تعني بالعربية كلمة Yador و Yador و Yador، أيها المفسر (D) فقط. أجسست ورفضت صوتي لسمع الجميع، وأنا أرجو من رفاقي اتصال ما أقوله إلى العلماء باللغات التي يمكنهم التفكير بها:

لطفاً، أيا الأستاذ الجليل، إن أسرار النطق العربي حمية عك وضاحية ما تستحسن في الانكليزية diphthony والتهجئة phonetics ما جعلك تحملي المطابقة بين الكلمتين العربيتين اللتين أحداهما من والمحافظة الشامية والثانية من والمحافظة الرسمية. فلو أنك اشعست الحرف دا من كلمة ID (إذ) فجات معك وإيدته التي تنتمي إلى الشامية مقابل ويد في العصحية.

وانضمت إلى طيفها الكريم، والتست منه تقالاً: هات وإيدك! فمديده ما أراح محوري الجليل ودفعه في طريق الاستفسار مثلاً: كلمة shelata مثلاً، بالانكليزية Threw والعربية Ramo.

وهي إيلوية. فمن وإدابه من مثلاً.

وعنا أيضاً الخطأ في استخدام أحرف العلة والخطأ بينا وبين علامات الأعراب والشاء. فلو أنك لفقت كلمة مثلاً، بعلامات أعراب بأحرف علة لكنت مثلاً، التي هي من الجملة الشامية، تتألف درس من الجملة الرسمية.

وانضمت إلى أحد الجلساء طلب منه أن يشفه في لغة الشاع بما قطع فكرتي عن لغة وإيلاء كلمة عربية دفعة ثانية، ثم جات الثالثة والرابعة. . . وهكذا إلى أن ضحت باب التفكير في الطروحي اللغوية.

وفي لقاء آخر جرى بيني وبين «أبولو مانييه» ورفاقه، بادري العالم الايطالي الكبير بسؤال حول عنوان خط في كتاب كان قد وضعه تحت نظري.

كنت قد أكدت أن لغة إيليا عربية بتفرداتها. والآن ما هو رأيك بقراءتها التحرية. انظر، اقرأ هذا العنوان المكتوب بالاطالانية pro-nome interrogativa ونحوه كليات أو عبارات ثنائية المقطع؟

mi-No? mi-nin? أين هذا من اللغة العربية؟ أيا الأستاذ الفضيل، إن العنوان يعني وضائر الاستفهام والمبارات تُقرأ بالعربية: مي - نا؟ مي - نو؟ مي - نن؟ وهي فعلاً، وضائر الاستفهام في الجملة الشامية. فإذا أردت أن تسأل عن الشيء قلت: مي نا؟ مقابل من هي؟ في العصحية. وبأن السؤال من المذكور ميتو؟ مقابل من هو؟ وكذا: مين؟ مقابل من هم لو هن؟

وقد كانت الكتاب في يد لي، وأنا على أديمي، وكنت فمت أن أفسر ليدهل عبار المقاد وركوبي لأفسر ما يؤكد وجود وجهين لعملة اللغة العربية؛ وجه شامي له جمل مفردات وقواعد، ووجه فصيح رسمي له مثله.

والوجه الشامي أو الجملة الشامية هي التي ستكون مدار بحثنا ويوساطتها سندرس الأدب الفلاحي الشامي، بل لا بد منها لإدارة بحثنا القصيد، والسفري، والمغني، والزجل. . . وبقية الأثر والاساق الفنية.

وهكذا نكون قد أجبنا عن الشق الأول من السؤال مؤكداً واقعة وواقعة الأدب الشامي ككيان مستقل عن الأدب الفصيح ما يدعونا إلى غيبته بلسرداد «هويته» و«شخصيته» التميز عن شقيقه الأثني التزمت أحياناً.

لما عن حوضه الضالحين في جنان الأدب الشامي فسألي وقت تحدثت فيه طويلاً لنحرك، على مسرح الشعر والراب، والتواحد، صبايا وشباب الأدب الفلاحي بإبله الشامي على موسيقى والأغاني والأغزل والقصبة والورادية. . . وعلى المرأة العاكسة من خلف الحامي الحاملة سيقوم مهرجان الأدب المتمرس الذي تطاول على أقدام نصية تكاد لا تحمله بعد أن دانت فوافيه فانتشرت على قراءات الأسطر مكتكة على دعائري ومراة لولية.

تحدثت عن الشعر الفلاحي في فنونه، على وجهي طيلسانه. وسرحل مع الشعر الفلاحي إلى أقاصي الأمل المنشود في انتاج وغير. ونراقص شب المسود الوجداني على عيط الحذاء والمجنية والفرقة والمغنا والمولية وغيرها وغيرها من فنون الأخائي وأغاني المتون. □

لغة إيليا هي
اللغة العربية،
نذكرها الآن
تجديده
الاستيعابية

خمس زوايا للدائرة

زوايا الأولى

صورة معلقة على الحائط



■ صورتي معلقة على الحائط، على الحائط معلقة صورتي كان شكلها أفضل كانت تصطاف في برمانا ما كان أسهل لبنان، أقمضت حينها كأنها لبنان القديم أمامها

الصورة المعلقة على الحائط تنسم بكبار، تنكم على نفسها؟ لم تسمح لشفتيها أن تعلما للعالم لكل الدنيا، لنصها، للإطار أنها فرحة سعيدة؟ لو لمثل ذلك لما اختلص الأمر هل تريد لأن وفي هذه اللحظة اللحظة اللحظة أن قد بعدها تريخ الصورة، لو لمثل ماين صمها؟ صورتي معلقة، فهي لم يكن في يوم ما من دهي المنزه، للحشو، البعيد، الغريب، المحصر ماذا تريد أن تقول عن ذلك الماضي؟ كنت به نفس وبهني وبنت، دهنه يديها المتصنعت ولكنها صيغت قبره أقسمت آلاف المرات أنها لن تعود إلى دهي، بكل أحراره وأفراده ثم أتم بكنك اللمهد والوعود والقسم. بمن تقسم؟ تتعرض كل من تعرف. الإهراء! المايل! المحصر! الغريب! البعيد! الكل انتعد وهي كذلك ابتعدت لم ترد الابتعاد كانت نصر داليا (هل ان قرب الدار حبر من المدم) ولأن تنكشف ان قرب الدار ليس سابع إذا كان من بهواه ليس بلدي ود. (تدوايا بكل شيء فلم يشب ما بناه) الأقرال مرصعة، تريد الغرب من أهرائها؟ كشفت العربة حقيقتهم أكل غريب للغرب سبب؟؟

الصورة المعلقة على الحائط تقول كل شيء ولا تقول لها شيئاً. لم تخد يديها تريخا هذه الصورة؟ أين تريخها؟ أين تضعها؟ نشحها إلى الوطن، الوطن مغلقة حدوده، هل تستطيع يداها، مها امتدت، فتح الابواب والروافد باب البناية الحديدية ثم باب البيت الخشبي، وجلب الصمد، اتصل إلى الطابق الثاني؟ كان يومه الطابق السادس وكان باب الساية الحديدية مسيحا وعبر مسيح بالزجاج.

أجيا تريد؟ هكذا وبكل بساطة، أكدت حقها في الاختيار بين أبواب النايث التي تمتد على ساحة لبنان وساحة الوطن! الوطن، انه البيت، الفرقة وزر بسيط بقلب الليل إلى يوم مهي. ولبنان البيت؟ تبهرت محتوياته وضاعت ثم. ثم لا تزال صورتي معلقة على الحائط، تنسم نصف ابتسامة، لم يعلق على نصف الانسامة هذه، كيا علق صديق معتق في يوم ما، يوم بعيد كمد الرض وقرب قرب الرض. الزمن ضيق توقيتة فتوقفت عقارب الساعة، وظل حرس يمان كل ربع ساعة انه ينتظر الربع الآلي ليحلى زواله.

ليت الساعة تتوقف، والزمن ينتظر، وصورتي المعلقة على الحائط، تنزل وتسير قدمها حابيتين إلى هناك. أيها هك؟ أين هو هناك؟ أهو لبنان أم هو الوطن. صورتي المعلقة على الحائط، تعرف لسان ولكب لا تعرف الوطن. حلت من مكان ولدتها إلى هذا البلد الغريب. الصورة لم تقرر الهجرة وهي، صاحبها، لم تقرر لها هذا الرحيل. أغرو فاضلها لها هذا، فاستسلمت وبقيت تنسم نصف ابتسامة. شحنها وهي معلقة، ظلت أنها ماتت وفجأة رأت الكرتون يراح عبا ومسياراً يذق، ظلت نه سيدق يديها على الحائط. بقيت هناك، لا تصعد ولا تنحط.

وهي جريت الصمود وجرعت المطرد، كانت تريد مكاناً ما، على الأرض تنق عليه قدميها وتعلن: هذا بيتي أضغط بكل قواي على بلاطه. قسم من الكرة الأرضية امتلكه. تنطق؟ كانت في لبنان وفي الوطن تضع قدميها على أرض شقة معلقة في القضاء. لم

شكري الأمير
قاصة من العراق



تصنّف الأرض عليها بيوضة واحدة. وهي منذ أن ولدت، عرّلت أبا شتقى معلقة في الهواء وبحكم أنها مستقرة على الأرض، ولكن الزلازل كان يكتم ثبوته لتفاجيا جبرّة تشلّص لها ولكنها لم ترسخ أبداً، لو وضحت .
صورتها معلقة في حائط في بلد غريب، تبسم نصف ابتسامة ألا تستطيع أن تغير المكان أو ترجع الأكران أو تدبر وجه الصورة إلى الحائط . . وبعد استدارة لعلمها غير مستحيلة، تستأنذ الزمن لتجّري له عملية تجديل جراحية لا تشهدها؟؟

حوالي منتصف آب ١٩٩٠
أميركا

الزاوية الثانية

الصحن البيلي للذهب

تحتُ الحُرارة، امتدت يدي إلى صحن بيلي مرصوف بالماء اللهب الحُرارة مكسوة بالأواني الصبّية والكريستال القصص والذهب والمخضّر والبايد والمعلم بالأكران . أحسّست بالغة غريبة مع كل هذه الحوامد التي لا تحس بشاعري، ولكن الصحن البيلي اللهب مدّ يده لتساعد يدي على الإمساك به . رفعت، نلتقه، نظرت إليه بسحبة لا أدري بعدها ما علقها وزمنها، ولكن ما أذكره أن الصحن كان مكسوراً فكيف التأم الآن؟
من أسأل عن هذا الصحن لغربي في هذا البلد الغريب؟ هل جمعنا العربة؟ جمعتي العربة بكثير من البشر، فلم أحسّ بالغة مهم كما أحسستها مع هذا الصحن الذي كان مهشّياً فاقصّص؟
أغمضت عيني، رأيته موضوعاً على سطح منصة عالية ونحت دسلياً مشعّلة بالإبره، خشب لونه عصف بلسم نقطة أعرفها وأجدها

ما الذي جاء بالصحن إلى هنا؟ وكيف اعتدل؟ سمعتها تقول . أنه صحنك الذي اشتريته للتين منه ألا تتذكرين؟
فجّرت كلمة (تذكرين) كل ما عملت جهدي لسيّانه وضّلت وألعبت وفرحت وأرتحت إذ سبّت . ثم هكذا ومن دون انتظار تبرع الشمس على كل الغلام، لتفني دنيا حاولت بكل وسعي تمجيح حيناً عجزت عن إزليها، طلّقت إليّ يد نبت الأكثر وإذا بي لم أنس إلا الأكل
إني لمسك بالصحن البيلي للذهب، الذي كان مكسوراً ودعّ عادي أصيلة لصحيح بر يدي . ولكن أين هي يدي؟ وأين أنا؟ صاحبة، تنادي عليّ أن أتخلّده لأني لا أجد، هذا الصحن، الذي لا أجد، من اسمها الآن، صاحبة، ففكر كل كراسي الاشواق إلى الماضي الذي صام . ثم وجدت ثراً منه سائلاً . أصرّص عليّ استعداده؟ هن الصحن البيلي السلس هو كل الماضي الذي تحب عليه ويؤزقي ضياهه؟

بدأت تتأمل الحُرارة من الرب الأعلى، هناك عدد من فتاجين القهوة، أعرفها وهي تعرفني تماماً . حين أمسكت بواحد منها، أحسّست دفء القهوة يتسرّب إلى يدي . سمعت نفسي تقول هذه اشتريتها من شارع . وهذه من محل . . وهذه حليتها من البلد وثالثة ورابعة وخامسة . كنت من هواة جمع فتاجين القهوة، بحيث يتلازم لونها مع لون أثاث البيت بزواياه المتعددة

هل رحل والتدثر كل شيء؟ المعاجين توزّعت بأعمال على الرف
الرف الثالث لعظام لوعة الطعام متعدد أحجامها واحتياجاتها، حامي هدية حيناً انتقلت إلى البيت الجديد! البيت الجديد! البيت الجديد! أين هي عرفة الطعام؟ أسرعّت أفتح أبواب العرف، وأرى معروشاتي وحوائجي، في غير مكانها المحترّم فأركضت إلى لأخرى أفتح بسهولة صبة، عن غرفة الطعام . اصطدم وجهي بإف لم أره من قبل، فتحت، رأيته أختشاً من اللاتات البادر الثمين الذي أحب، مربوطاً جواراً للانتقال . هذه العرفة الموصوفة فيها أشتاها، يجب أن نحلّ لتسكنها الخادمة الجديدة التي لا ترعى أن يشاركها أثاث عاشر عراً ورقاعية . الخادمة الجديدة تشترط أن تكون العرفة لها وحدها لتزناح فالأثاث المكسّر يعرجها . غرفة الطعام التي تمت طوبى لا التعتيش عينا، مع الإصطفاء، ثلاث سعة العرفة في البيت الجديد، صارت طاولتها سطحاً تكوّنت فوقه الموائد والكراسي المصانة عن حاجة البيت ثم كان ملكي؟ ما هي حوائجي الأخرى؟ أبا من الكثرة بحيث لا استطع أن أحصيهما وقد طال غيابي عنها وغيباتها عني ست سنوات.

عدت إلى الحجر . وبساطة مرعة مرعة رأيت الغضائيات والكريستال ومسافس السجائر وأعطية الطاولات بكل أحجامها، كانت ندرة الوجود فكيف تعاملها؟ المتأنف والشراشف (الكثير منها غير ملبس) ولكنه هنا باهت الأكران من كثرة الغسل .





وكففت من المرء، سقطت فردة من حذائي، وإذا أدبرت ان أضربها في قديمي، رأيت سجاني الكبيرة والشيبة والأحب عني، مزوج عليها اثاث لا اعرفه. أضربت الورق. هيكل الاثاث هو الذي اعرف ولكن بحبيدي الموزعة عليه، وتزيت الوضع تغير ما الذي تغير؟ الدنيا لم السجادة لم الاثاث أم أنا؟

دخلت كل الغرف، بدأت بالسقف، رأيت كل زياتي معلقة. على الموائد التي احب، قناديل الاضاءة التي اشتريت. عرف الدم معلومة يا كان لي. حتى العرقه البيضاء، التي تعرف احلامي وأزقي وفراة التي سقطت هنا. أفرج الحزاة البيضاء، مرآة طالوة الرية. فوق كل هذا، وفي كل هذا، ثياب ليست لي وعطور لا استعملها والصندوق الخشبي الصغير المزين بالصدف كان هناك. لم احفحه

وأنا أخرج من العرف، كانت قدمي تمشيان على سجاني الأحيل الكثير. ونظري لا يتوقف أمام اللوحات الزيتية والسيراميك وصانعي الخشبية الكبيرة، المحور حشها بانقان أو الطعم بالحاس المنق أو الصدف. تذكرت كم تحولت في الاسواق، لسنوات من عمري أفش عن مرايا جميلة تلائم الصناديق وعوايد تلائم القناديل وأحواض زرع بحاسية مرحوة و... وكله انتقل إلى هنا عدا الزرع الذي ربيت واستبدل برزغ غريب لا أريد التحرف عليه. القناديل الشرقية العتيقة النادرة توزعت على للدخل وهل رف اللقطة.

المزهرات بأحجامها المتباينة والمصنوعة من السيراميك والكريستال ومن الطين والأثرية. تورعت على كل مكان هنا، وفي هذا البيت الذي ليس لي، سترتي تنظي كل توافقه. لم أستشر في طريقة وضع حاجياتي وأنا صاحبها! هل كنت في يوم من الأيام صاحبها؟ متى كان ذلك؟ وكيف صرت أفقد كل قطعة فأراها هنا على دوق لا يتلام مع ذوقي.

الصورة المعلقة على الحائط، وحيدة في بيت آخر. الصورة عرفت انها غير مهمة هنا ومع ذلك بقيت تبسم نصف ابتسامة ولم تعبس. أسعدنا أصحاب ذاك البيت لأنها بمرفهم هي الأهم

أحبست بدوار شديد عاشتسخت له الأرض لم تحمل وقوي وأصبحت على سفوطي إلى قاعها. لم استغرب اصرار الأرض، فأنا مددة واقفة لا قدرة لي على الحركة أرى بعيني كل عر بر عل، فخر ولا استطيع إرجاعه إلى وطنه لبنان.

ولكن المصحح اسير لدي كان مكسوراً، رأت سالماً منحنياً، ألا يمكن ان يكون هذا هو الواقع الحقيقي وكل ما عداها أضغاث أحلام؟ هل كان من الضروري ان يكون الذي ه أضيفت أسلام ولا يكون مستقبل للأحلام أو حاصر للأحلام أو مضى أحلام لم تمت؟ لا لا لا أعلم، أريده واقعاً صديقاً مهما كان وقته المؤلم أو المرح. ولكن حقيقة اني أريده كما هو بوفقه الحالي؟ لا لا أعترف اني أريد ان يعود لي الماضي واقماً أحبه وأحلم بالزبد منه؟

متصنف لب ١٩٩٤
اميركا

الزاوية الثالثة

مسرح

إنها لا تنف على مسرح، ولا تنتظر لحظة انتهاء فصل لتسند الستارة. هي لا تلعب إلى غرفة المكياج، لتغير ثيابها وتشكله كي ينسجم مع دورها في الفصل التالي، ولا تستريح كلما كانت ذلك الدور وجبنا يتهي الفصل فهي تدرى كم قصص سبيله حتى تنتهي التشيلية وتتسعد أذنانها لسامح تصفيق أو عدم تصفيق الحضور للمسرحية التي أعلن عنها وعن مؤلفها وخرجها وممثلها وعنوان المسرح

لا... انها ليست ممثلة أو تستطيع ان تكون ممثلة انها انسان ترفض دوراً يصطف لها فيه ودوراً لا يحبب الجمهور. الستائر دائماً حوفاً وجين لا يسُند الستارة، المسؤول عنها، فهي التي يجب ان تتسحب وتكون تحتها ذراعها للمسحب. قد تنجح في ذلك وقد تفشل. لا يهم إذا عجزت ذراعها عن السحب. لا تخشى غضب الآخرين أو رضاهم، فهم لم يدفعوا شيئاً لتجارتها الناجحة أو الفاشلة.

لبنها كانت ممثلة إذ يتحمل المؤلف بعض أسباب الفشل أو ينحملها المخرج أو المسؤولون الآخرون وحتى المؤلفين معها تمت ذلك فهي وحدها مع الآتي ومع الذي عرفت ورحل. ومع الحاضر الذي لا يؤخر. لا يؤخر؟ متى كان الزمان صديقاً نسر له يومها، تحمله عن أمانتها وخوفها فيصمت إليها بأعتمام؟ متى كان الاصدقاء والأهل صانعين في لغتهم عليها؟ أي ملامسة كف بكف تصانف أم في قبلة لصق لحد أو على المواد؟



وبحاجتي، ولصق كفي، مسافات من الأزمان والأجيال والبحار... والقراخ تفصل بيتنا
تتمرت أسس سجادة كانت ملكي، وشررت من فتحات قهوة كان لي، وأطقت سيجاري في معصية كنت أحبا، ومددت يدي
لأنشعها بمنشفة كانت في حرايتي، فأسحب كيلا الأمل الحراة التي لم تعد لي علاقة بها، وهي في عرفة عربة كإحساسي بالفرية.
أرى قديمي من حيث لا أدري تتعدان إلى أرض لم أعد على السير فيها.
سأوقف دقائق قلبي، وأستق أنفاسي، وأضبط عيني حتى تتعميان وأطش شفتي حتى تتشقق وأجلس في الفضاء لتلا الأمل
ما صبرت لتلكين
دقات الناقصة ترتفع من جانبك، ولكن الزاد لم يحضره أحد. بدأت المناقصة فلتعترف، ولكن الزاد لم يحضره أحد. بدأت
للتناقصة فلتعترف، لا أدري كم سيكون فيها عاسرون ولكنني أعرف اسم الرابعين.
ما أهمية للفرقة فيها يأتي كل هذا متاعراً
لأعترف إلى أنا من هؤلاء المتأخرين.

أعترف ١٩٩١
أميركا

الزاوية الخامسة

الزاوية الخامسة؟؟

أهي الزاوية الأخيرة؟ غلشت أنني تخشعت من دوامة الدائرة حين كان لها أربع زوايا
الزاوية الخامسة تطل على بقوة وجبروت وصعوبة. إنها تقترض نفسها وهي وثيقة أن لها كل الحق في أن تعلن عن وجودها وعنفها
وعنفها وشكوكها
أقوى لو استطعت أن لا أسحب، لو أهرب لو أغفر لو أهاجر... بل لو ولم أتحاف كيلا أفتعل مع روايا أخر من الدائرة
أنا في الطائرة، أسافر من هيرسون إلى واشنطن، المسافر من بن جواردي، بناس، أبو، بطن أبي أكتب رسالة غرامية؟ ولأنها تلح
علي، نسب لا أصرف معه... فلماذا أكتب عن زوجه (الكابكس) بعد أن مشيت بقية عن ورقة في حفية يدي علم أجد غير العلم؟
أنا داعية إلى أين؟ إلى عروفي أكثر مما رأيت؟ ججود أنل بما أحسبته؟ غيبة أمل تعادل ما لقيت هناك؟
وإذا عدت إلى بلادنا، فهل أنا وثيقة بما سأجد هناك؟؟ يظهر أن هناك هو هناك في أي مكان كنا، شرقاً أم غرباً، أنه هو البعد
نفسه.

ما أنسى المسافات، وما أكثر غفلتنا، إذ نظن أن الحية لا تعرف عمقها إلا ساعة الفراق.
ساعة الفراق لحظة، ثانية، دقيقة، وإذا طالت فهي ساعة وما يلي ذلك، ذكريات ناقشها بمداخلة لتتطلب على العقل. البعد
جفاء، هكذا يقول الفلاس ويؤكد ذلك الرأس، فإذا بقي في أيدينا إذا اتفق الطرفان؟ الامتحان الحقيقي هو بعد المسافات.
مسافات تسمح لنا أن نفرد بأنفسنا إذ نل مداهم بالعجيبين إذ صاروا قريبين. المسافات البعيدة هي الاعتراف الحقيقي بأهمية الراس
الطويل في نسيان الأحياء الجعنين.
ابتعدوا وابتعدنا، وابتعد الزمن وطال الانتظار، حتى صار ضحراً ثم فجوة ثم حفاء ثم ارتياحاً واستغلاًلاً وأخيراً... وبتمت
القراخ بأحداث جليلة وأتاس جديدتين.
من كانوا قريبين صاروا أبعداً بعيدين. هل سمعتم يوماً عن حرب لا يمكن الإعلان عن وقوعها؟ الفلام يحاف على سمعته،
والظلم لا يريد الفداء في متاهات الصراع. ليس هناك هدنة ولا وقف إطلاق نار، ولكن الطرفين التزم، دون اعلان، بالتظاهر
صحية لا يكادها ليمضها؟
وإذا كانت الحرب ليست اعترافاً والحية ليست فعلاً فهي تحمل هذه القضية. إنها قضية خاصة، خاصة جداً بين شخصين ولعل
اثنين بواحد أو العكس، كان هذا الواحد هو الأقرى لأنه كان يعطي والأل، وقد انتهى المطاف ثم أخذته عنه، صار هذا الواحد
لا يملك حتى الشكوى
سيصمت ويصبر بصمت. يلعب إلى مكان الذكريات ليفكر أن ذكرياته لا تسمح التذكر. □

٢ نيسان ١٩٩١
أميركا



نتوءات

غادة الأسعد
شاعرة من سورية



ليلاً
يرتدي نباح الكلاب
كيف ساقمه
أنا أن يفتي عارياً في حضرتي؟
حقاً .. انه مطر
لقد بلل روعي كلها

ها أنا أتمسك
بتنورتك أينما البلاد
راجية
أن تقدمي لي - فقط -
مساحة قبر

لا نحاولوا
لا .. لن نستطيعوا
أن نخلعوا يد حبيبي
عن ركني
إنما كللسيح على الصليب □

■ أن تشعل أصابعك المبللة بالله
أليست هذه حكمة
أن تكتب قصيدة على زجاج الهواء
أليست هذه براعة
أن ترتكب جريمة وأنت وحيد
أليست هذه جرأة
أن تصدمك فكرة سرعة
وأنت ذاهب لموعد غرامي
أليست هذه ...
كفى

أيها القراء والكلاسيون
أليست هذه قصيدة؟! □

حبيبي أسنانه بيضاء
وعظامه نائلة
لا يتكلم
ولا يقترب مني
حبيبي هذا ميت!! □

نهاراً
يرتدي بحراً أجرب



تويعات في حق السيدة ناتاشا

سليمان محمد جمال
المغرب

الآنسة المعروضة بكتيك صاحت: يا بني ساوي عمو بالقران أسود خيس تستدير ناحيتي سابقاً وتقول: صحيح الزان عبدة أنت فقط!!
اللعج عرف سلاله من الوجوه التي تصحت الآن اثباتها من وسامة البيت الكبير. ترسبع بعد احتفالها التوايلي إلا نهائيات هزيلة من الأثاث وصور صغيرة وتتوسطها الحجم أكل حوانها الغيار وطابع غريبة لم تزل لصيقة بها. هذا كل ما حكته.

ما أتذكره، يومها، في ذلك اللقاء أني لم أكن أعرف أنها ستاتي في تلك الموصافات الحلاوية الشفافة غائت. ليس من شك، أن اللقاء كان رهين رغبة رصينة قابعة في الدناخل وهفوة بعناية فائقة، مخزناً أن نشعر، نحن الاثنين، باختلاج فسيح، فقدرت في حساباتي أن له لمة صلة باللوح. لأنه كان في جملة هذه الرغبة العجيبة، قابلية من نط غريب، تشبه صدقة عجمية أو حفيظة راودتها ضرورة خاطفة، اقتضاه لمعلون، لا يجرّي أيادها أية إدراك حدث وليد هفلة صغيرة نادرة الحفظة البغلة الكبيرة الجامعة المربوعة بيت لم ناتاشا الكبير ولقوانه

تحت مسطحات راكمدة ولفطة لا تشبه في شيء، منشآت وبرطبات الإستهلاك اليومي، بقدر ما كانت مبرهية وتضيق اختناق تزلت إذن الفرائض استحككت بأجواء للقمامة المعلقة مارست وهان الشفرة تكالبت على كل أمرت تمت بصلة إلى ناتاشا قررت إذن تصيد قدراتي، تدبير عملية المسح، تجفيف طيف الوصية المتكسرة مني، البحث عن أثار السوشل السبائي، بصيانه، كانت العملية حالة نكوصات صرعة إلى المؤخرة، لأن من يعشق ناتاشا يصير طلائعياً. كنت أرغب في أن أنتهي إلى طينة عرق، طيقته دوماً متغلقة على ذاتها، لكن ناتاشا علمتني، أن أكون كتابير أجوف كشخص بنته ضابطها اللاني في علاقتها بالأخر، في علاقتها بالأنوات التي تمتشج في بطنها. دون مناسية أحياناً أمن إلى اللطافة التي تغب فيها ناتاشا على كسها العالي لا لتبالي وأكون سامعها مناً من الوافطين، والواطية بعد حين يعلم كما يقول للتل، ويكون لي من حفصو الدخان ما يعميها أكتش في موقعها الجوهري ذلك ما يضيء لي عن أشياء موسية وتكية جداً. تصاميم عبارة عن براعة مريدة في أجراء جسدها العنيد كلام مريض تتساقط فشره توجبه لأحدهم، إيهات متورمة من كثرة الحفصو والشاشة مثلاً أملك الطعام كلام يبادد ويترار فيه أمام المرأة. فأزها الإفرنجي الطفيف لماق بكفها والمسود الشعر يبيها بالقولقة. أوصاتها على الحمل حين تلقني بها إلى آلة الفسسل حل ذات الكعب العالي، استعداعات عذبة تزود أننا حين نسب لا نرى. وليس كذلك ناتاشا!! □

ناتاشا. لقد حفظت كل ما ولتبه عن ظهر قلب، جنحك كل صباح في ساعة مبكرة إلى طست اللقطة لتقني خفية عبوة التذم المحسوسة بين أضلاع جسمك للحلاكي التي ربا سيجكها الشكل بعد حين. والأشد، لما حشوت المشط وقرزت السمن في اللقطة التي كانت بيك اليسرى وصليبت الزوند فخرجت الطلفة خائفة واتطبع الوغد في وسط الباحة صريعاً. تقو عليه.

ناتاشا. لذي أسباب صالحة لآسرتك أنه مرة انتظرتك وقتاً طويلاً على رصيفه اللقطة دون أن أكمل فأحسست يومها وأنا استكين إلى حضورك الذي لم يشرقي بعد كما لو تحولت إلى لقطه ريشة متعقبة في صراع القديم استقلت على الاستنك أثاراً بيا أيتها لا يبيح لي احتفالات الربيع من جديد لا ندين أن نحررت سائتاً وأنا الغني أترش في نقي صورة مجهول يجرق هذا السهو الكبير بالصدقة أو يوهنا. لكن حل من يا ناتاشا يا حبيبي فحماً الصورة التي أتت الآن عليها فجزرت بالهي تعليقات قديمة توحاً من رطانة الروايات الوردية التي تكال. مثل هذه الحلات: وجه عايس ومتنفخ. حزن شامل. لونا التورة والقيص أسودان إلخ مثل ترضين لنفسك حقاً هذا الشخص!! قولي أسامي الآن وطبعاً لا، يا حي يا حبيبي والتي تكشيرة وجهك هذا المودل ولقني الحزام حول الخفية رعباً يا نطق فلين تزيين جانيك كل هذه الصور وتايسن الوضع السابق للصصبي والتليد. أصارتك، النسيان أحياناً كاتل بكل شيء، أم هل لي أعطلت؟

٢. ملجج ناتاشا

لتر داهمني صورة لوح صغير منحوت من غيب الصراع كانت ناتاشا قبا تتخل عنه يتبها أيتها حلت كشي. يستدعي الفتة. يتصرى لي من خلال اللقطة الوجيزة التي ألتقدها أحياناً بجرورها على السير كما لو فشت على صفته قبيلة من ظلال الأشكال الممككة والملمعة ومن منحى آخر تحت أشعة الضوء كنت أتبي

١. قلق ناتاشا

هيا ناتاشا. تعالي. تعالي واجلسي قرب علولتي. انهي تالكسك بجروراي وأريضي حل سمحتي مرق الطاطم هذا إن أردت. لكن بالله عليك لا تدلني من استعانة ووشي لا تفسهيا بطق البياض اللاتية المنسلة من فتحات رداك. ووشي التي الآن تصعد ومن بدأ تصعد وبسجد ما تعلق تنفسك موسوعة الوقت تحتها مباشرة إلى فترات بالية وشرائح رغبوة مترامية حل حافة مدار زمن زاتي. اغتني القرعة واحكي في مرة ثانية عن سرايب منزل أمك البقيض. أمك التي ارتقت إلى سس الأربعين فصارت قطعة ومنساعة ومحول سلوكها، كما وصفت في عنها، إلى شبه تحركات متحيزة لا هدا أليها شيئاً وتكون في الأغلب تامة للمضي إلى أقصى ما يمحزن أن يتصوره المرح من الجيش واليش في احتفالات الآخرين. طبعاً حالك متنت ولا تحيد الإلراج. فما قولك في أن نتحدث في السياسة أن نتحدث مثلاً عن صفاتي بلالاد الدين يصحبون صراوة اللعبة ويروسلون حوانهم الحسية عبر الخريطة لتويخ من أقصى نهمه بنهم من الحظيرة واكتسب هزلة هزات فاككا المشيرة على حد قولك. عن متفني والإقصاء والصدق عليه بمرسوم علمي من طرف الدولة عن زبالة المدينة فانيها الذين يشار إليهم بملجحات مفرضة. عن الجوارب الفرنسية التي أعديك أياها بالساحل الموريتاني وضغطها لديك رجال القبعات السود أتذاك في قلب الممر الزجاجي بمطار العاصمة

الباسطة تتبيك. أعرف. وتبيك أيضاً بؤزري وأنت تعزفين كم كان حديثك وكلامك تأثير كبير في

وأعرف كذلك الآن كم تتحررين للحركة لهذا لما أترج عليك أن تدوري نصف دورة وتحطي كذا وشرين غطلة إلى حدود عتبة باب الطعام الخارجي ثم بعدها تنحني بي. لعل وصى المشي يخفف عنك حقاك الذي يملق قوامك البهي بظهور منخات القارة المحجوز.



قراءة في كتب منسية

مصطفى الفيثوري

■ كتاب القيم:

- الألق لا يملأه إلا الضمير وصيت التوار.
- للحرية صلاب عديدة أسهلها المصعب بالدماع.
- ليس للفرار جنة إلا في جحيم الاغنياء.
- أرض لا نكتبها، الأجداد إن تركها للكلاب عسها تمرها.

كتاب اليوم:

- من صفعك هل خدك الأيمن فارمه بالرصاص
- من طلب منك درهماً فاسلبه ما يملك.
- من ملأك كم تملك قتل له ألفاً. حتى ولو كان جيك فارغاً، فذلك تضمن ولاه.
- من استعان بك لبتاء داره فاده وبعد ان تنهى حاربه فيها لتأخذها.
- من حاك فاشمه! إذ لو لم يكن يثاقل لما فعل!
- صديقك من أعطاك مكانه لتسريح ثم تقتله

كتاب الأوص:

- التاريخ لا يسجل إلا هزائم من انهزم في المعركة.
- ولا يثبنا إن كان المهزوم قد دخل المعركة مهزوماً أصلاً... لو حدث ذلك لأعدنا النظر بكل تاريخنا الحديث والمعاصر!

- الجساع لا يهتسون الحياة ولا يسطرون الانتصارات، فرحلة البحث عن الجساع تكتمم والبدنية حتى ليست غزيراً ولا هي أول منه.
- الدكتورية ليست نظاماً أو عرفاً سياسياً، فمما كما الديموقراطية ليست كذلك. الدكتورية سلوك يومي نلزمه نحن ونطقي في ممارسته إلى أن نصله كقيمة في حياتنا، نظل نذكر من نكبر حتى تحب لنا دكتوراً!!

كتاب القند:

- الذي نسي اسمه دائماً ينتظر أن يأتيه القند على أيدي الآخرين.
- الإنسان يقبل ويعرض ما يحصل عليه بلا مقابل.

ولذلك نحن نقبل الحدود لأنها هبات.

- الوحدة مشروع يتطلب المعطاء ونحن نذكر أن نعطي ولذلك سنبها.

- الشورى مشروع دائم للتجدد لأن أصوله في الآس، ولأننا لا نعرف إلا اللحظة، فنحن نهجل الثورة.

- العلم، ابتكار. الابتكار حرية ونحن لا نبتكر لأننا نتمتع أنفسنا حتى في الغفوة!!

- الحضارة مسيرة دائرية تبدأ دائماً من المركز. نحن دائماً نبدأ من أقصى نقطة على المحيط ولذلك تسير بلا اتجاه واضح.

- الحياة مسرحية متواصلة إلا أننا دائماً نحضرها من الفصل الرابع ولذلك يصعب علينا فهمها! الخراج كتابه عقل الضار يثقل بالي يثقله وتتمتع في حوزتنا نقرأه حتى نفاء، إلا أننا لا نفعل.

- الدولة جرثومة يصنعها الإنسان. ونحن نقف السطوة بسببها نظاماً متخلفاً أو إدارة سيئة. وهلمه فهدمها هو في القضاء على أصل منشأها. تلك الجرائم التي نتمزج في داخلها الماء موع من التسلية والعلاج أحياناً. إلا أننا دائماً نغني ولذلك فنحن دائماً مرضى... فالألمان على العلاج مرض أيضاً.

كتاب الإعلان:

- للبح / واللغة العربية الاسيلة كما يطقها أهلها الأولون... كلمة الأحرف للشكيلة بجميع انواع الخط العربي مع لسان لفظها!!

- خدمات / هل أنتم في حاجة إلى خدمات سريعة وبمؤمنة. تقدم الخدمات الآتية: تحرير أوراق. على فترات متباعدة... ستة، اشهر، أو بعد أهوام متتالية. وتني المساكين عليها مجاناً وتؤن حياتها من غيرة رجالنا. خدمة عاجلة وسريعة وبمؤمنة! اتصلوا بنا فوراً!

- العنوان: على الشاطئ الغربي. آخر موعه غذا! - للايجار / نساء، رجال، أطفال، شيخ وشباب. كتب، مصانع، مستشفيات، مطابخ، ومضخات مع كامل ألتايبها: إن كان لديكم: أرض بلا شعب. شعب بلا مؤسسات. مؤسسات بلا شباب لور. آبار بلا مضخات فاستمعولنا.

- اتصلوا بنا أمام مبنى والأمة الرئيسي. - حين الحاجة / هل تحتاجون: فتوى في الطلاق والزواج... فتوى في حكم الجساع... في تعدد الزوجات وتعدد النساء في الفرائض؟

- هل تحتاجون... فتوى في التشهير... فتوى في كبتة حامية يتوكلن... فتوى في المون من الدبابات وبلد من المدافع... فتوى في الرحيم من الصراخ وبخار هل تحتاجون فتوى في الإيمان، الكفر، الشهرة، العيلة والأثنين معاً!!

أخيراً:

مطلوب: الرجال الرجال أو اشباههم. ندفع بالون، الفولار، البانود، الفرتك، الدرهم، الدنانير، الجنيه، البازيتا، الشاقل وغيرها كثير. تأمل الاعلان: على الأرقام من واحد إلى مليون: جيزوزالم!!

سلسلة «كتاب الناقد»

الاسلام في الأسر

الصادق النهيم



56 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 9305



وثيقة احتجاج مبكرة على ضياع الأنثى

محمد المهدي البشري



شبح

التصومس المبكرة. ولا شك أن اغفاله كاتبة مثل ملكة الدار أمر إلى حد ما بالجموع التي انتفاها ولم يعد بوسع هذه الجموعة إعطاء بانوراما صادقة لخارطة الأبداع السوداني على النحو الذي طمح إليه. إلا أننا نجد في بعض الكتابات التي درست قصص وروايات ملكة الدار وأصالتها قدمها من الاهتمام، إن خيار عجيبة يتوقف طويلاً أمام ابداع ملكة الدار ومعالج قصصها في إطار ما يسمى بهرواد القصة الرومانسية وتلك في أطروحة التي أعدتها حول القصة القصيرة السودانية^(١). ويشير عجيبة إلى الكاتبة بوصفها أول قصصية سودانية، ويحلل عجيبة كذلك عن الضعف الفني في هذه القصص^(٢). أما النور شيان لكير فقد أفاض في دراسة رواية الفراق العريض ومعالجها بوصفها واحدة من أهم أربع روايات سودانية صدرت بعد الاستقلال^(٣). وأثبت النور شيان ريادة ملكة الدار لجالي الوثيقة والنشاط الإبداعي^(٤).

رواية الفراق العريض تعالج المعاناة النفسية التي عاشتها المرأة السودانية في سنوات ما قبل الاستقلال. فقصصية من تتفتح عيناها على عالم تضطهد فيه الأنثى. فآلاف قد هجر أمها بحثاً عن لئال خارج وطنه، وصها عمر لم يجد قضائيه في الزواج يأسري إلى جانب زوجته (وصة) التي لم تنجب، لتضرب نعمة نعمة حاضياً. وسرعان ما تنقسم صدى أعمال الحريم في ذلك للفرد الاندروسي الكلاسيكي... وتصف الكاتبة دور الأنثى في هذا للفرد من خلال سردها لأنيك النساء في الروايات المتزلة.

هؤلاء كان يوم الجمعة تفرقت (البنات) في الدار يؤمن ما عليها من الأسلاك المكونة بما إلهن (..). هدي عليها الحوش تكتسه والأزهار لفلها، وأنثية تعد للناسي والقهوة وتعملها إلى من بالدار

ومن ليس بالتعبير نطقت للكرة السودانية مع الأبداع خلال البديهة الأولى والتي لم تخرج من كونها غواطر ورومانسية لكتابت مثل أسلم بنت الشاذلية وصفة الشيخ الأمين وزينب الصالح البديوي وغيرهن^(٥). وحتى يومنا هذا حيث ظهرت أفلام شاذية تعالج

القصة القصيرة والرواية مثل زينب بليل^(٦) وأم أحمد والأستاذة دور وكتابت شاذية مثل عوضية يوسف وعلسى الشيخ سلامة وأمال حسين وغيرهن^(٧). وخلال هذه للرحلة يبرز ساطعاً نجم الرواية ملكة الدار محمد التي يعود لها الفضل في افتتاح المرأة السودانية لعالم الأبداع بجرأة وثبات والتي رشحتها خاصتها الأبداعية لنيل جائزة القصة القصيرة في النصف الثاني من الأربعينات^(٨). تجسأ روايتها والفراق العريض^(٩) والتي نحن بمصلحتها فهي ليست رواية رائدة فحسب بل هي معلم بارز في خارطة الأبداع السوداني، فقد أكتفت هذه الرواية إكتاكتات الروائي السوداني وروسخ أكتاكته في درب جنس التي هام دور الرواية. فوق هذا كله فإن الرواية يعضونها الأساسي العميق وفي الظروف التي كتبت فيها في سنوات ما قبل الاستقلال في أوائل الخمسينات، هي بحق عمل يحمل كل فضائل الرواية.

على الرغم من الأهمية الأدبية والتاريخية للكاتبة ملكة الدار محمد وروايتها الفراق العريض، إلا أننا نلاحظ أن انتباهها الأدبي لم يلمح حظه من الاهتمام والفراسة. فتجد على تلك لا يشير إطلاقاً للكاتبة في مقدمة المجموعة التي انتخب فيها فنانج من عدة أجناس أدبية لمبدعين سودانيين^(١٠) وهو أيضاً لا ينتخب للكاتبة في نص الذي ضمن

كتيب من السودان



قراءة اليوم لنص الأمل

(...) فإذا فرهن من ذلك اجتمعن على ملابس وسيدة يفضلها وورتيها»^(١٤)

مقابل هذا الاستغراق في العمل اليومي نجد الرجل هو الأمر الشاهي، وحتى وسيدة ابن السابعة عشر يمارس قمع السلطة على الأمل»^(١٥) ويرغم مناهج التبعث الديكوري تزدهر أمال هراوى في وجدان مهي، وتتوق إلى حياة كريمة تنمو فيها أملاكها الأبدية. ولكن كان من الطبيعي أن تكون الأمل كاتبة تنشأ في داخل المنزل وأن تظل حياتها رمزاً بإشارة الرجل. وما هي وسيدة شقة وسيدة جمال بينا وبين التعليم مجرد ظهور أول طالب زواج منها. ويجبر الموت أن تنمو على البرص الذي يهجم على المنزل فيأبى بالكتابة لإحدى الصحف البومية. لكن عائلتها هذه تقابل ببيع فظ يتواءم فيه الرجل السوداني جيداً إلى جنب مع الفيرة الإنجليزية. فالتمه بفرى يرسل لها جملها من مية الكاتبة في الصحف وتظهر واسم جيداً إلى جنب مع أسماء الرجال»^(١٦) كما للفيرة الإنجليزية فهي لا تكتفي بتعليم من في الحوض في القضايا السياسية بل تعمل على نقلها من المدينة إلى القرية إلى ما درمان»^(١٧) ومرة أخرى تصود مهي، إلى أم درمان لا يقهر الأب بعد فريب. ويصر مهي من استيائه من عمل ابنته كعسكة، ويظلم وسيدة لطيفة مهي، ويتم الزواج دون اختيار لرفض مهي، وأصرارها على عدم رفضها في الأثران به وصران ما يكتشف ضعف الزوج وكذب بإهمال لجهل زوجها»^(١٨) للتمه، كل هذا يجعل مهي مرفقا موصفاً وبشعر وصالح»^(١٩) التي جاءت به مهي في صباها. وقد صار غائباً موصفاً وشركة عاوداً أفرادها وتوشك على السقوط في حباله لكبا تهبك في نهاية الأمر.

هذه خلاصة موجزة لأحداث الرواية، ويلاحظ أن الكثير من هذه الوقائع غريبة الشبه بالسيرة الذاتية للكاتبة نفسها، فبالطبع مهي تعمل بالتدريس فلما كان عمل الكاتبة، وقد أشار العديد من النقاد لأحداث شخصية الكاتبة في شخصية مهي. فإبراهيم إسحق يعتقد أن مهي هي الكاتبة نفسها»^(٢٠) وأشار للأمر كذلك النور مهي»^(٢١) لا شك أن شخصية مهي، تحمل طلالاً من السيرة الذاتية للكاتبة، ولعل هذا ما أعانف للكاتبة قدراً ليس باليسير من الصدق الفني. وفي واقع الأمر، وقد نأزنا المصاير، وفي الواقع الذي جويت به مهي في النص الروائي، أحداث للتمه الذي مورس ضد الكاتبة نفسها في واقع الأمر. فكلاهما كان بين امرين، أوصاب الرجل السوداني وواقع السلطة وقد أضحى لأخلاق أملاك المرأة التي تود أن تلحق في أفاق الحرية. ولا شك أن الرواية تكتمل بحبيبة شديدة ما جعل شخصية مهي، نموذجاً للمرأة السودانية في مرحلة من مراحل التكامل الوطني. ملة المحببة من مصالح الرواية إلا أنها قد أضحت الباب الفني لها. ففي بعض الأحيان ترفع الكاتبة صوتها بالهتاف السياسي على حساب النص فيقول النص تقريرياً وبليطراً. فضلاً نجد أداته مهي وزوجها وسيدة في ضعف شخصيته وسليته تجاه القضايا الوطنية، وتقول عنه إنه وليس من أولئك الذين شادوا بكفهمهم الوطني للوصول بسودانهم إلى التحرر والاستقلال»^(٢٢)

فالكاتبة لم تترك القزعة المتلقني ليجر بشأن شخصية وسيدة وكذلك لم تترك لنا ضعف الشخصية من خلال الحدث بل جاء على لسان مهي» السارد للرواية. ومهما يكن من أمر فإن الكاتبة نجحت في تصوير شخصية وسيدة كمنسوخ لجمل كامل في بالغ دور في نيل الاستقلال، وفي جانب آخر نجد شخصية وصالح الذي لم يرضع مثل وسيدة لسلطة الأب إذ يصره على والده الذي لكنه يستسلم للسلطة الاستعمارية وعاروب جنسياً تحت العلم الإنجليزي. وهكذا نلاحظ أن الكاتبة أدانت جيل الصلاح وسيدة لرفوقه بسلبية عمله قضية الاستقلال ورعا بعض الجمل في الضعف الفني الذي أشرنا إلى والذي أسلم النص الروائي في بعض الأحيان إلى وثيقة سياسية مبائرة، ويجدر الإشارة إلى أن هذا الضعف يظل بشكل عام على رواية ما قبل الاستقلال. يجاول النور عثمان تفسير هذا الأمر بقوله: وعلى الروائي دون الشاعر والقصاص وقع عبء ازدياد مجال الفاعلية الفنية واحتراف وهكذا) بديل للكاتبة بحثاً عن هوية الإنسان السوداني وهوية وجوده ضمن وقائع وحقائق وشروط موضوعية تاريخية»^(٢٣)

مهما يكن من أمر فإن ملكة الدار استثمرت بحسها الوطني وروحيها يكون الأملح أدلة من أدوات الليرة، واستثمرت أهمية أن تدل بلورها في النضال السياسي من خلال إبداعها الأدبي. وقد أتاح النص الروائي عبارة القسم للكاتبة الفرصة لتصوير واقع السودان في سنوات ما قبل الاستقلال. وعلى الرغم من الضعف الفني الذي أشرنا إلى أن الكاتبة قد نجحت في تصوير الواقع ببركة وإبداع. وفي كد سكتت بتساسة مرحلة تفاصيل الحياة البومية في منزل حاج عصر الذي نشأت فيه، وهذا المنزل صورة حية للفنوز الاستعماري في أوائل الخمسينات، فضلاً نجد صفق الوصف في أهداك النسل في العمل داخل المنزل كما أشرنا لذلك، وكذلك نجد الوصف الصادق لفرقة البات في المنزل التي نصفها الكاتبة بقولها: «استمرت بداخلها (الفرقة) من قريب ثلاث فرش بالحفة خفيفة نظيفة وثبتت على جدرانها مسابر علفت ورؤوسها فسائين تدب خلفها في عرض يلمت النظر، نطل من بينها مرآة مستطيلة عكست الصور المتناثرة على الجدران والمزجعة من اللججيات ومن أظفئة صناديق المطور والحلوى، وفي ركن الهجرة قمت مفصلة متراكمة مغطاة بمفرش معزز وضمت عليها زجاجات الأدوية والمطور والبرصية»^(٢٤)

ولا شك أن توفيق الكاتبة في تصوير المكان مسطرة تحفظ لها، فالرواية السودانية واللغة القصيرة غلباً ما تتعاملان خصائص وشخصية المكان الذي تجري عليه الأحداث، تلمس لها بوضوح في كتابات أبو بكر خالد ذلك وهي الجمل على سبيل المثال. ويرغم كل شيء فإن رواية القفرح للبرص وثيقة احتجاج على ضباب الأمل وإهدار كرامتها. وعلى الرغم من أن الجانب الجمالي غلب على النص إلا أن هذا لم ينقصه حيويته وتكامله مع غيره. يمكن القول إن الرواية يشككها في وصفها الاجتماعي المي بعض شحنة في الظلام، فهي رواية رائدة بكل المفاهيم وهي في ذات الوقت أداته شجاعة للظلم الاجتماعي الواقع على المرأة والرجل على حد سواء. □

- (١) انظر مباركة محمد عثمان (جمع) ببوغرافيا المرأة في لئصلات استعمارية سلسة مطبوعات اتحاد نساء السودان المرحوم ١٩٨٢ وانظر أيضاً قاسم عثمان دون مصادر الدراسات السودانية ببلجات والمجريات السودانية ١٩٨٢، ١٩٧٧.
- (٢) انظر ربيب بيل، الانتباه، رواية، دار جامعة الخرطوم نشر د.
- (٣) انظر مثلاً: مفس التفسير سلامة، حفيد البلاد: قصة قصيرة لئليان، العدد ١٩٨٨، ١٩٨٨.
- (٤) انظر مثلاً: رواية السودانية الحديثة في السودان دار تاتيف والتسيرة والتسيرة، جامعة الخرطوم، ١٩٨٢، انظر خاصة ص ١٣٢ وما بعدها.
- (٥) انظر مثلاً: الدار للنقد الفراج عثمان، رواية قصص القصص لرعاية الأدب والعصور، المرحوم، ١٩٧٢.
- (٦) انظر على الله مختارات من الكتب السودانية. دار جامعة السودان تنشر، دار هورست إيردمان، المرحوم، ١٩٧٥.
- (٧) انظر مثلاً: عبوة، مرجع سابق، انظر خاصة ص ١٢٢ وما بعدها.
- (٨) نفسه ص ١٤١.
- (٩) النور عثمان أثير، الرواية السودانية، دراسة، مجلة الثقافة السودانية ١٩٧٢، ص ٥١.
- (١٠) نفسه، ص ٢٧.
- (١١) الفراج عريض، ص ١٢٢.
- (١٢) نفسه ص ٢٢١.
- (١٣) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٤) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٥) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٦) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٧) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٨) نفسه ص ٢٢٢.
- (١٩) نفسه ص ٢٢٢.
- (٢٠) نفسه ص ٢٢٢.
- (٢١) نفسه ص ٢٢٢.
- (٢٢) نفسه ص ٢٢٢.
- (٢٣) نفسه ص ٢٢٢.
- (٢٤) نفسه ص ٢٢٢.

سياق روائي بين الواقع والأسطورة

أحمد علي الزين

شاعداً أحده، يكون قد رآها لوحده أو توهم ذلك، لكنها في تلك الليلة التاريخية أنتت لتشرلك في الطقس، وحين أشد الرقص ولمت المناجل الحامية، دعاه أحد الطلاب الملقب بصاحب الحلم الأحمر، دعاه إلى الرقص ورقصاً رقصاً عجيباً، ثم شاركا في لعن الساحل الحامية كصاحبي خربة طويلة في الدروسة، أثار هذا المشهد قلقاً وغضباً شديدين وعمَّ جوُّ من الذعر والترقب كيف للجيازية أن ترقص، وهي أسطورة القرية، كيف لما أن ترقص وسع رجله غريب عن المكان والزمان وأمله.

لكن كل هذا لم يمنع من أن تبقي الجيازية معشوقة كل رجل في المكان والزمان ومن أجل ذلك يأتي الكاتب به عابده وهو شاب مثقف تعلم وعاش في المهجر. وقد أوصاه والده بالصورة إلى الدشرة، ولعل حين وصل خبر الجيازية إلى ما وراء البحار، أتى لرؤية الجيازية وصل ضيقاً في دار الجبالي صديق والده، وراح يخطب للقاء مع الجيازية للبيح لما يحبه العظيم، واستخدم من أجل ذلك كل معرفته وذكائه ومنذ أن سلك الدرب نحو الدشرة وعبر عين الصيق حيث يقى على الدوام «راعي

السجين ابن الجبالي، يحاول التزاح كل شيء من ذاكرته، وهل هذا التحر بعضاً الكاتب في ماضي الدشرة وفي زمنها، في ساحتها وهل دروب رحلتها، في باحة المسجد حيث تقام والزردة وهي طقس يخلط فيه الناس على إشاعات الطبول والغناء والرقص. والزردة هذه هي أقرب إلى الخولوة. في هذا الطقس يدخل الكاتب في صمم الميثولوجيا، ليصف لنا الدرويش في ألحج شوشم، بالمقون المناجل الحامية، ويصيحون مروحاته علققة ويصبح كل المشاويك في هذا الطقس على درجة عالية من التشوة، ويتحول المشهد إلى مناخ أسطوري.

ويذهب للكاتب من زوَج السجج حيث الطب إلى الجبالي يظفر ببيوت الدشرة، إلى تقصص شب وسكايات ألوم طامحين في الماضي وهم على صراع مستديم مع الحية والخنزير والتوهم، وتكون الحيازة عور كل شيء. في الدشرة، والجيازية هي، ابنة الشهيد في دفن التحرر، الشهيد الذي قتل بألف بندقية ورس في حناجر الطيور، وتصبح الجيازية امرأة أسطورة، لما تتمتع به من حسن جمال وقد ذاع صيتها حتى المهاجر البعيدة لكثرة ما كانت موضع أبحاث لا تنتهي. لم يبق أحد من رجال الدشرة إلا ووقع في غرام الجيازية، وأصبحت موضوع تنافس بين الجميع وعمعن الكاتب في وصف الجيازية

عبر مشاهدتها وعبر الدين بحبرها، ويؤكد حضورها القوي والمؤثر في حياة القرية على مستوى الحاضر والماضي والحرك الأسامي استقبلها. وعلى هذا النحو يؤسس لقيام أحداث ولعل سببها لعل الدشرة. بغيره مسار حياتهم الطبيعية، ويتطلق من «الزردة» التي أقيمت احتفالاً بطلاب متطوعين أترام المدينة لتسوية السكان، في ليلة الزردة، حضرت الجيازية وبقا تشارك ما كان يحدث، فهي لم تظهر بين الجموع، وإذا ما رآها أو

الانسان الذي لا جنور له يسقط في الهاوية

الجيازية والدرويش

رواية

عبد الحميد بن هدوقة

دار الآداب - بيروت ١٩٩١

■ مزيج من السحر والواقع والأسطورة، تجده في رواية «الجيازية والدرويش» لعبد الحميد بن هدوقة. مكان وزمان وأحداث تدور مغارة الإقاع والتأثير في مسار الحياة، صراعات بين الروي والواقع القديم منها والجديد، المساور والحديث. علاقات وتقاليد حاول الكاتب نسجها في رواية جسدت همًا روائيًا يعيشه الكاتب، الذي أراد صناعة الرواية على قاعدة مزج الميثولوجيا بالواقع الملموس وتناقضاته.

الجيازية والدرويش، حكاية قرية الدشرة أو عين الصنفاء، مكان بعيد، واسع في الماضي وفي التخليد، مكان يصير المسالك يذهب الناس وآثرون إليه مروراً بين الصيق حيث الهاوية، وحيث تسقط أسلام كل نظام.

في هذا المكان، هناك البرغيان وهناك الدرويش أصحاب الطقوس، وهناك رجل الدولة الذي يصرف وبالشمسية، وهناك العاملة على اختلافهم، شأن أي مكان يعيش زمن الدشرة في الماضي البعيد أو في الحاضر، حيث تروح أسلام ونحي، لتسقط أو تتحقق، وفي ذلك تفاوت حسب الموقف والمعرفة، عمل الكاتب على صياغة حياة هذا المكان في سواني روائي، قسمه إلى زمنين، زمن التفكير وزمن الحدث، وإبتداء من الزمن الزمن الأول - حيث نشاهد الطيب ابن الجبالي يمد ألفت محبوسة على جدران الزنزانة، وقد كان قهرها سجين مضى، أو قصى، هناك الألفات لم تصل بمصاحها إلى الباب، كان يعد إلهة التي انتهت قبل وصوله إلى الباب وفجر نحو القرية.

هكذا هو المشروع، وهنا ابتدء الصراع وهنا تكمن المسألة الروائية، وتتلو الفكرة الأساسية عند الكاتب الذي أراد إيصال موقفه وهم في لعبة الكتابة الروائية وعلاقتها بالزمان والمكان، وراح يصف الصراع بين الماضي والحاضر، بين جبل يمضي وجبل

قادم، بين الثوابت والتسلك بالجذور وبين
للقاهم التي تدعو للانصلاح الكلي، بين بناء
الجديد على قاعدة هدم الماضي. من هذا
المفهوم، تبدو مسألة بناء قرية جديدة وفي
مكان زيمان آخرين مسألة سائفة وغير قابلة
للتحقق، وتكمن السخرية في تمطية الفكر
الذي يدعو لهدم الماضي والانصلاح دون
التواصل معه، وجعله منقطعاً للقاء على
مستوى الحياة وعلى مستوى الكتابة.

كان مشروع بناء قرية جديدة حقيقة
قائمة، هكذا يصورها الكاتب وقد أهدت من
أجلها كل المستلزمات وعقدت الصفقات
ورسمت الخرائط. ثم تشوشت الأحلام،
وابالت التسللات كيف يمكن لعمق واسمين
في الحياة حاضراً وصافياً مثل الصخور
والأشجار أن ينسلخوا بقوا دون ماضٍ ودون
تاريخ. وهل الماضي مجرد أداة وثني، بعيد،
أو هو حقيقة تبقى ولموسة عبر عناصر تكونها
على مستوى المدة والوجدان. تلك الأسئلة
قرأت خلف السياق الروائي. كان ابن هديوة
وعلى لسان السجين الطيب الجبالي، يروي
أحداثاً وإحساس وقائع. ويسأل عن
المصائر وعن المستقبل من خلال ذاكرة
السجين والتي هي المحاضر الوحيدة بين جدران
الزناينة، وهنا يصبح السجن أكثر من مقيته
للأفدة، فكل واحد نراه أسير وهم أو توق أو
حزن أو حلم، والمحيطة القاتمة هي الحياة،
هي الزمان والوقت الذي يمضي ويتعلق في
حركة الماضي والحاضر والمستقبل.

ويصف ابن هديوة أحاسيس الطيب في
السجن ويقرأ أفكاره وتصوراته للعند الذي لا
يستطيع مشاهدته دون البراحة بصف أفكار
الطالاب والدايين للمستقبل دفعة واحدة.
يصفهم كيف اختلطوا بأهل القرية وشاركهم
أكثر خصائص العيش تميزاً وهي الزردة التي
بلدت من قناعاتهم، وجعلت من الطالاب
الأحرر ضحية تسلط في المساواة. وجعلت
الطالبة صافية حلياً أكثر برودة الرجال في
اليقظة وفي التماس وهي يلباسها للذي
يساهم في اظهار مفاتن الجسد الانثوي المثير
للمشاعر. وجود صافية في هذا العالم القروي
أوقع البعض في كآبة من نوع خاص.

ويستغل الكاتب في السياق نفسه بين زمن
السجن وزمن الدشرة، ويقضاه من جديد في
أحوال التزيين، عبر معالجة للصرعات بين
الذات والذات والحارح. ويتقن الجارية في

كل الفصول والأزمة محور الحدث، ويقي
الجبالي ثابت الموقف رجل القرية الحقيقي
المدافع عن ماضيها وحاضرها وهو الصديق
الذي ألوانه الجارية.

ثم يعود ابن هديوة لقيام زردة أخرى
لتكون النهاية الفاصلة في مسار الأحداث.
وهذه المرة كانت الدعوة لقيام الزردة من
الشاميط شخصياً، والهدف من ذلك هو
اعلان نية زردته رسمي عن نيته في زواج الجارية
من ابنه الذي عاد من امريكا، ليها الانتقال
إلى القرية الجديدة والتي ما زالت مشروعة على
الورق، وهذا ما أكدته صافية في زيارة قامت
يا لطيب في سجنه، المهم يذهب الكاتب
إلى نهاية مشروعه الروائي في والجارية
والدراوش، إلى والفرقة حيث ستحسم أمور
مختلفة، يحضر أهل الدشرة كسابق عهدهم
تلك الليلة التي تتركب شديد، وأتوا إلى باحة
المسجد وأقاموا ما يتوجب قيامه، وابتدأ العد
العكسي لوصول الشاميط وابنه. وعندما
تأخر أكثر مما يحمله الطقس اجتهدوا ورجلوا

ميراث. وابتدأ الرقص ولعت الشاجل
الحامية، وصاح الدراوش، ثم صاح صوت
من بعيد يقول إن الشاميط مات، سقط في
عين الخيخ حيث سقط الطالاب صاحب
الحلم الأحر، وكان سبب سقوطه قطع
دراعي البعثة الذي جعل عندما أطلق
الجبالي النار على سرب من الطيور، وكان ذلك
في تمام اللحظة التي يعمر فيها الشاميط المكان
المحطري عين الخيخ. وهنا يكمن السؤال
من القاتل قطع الراعي أم الجبالي، أم سرب
الطيور، أم القفرس التي يمتطيها الشاميط
وهوت في نحه الموت عندما جفلت بدورها.
هذا الالتباس الذي يقصده الكاتب يقضاه
في أسطورة الجارية.

من أجل ذلك انتظر الطيب يوم عرجوبه
من السجن، وغطيت الجارية أسطورة، وسقط
الغماسر في النهاية، وسقط الشاميط الذي
يتعامل مع المكان والزمان لغاية عبده، وبقيت
الدشرة تعيش حياتها وأحلامها وقطونها.
بانتظار المستقبل. □

غياب الموضوعية

صلاح مهدي

تاريخ الكويت السياسي إذا ما أطلع على ما
كُتب بهذا الموضوع، وفلأن ذلك الوثائق التي
توافرت لديه. واعتُمل يمكن أن يقدم ودراسة
تصنيفاً جديداً لتاريخ تلك البلاد.

إلا أن الكاتب صيغ منهجيته بلون سياسي
معيّن، مما لا يبرح بإمكانية تحقيق ذلك
أكاديمياً وعلى المدى القريب. ولغرض بناء
جسم للموضوع الذي نحن بصدده، نجد
انقضاء مضطرين إلى البدء مع الكاتب من
الصفحتين ٢٢ و ٢٣ حيث أورد خلفية
تاريخية عن الكويت قائلًا: «وان التاريخ
السياسي للكويت يعود إلى عام ١٧٥٢ وهو
تاريخ بداية حكم الشيخ صباح بن جابر
للقب - (الأول) للاحراق. وتُسمّى الشيخ
صباح إلى فخذ العتوب من قبيلة عترة التي

الكويت في الوثائق البريطانية دراسة

وليد حمصي الأعظمي

رياض الريس للكتاب والنشر، لندن ١٩٩١

■ قبل الدخول في عرض وتناقشة - ما يمسح
به هذا المجال - مضمون الكتاب، لا بد من
الإشارة بالمجلد الذي يبلده د. الأعظمي في
جمع الوثائق وترجمتها لذلك ولا شك يعتبر
إنجازاً يحد ذاته

يتحدث الكتاب عن «دراسة» يجسديها
كتابه. والمحيطة أن السيد وليد لم يكن باحثاً
ولا دارساً في عمله الأخير هذا، بل كان
وجامعاً ومترجم وثائقه فحسب. غير أنه
يستطيع، ولا شك، أن يُقدِّد لاحقاً، بحثاً عن

كتب من العراق





العثمانية في الخليج بذلك، ومنها بريطانيا، التي (اقترحت 11) عبر أحمد سبطياها على الشيخ جابر العبد الله الصباح (١٨٥٢ - ١٨٥٩) رفع الراية البريطانية على الكويت، بدل الراية العثمانية. فكان رد الشيخ: «إن الحكومة العثمانية جازتنا وما لنا نحتاجها أتينا من البصرة التي لها فيها الأمر والهيبة»^(١).

وفي تقرير لستر بي. MR. PELLY، صيرت حكومة بوسيا البريطانية في الهند لزيارة الشيخ صباح الجابر (١٨٥٩ - ١٨٦٦) رفعه إلى حكومتهم عام ١٨٦٣، ورد فيه: «إن الشيخ يعرف بسلطة الباب العالي. وينفع الشركة بانتظام له. كما إنه يرفع العلم العثمانية»^(٢). وخلال عهد الشيخ عبد الله الصباح الجابر (١٨٦٦ - ١٨٩٢) جهز واتي بفساد محدث بأشياء سميت حملة الأحساء. وقد وقف الشيخ عبد الله الموقف ذاته الذي اتخذته العثمانيون، فقدم الحملة يصعد من مرابيه، وبعد نجاح العملية زار عدت بأشياء المناطق التي بلغت قواته، وقسمها إلى أقضية (مناجيح)، وكانت الكويت إحدىها، وشاة على تورية من مدحت بأشياء صدر فرمان سلطان بجعل الكويت سجنية، أي قضاء، تحتفظ فيه أسرة آل صباح بحق ثروت الحكم. حيث يختار أعضاء الأسرة، الحاكم المطلوب، ثم يتبعه السلطان العثماني بفرمان، ويمنحه صفة قائمقام يتبع إدارياً لوالي البصرة^(٣).

وتقول د. فتح الخرش في هوامشها التي أنصتها على كتاب «تدليلها» (شؤون الكويت): «إنه اعترف الشيخ عبد الله بسلطة الدولة العثمانية على المنطقة عامة، وذلك بدفع الأتاوة عام ١٨٧١. كما قبل لقب قائمقام يتبع (الوالي العثماني في البصرة)»^(٤). وخلال عهد شقيقه الشيخ محمد الصباح (١٨٩٢ - ١٨٩٦) قدم البريطانيون (اتقاراً) إلى الشيخ لإقامة علاقات تحالف معهم في غرار مضيقات الخليج الأخرى إلا أن الشيخ محمد رفض هذا الاقتراح مؤكداً لبريطانيون علاقته بالدولة العثمانية. فهل من الواقعية بمكان أن توصف سلطة الدولة العثمانية على الكويت بأنها وسلطة إسمية؟^(٥)

إن الكويت كما يبدو لنا هي الاستثناء الأبرز الذي لا ينطبق عليه هذا الوصف. ثم يقول لنا الكاتب وسط مرادف تماماً في

صباح سنة الحكم في الكويت قبل الشيخ صباح الأول، وتؤكد أن الأخير تولى زمام للشيخ عام ١٧٥٦ أيضاً وليس عام ١٧٥٢ كما يذكر الكاتب. واستمر شيخاً حتى وفاته عام ١٧٦٢. ما يجعلنا نميل إلى أن عام ١٧٥٦ كان عاماً لأحد الصباح، فيه استوطنوا الكويت. وفيه شاركوا بني خالد مجلسهم. وفيه أيضاً مات ابن عمر. لأن حساباً بسيطاً للتواريخ أي أسطاعها الكاتب في ص ٢٤ والتي لم يذكر لنا مصدرها، يؤكد علمتها

وفي عهد خلفه الشيخ عبد الله (١٧٦٢ - ١٨١٢) حدث أول اتصال بين آل الصباح ورسطانيا عبر شركة الهند الشرقية^(٦). وكان اتصالاً ذا طابع تجاري بحت.

ولعد الآن إلى مقدمة الكتاب وهي تتحدث عن الكويت وكامارة مستقلة في عهد إليها بد السيطرة العثمانية خلال فترة الحكم العثماني للمنطقة العربية، على الرغم من النية الإسمية للأمبراطورية العثمانية... (ص ١)

وسئل لد. ألقب بالخبير بتاريخ الخليج «وليس السيد وليد فقط - يصفون سلطة الدولة العثمانية على المنطقة الواقعة شمال الخليج مروراً بالأحساء وصولاً إلى الساحل الجاور لمنطقة المغفور، بأنها كانت سلطة «إسمية» خصوصاً قبل ١٨٧٠ (حملة الأحساء) بسبب ضعف الأسطول العثماني في الخليج مقارنة بالأساطيل الشهابية الأخرى. والحقيقة أن سلطة العثمانيين هناك لم تكن «إسمية» هكذا وبالسلطان وبكل بسلطة، وخصوصاً بالنسبة إلى الكويت القفيرة من الصرة حيث المركز الشهابي القوي. فالعثمانيون كما يبدو أدركوا الواقع القوي تلك المناطق، وأرسلوا عدم التدخل في الشؤون القبلية البحتة، تاركين القبائل العربية تتنازع فيما بينها على التعود. فاقبلية الأقرى من بني شمس في البادية، وهي التي سوف تحصل على مشاركة الدولة العثمانية وهذه سياسة لا تغل من الحرب كما نرى. ثم إن العثمانيين أدخلوا تلك المنطقة في «قانون نفاة»، أي القانون الذي يعقد ولايات العثمانية. وقد اعترفت الدول التي تعاملت مع الدولة

هاجرت من سجد في وسط الجزيرة العربية خلال ١٦٦٥ - ١٦٦٧ سبب الضغط والجماعة، واستقرت أولاً في قطر الحالية، ثم غادرت إلى سواحل الكويت بهدف الاستقرار بها إلى جانب مجموعة من صيادي الأسماك من قبيلة المرزوق (ص ٢٣). ونسب الكاتب هذه المعلومة إلى مصدر لم يذكره لنا والحقيقة إن معجزة المتوب حدثت عام ١٧١٦»^(٧). والبعض يذكر أن العتوب أخذوا يسيطرون على سواحل الأحساء منذ أوائل القرن الثامن عشر^(٨).

والعتوب هؤلاء يتصمون أصلاً إلى قبيلة عترة العربية للمروعة كما يذكر د. الأطمي. لكنهم التسقوا فيما بعد إلى أربعة أقفاذ عترة شكلت في النهاية أربع قبائل نحدية، تزعم إحداهم آل الصباح، فيها كان هو رأس الثانية آل خليفة، وقاد الثالثة آل جلاهمة، ورزقم الرابعة آل سعود. ويبدو أن آل سعود قد أروا البقاء حيث هم، فيما قرر بونعته الآخرون الهجرة، وفي قطر الحالية قرر الجلاهمة الإقامة هناك وانطلقت أخبارهم وحل عليهم آل ثاني، ومع من بني شمس، فيما استمر رحل آل خليفة وآل صباح شيئاً. وفي البحرين طلب اللعام لآل خليفة فباتوا شيوخها حتى الآن، فيما استمر آل صباح وأتباعهم في هجرتهم شيئاً ثم انصرفوا غرباً، وما أن وصلوا إلى لم قصر (شهاب البصرة) حتى قرروا الإقامة هناك، غير أن السلطات العثمانية أحلتهم من تلك المنطقة، وهام الشيخ صباح وأتباعه فترة من الزمن متنازعين بين الأحساء وقطر، حتى استقرهم المقام أخيراً في ميناء الكويت عام ١٧٥٦. غير أن الشيخ صباح وجد أمهه الشيخ محمد بن عمر أحمد زعماء بني خالد وقد بنى له حصناً في الكويت، فلقد الشيخ يتعامل مع بني خالد.

وخلافاً لقراءتنا لتاريخ الكويت، كنا نتساءل دائماً عن الكيفية التي استطاع على الشيخ صباح أن يند المضيقة من بني خالد، وهو المهاجر الجديد، وفي الحقيقة فقد أجاب د. الأعظمي عن هذا التساؤل وسجل بذلك إضافة جيدة. إلا أن أغلبية المصادر ومنها المصادر المذكورة سابقاً لا تشير إلى تولى شيخ من آل

المؤلف لم يكن باحثاً بل «جامع ومترجم وثائق»



ص ١١ أيضاً: «إن الكويت لم تعترف بالمعاهدة البريطانية - العثمانية لعام ١٩١٣». فلنتناقل معاً موضوع إمكانية الكويت على الاعتراف أو عدمه بمعاهدة ١٩١٣ ولنر إذا كان ثمة وزن سياسي حقيقي لذلك.

بعد عام واحد على رفض الشيخ محمد لاقتراح البريطانيين الأخير، الأتف الذكر، دخل مبارك الصباح (١٨٩٦ - ١٩١٥) في شقيقه الحاكم لفته. ثم قتل شقيقه الآخر الجراح. في اليوم التالي تلبأ مبارك مجلس الأسرة بالحدوث مهدداً الجميع إن لم يظفر هو بالإمارة. فحدث وأدّى إلى البصرة، السلطات، علماً بالحدوث وشكلت لجنة تحقيق لهذا الشأن. وإن سبب وجود مبارك على كرسي المشيخة في الكويت خلال فترة التحقيق إنما يعود إلى:

- ١ - الاتفاق العثماني مع آل الصباح بعدم التدخل في أمور الولاية.
- ٢ - وشاوي مبارك لثيرة عسمة من دم أخويه.
- ٣ - تقدير والي بغداد التي كانت بمجمعتها لصالح مبارك وللمعونة كثيراً من حشد الغضب الذي بدا على والي البصرة لقتل شيخ الكويت وشقيقه.
- ٤ - تهيئ إسماعيل لوجهة نظر والي بغداد.

لذلك وقّع السلطان فرمان تنصيب الشيخ مبارك بعدما طُلّي في مكتبه عاماً كاملاً. ووصف أحد المؤرخين العرب الشيخ مبارك بأنه: «رجل موعظ بالأمزجرات حيث استخدمها للوصول إلى السلطة كما خا إليها في علاقاته مع القبائل والدول الأجنبية»^(١) فبعد أشهر عديدة من حصول مبارك على اعتراف الدولة العثمانية به شيئاً واثقاً بما فعل في الكويت، نفذ الشيخ رغبته القديمة بوضع نفسه وولادته تحت الحراسة البريطانية، حيث عقد فيها في ١٨٩٩/١/٢٣ اتفاقاً سريعاً مع بريطانيا ومن شأنه ظهر السلطات العثمانية. تمهد يسرجه بأن لا يستغل في الكويت تخلي عن دولة أمينية. وإن لا يبيع أو يتنازل أو يهرس أي جزء من أراضي الكويت لحكومة أو لرعايا دولة أجنبية. بدون مراقبة الحكومة البريطانية، وأتمت هذا الشرط إلى تمسكها الشيخ التي هي خارج الكويت. وحصل التوقيع على هذا الاتفاق قبض الشيخ ١٥٠٠٠ روية هندية.

وهي تعادل بحسابات ذلك الزمان حوالي ١٠٠٠٠ جنة إسترليني.

وبالرغم من أن كلمة «حايلة» لم ترد في نصوص الاتفاق المذكورة أعلاه باعتبارات سياسية بحتة، إلا أن واقع الحال أشار آنذاك إلى أن الشيخ قد تمسكاً بحريته في اتخاذ أي قرار سياسي. بدون الرجوع إلى بريطانيا. ولأن الشيخ مبارك كان قائماً بمتنحه بالحكم الذاتي ضمن السيادة العثمانية، فزعم تجاوز ولا شك حدود صلاحياته، عندما وقّع على اتفاق سرري مع دولة أجنبية. ولذلك فمن وجهة النظر السياسية والقانونية والإدارية فإن اتفاق ١٨٩٩ يعتبر مخالفاً وإجراء غير مشروع في حينه. إلا أن بريطانيا هي التي فاضت الدولة العثمانية بشأن حاضره ومستقبل الكويت، وكان على الشيخ أن يتلقى النتائج فقط. وكمن رئيس القسم السياسي البريطاني في الكويت لحله، بعد أن أدرك أن بلاده استخدمت هذا الشيخ كأداة للمساواة وعدمه لصالح بريطانيا دون.

وحال اندلاع الحروب العالمية الأولى هاجم مبارك أم قصر وصفاً «ويعمل مع جيشي من الحسود والبلطجية»^(٢) بعد أن تنزى أمراً من تقييم الجيش البريطاني في الخليج بعدم الاستعداد من لصره بعد «تغيره ١٩١٧»^(٣) ولولا اندلاع الحرب لكانت خطط الشيخ هادئة بالأكاديد.

هذا وغيره من الملاحظات التي وردت في الكتاب، جعلتنا نزيل من أذهاننا أي تفسير حسن النية شأن عدم ترجمة الأعظمي لنص معاهدة ١٩١٣، كما فعل بالنسبة (٧٥) وثيقة أخرى تضمنتها الكتاب، وخصوصاً اتفاقية ١٨٩٩ السري. فقد اكتفى الكتاب بترك الوثائق البريطانية تتحدث عن معاهدة ١٩١٣ من خلال الأشرطة إلى نفع منها في هذه الوثيقة أو تلك، وكلها اقتضت ذلك المصالح البريطانية. وحسب التفسير البريطاني الحمت لما بعد غياب طرفها الثوري وهو الدولة العثمانية.

ورغم أن هذه المعاهدة لم ترم بسبب اندلاع الحرب، إلا أن نصوصها المتلفعة والمقدودة باتت مع الألف - مرجحاً بشأن حدود الكويت مع شبه جزيرة العرب أو مع البصرة، كما ورد كبرهنا لدى العديد من المهتمين بتاريخ الخليج. ونظراً لعدم حصول

هؤلاء على النص الأصلي للمعاهدة، فقد عرضت بشكل مشوّش وشوّه أحياناً ورغم أن الوثيقة الأصلية للمعاهدة موجودة في دار الوثائق البريطانية PUPRIC Record Of- ١٥٥ تحت رقم 371/2136، إلا أن البريطانيين يحاولون دائماً التفتيز فوقها كلما تحدثوا عن التاريخ الحديث للعراق والخليج وشبه جزيرة العرب. علماً أن المفاوضات بشأنها استغرقت عاشرين عاماً (من ١٩١١ -

١٩١٣) كما سبق للمفاوضات اتصالات دقيقة واسعة النطاق داخل الدولتين، ولذلك تمتع إحدى أهم الوثائق التي يجب أن يتجنّبها كتاب يحصل عنوان «الكويت في الوثائق البريطانية»، وعندما عدنا إلى صورة نصها الإنكليزي المنشور بعد صفحة ٢٨٥ من الكتاب موضوع البحث، فوجدنا بأن الكتاب المذكور، أما الصورة الثانية فبدأت من صحت تجري. من العنوان أو الخلف - إن جره منور من المادة الخامسة، ثم استعرضت المادة السادسة، ثم السابعة فالثامنة والتاسعة وسطرين آخرين من المادة العاشرة. وهكذا انتهى الأمر بالنسبة لمعاهدة ١٩١٣. بنص مبني البداية ومتمم النهاية أيضاً.

والأعظمي يعلم تمام العلم أن في تلك جنباً على الانصاف وحسباً لواقف سياسة وإستراتيجية تخص طرفي المصادفة، بغض النظر عن موقفنا الحالي منها ومن الموقعين عليها. لقد صور الكتاب الشؤون الخاصة بالحدود بين البصرة والكويت وبسط سكة جديد بغداد، وبما يتعلق بسلامة أملاك الشيخ في العوا وشط العرب، وحسب عنا - دوناً وإزع من شيء - للوأك ١، ٢، ٣، ٤، ولا ندرى إن كان ما ذكره بالنسبة للمادة الخامسة كاملاً أم لا.

وحسب معلوماتنا فإن ما حجب يتعلّق بها يلي:

- ١ - أن الكويت جزء من الدولة العثمانية تمتع بالحكم الذاتي ضمن القانون العثماني، وحكامها قائمقام بين بفرمان من السلطان العثماني.
- ٢ - يرفع شيخ الكويت العلم العثماني، على كائن في السابق، على أن تصاف للعلم كلمة «كويت».
- ٣ - تعلن الحكومة البريطانية أنها لن تقصد

(١) صلاح العقيد، الكويت السياسية، الطبعة العربية، مكتبة الانكومي، بلاطيرج (٢) رساله، حصار على الكويت، دار الجليل بيروت، ص ١٢

(٣) شركة الهند التجارية، شركة بريطانية خاصة لتسليم النفط، حكمت الهند قبل أن تسلم الحكومة البريطانية إليها فتمت إلى منقرض عملاء العربيه بمقتضى تنصيب الصغار على بن بشار والبحره وخليف من جهة، وبين أسواق أخرى من جهة أخرى، وتحتسب الحاصل إلى تصديره هذه البلدان إلى مستعمرة بريطانية. (٤) د. احمد مصطفى أبو حاكمه، تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القصر الأبيض، الطبعة الأولى، ١٩٧٢.

(٥) الكويت، ص ٢٠٤ (٦) أبو حاكمه، المصدر السابق، ص ٣٠٠ (٧) القصور ذات واقع، د. صلاح العقيد، المصدر السابق، ص ١١٠ وكذلك د. صهيدي حديوي، حصار الجمهوري، دار النهضة، الطبعة الأولى، ١٩٧٥.

(٨) د. فخر الدين، تاريخ السياسي للكويت، في عهد مبارك، دار السامح، الطبعة الثانية، ١٩٧٠، ص ٢١ (٩) د. صلاح العقيد، المصدر السابق، ص ١١١ (١٠) لإطلاع على النص البريطاني، انظر إلى تاريخ مبارك وتنصيب حرميل أمير عروستان - وبغداد، ١٩٠٠.

(١١) د. صلاح العقيد، المصدر السابق.

(١٢) د. فخر الدين، تاريخ السياسي للكويت، في عهد مبارك، دار السامح، الطبعة الثانية، ١٩٧٠، ص ٢١ (١٣) د. احمد مصطفى أبو حاكمه، تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القصر الأبيض، الطبعة الأولى، ١٩٧٢.



أجل تهدئة الأوضاع مع الكويت عام ١٩٩٩، إلا أن الأعظمي وضع لهذه الوثيقة عنواناً نص صراحة على موافقة ملك العراق على إرسال مندوب عنه (ولاعتماداً من شيخ الكويت). والواقع فإن المسألة لم تكن كذلك على الإطلاق، كما إن المعركة لم تنفذ على حد علمنا حيث لم يشر مصدر أو مؤرخ إليها. والكتاب يعلم أن نوري السعيد وإن كان موالياً لبريطانيا، إلا أنه معروف بمناورات السياسة. أما من ناحية الشكل فإن الكتاب حرص على إطلاق القشاب والفخاخ، ودالسوء على مسؤولي وحكام الكويت فيما اكتفى بالتصرف بالمؤولين العراقيين بمناصبهم فقط.

كما تسمى لو اكفى الأعظمي بترحة الوثائق وعرضها كما هي، مسبقة بمقدمة أكاديمية قصيرة. لكان فعلاً قد قدم عملاً نظرياً.

البريطانية مكتبة بكلمة رضى عنها النطوت عليه من خداع ورواء^١.
والنسبة لتعاطي الكاتب مع الوثائق التي ترجمها، فقد حرص كما يبدو على إصداق (تقديم) لكل وثيقة تقريباً من الوثائق الخمس والسبعين التي احتواها الكتاب، حاشراً نفسه فيها، متحازاً لوجهة نظر أحد طرفي الأزمة أو المشكلة، حتى تشابهاً بالكمال وبشكل صريح، مدافعاً عنها بحجة ما أفقده عنصر الموضوعية الذي يجب أن يتحل به من يتصدى لترجمة وثائق كهذه، ووصل به للمدى إلى حد تحميل الوثيقة أكثر مما تحتمل وما تضمن. كما هو الحال مع الوثيقة رقم F031/23180 والتي تصير من فكرة كانت يلمن نوري السعيد رواها للسفير البريطاني في بغداد، من

اتفاقاً جديداً مع الشيخ ولن تسمى لإحلال الكويت، طالما أن الدولة الشامية لم تنقض هذا الاتفاق.

٤ - تتعهد الدولة العثمانية بعدم التدخل في شؤون الولاية وأن تحافظ على الوضع الراهن في الكويت، بما في ذلك عدم جواز دخول أراضي الكويت المحيطة بالواد ٦٥، ٧ من المعاهدة، دخولاً عسكرياً.

٥ - تعترف الدولة العثمانية بالاتفاقيات المبرمة بين الشيخ وبريطانيا، بما فيها اتفاق ١٨٩٩، كما تشر بالامتيازات التي منحها الشيخ للعربانيين.

نذكر هذه البنود بكل تحفظ، وهما معلومات أكثر صراحة وإثارة من الموضوع التي حجبها الكاتب، لا نريد التورط بذكرها بسبب عدم حصولنا على النص الأصلي. ونعتمد الكاتب مقدمة الكتاب، ص ١٢ بالقول: «إن الوثائق التي يجريها تعكس وجهة النظر البريطانية والتركية والعراقية».

والحقيقة أن الوثائق بعد ذاتها تعكس وجهة النظر البريطانية وإن وجدت بينها اشارات من هنا وهناك إلى اتصال مع مسؤول عثماني أو عراقي كما هو الحال في الضميتين ٢٤٦ - ٢٤٧. أو عكست بعضاً من آراء عراقية كما في صفحة ٢٦٦. لكنها مقبولة تماماً ضمن الموقف البريطاني في آنس المصاف، وتجدر الإشارة هنا إلى أن كليات وتركي، أترك، تركياً التي يُخبر الكاتب من استعمالها لا تندرج عن واقع الدولة الشامية آنذاك، والتي كانت تضم مواطنين ومؤولين غير أتراك. اللهم إلا إذا كان الكاتب قد سلم أسره إلى القوم الأوروبي الدارج آنذاك، أو لغرض في نفس مقبوره هو آتري به.

ولو كان الكاتب إلى جوارى، سلمته الآن الجزء الخامس من كتاب السيد حسين الشيخ عزعل وتاريخ الكويت السياسي المختص لعهد الشيخ أحمد، وفيه مراسلات الشيخ مع المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، وسجد أنه لم يكن باستطاعة الشيخ الإقدام على أية خطوة سياسية مهما كانت بسيطة وصغيرة، دون الرجوع للمعتمد البريطاني، مما حدا بالسيد حسين إلى وصف الشيخ أحمد بأنه وكان رصاً متغنياً في استرضاء الحكومة

ماذا لم يترجم الأعظمي نص معاهدة ١٩١٣؟

البحث عن لغة لا تتحول إلى شعارات

خالد زيادة

يطوى أفق المدينة الجامع وتنتشر الوية الشيخ والفرق والفتات التي تحسب أنها المدينة كلها، وإنها العدل كله. وإثابها. القول عن شوق أو شوة وهي هوى وحل السامع على التصديق بأن هذا القول إن هو عن روية وعلم وقين، الص (٥٣).

وهكذا فإن الخطابات التي تتعدى لها مختلفاً بما تدر إليه، تجتمع في صنف واحد إذا ما أرجعناها إلى نورها. والتعريف أو الحد المستنى من أوسطها، والذي يشغل عدة صفحات، بمعد تطبيق التعريف على نتائج من الخطابات الرائجة في لبنان والناطقة، والتي يدعي كل منها أنه يقول الحق ويقول العلم الذي لا يتأبه الباطل من قبل أو عطف. وثمة صلة بين خطبة المذر وبين والوري السعيد الذي يتصلى عن القانون ومن كل مضمون للواجب، ويحسب إن الصورة

الموت لعدوك مخاضات وضاح شرارة فار الجليل. بيروت ١٩٩١

■ تحت عنوان «الوحي السيد وحطابة المذرة، إحدى فصول كتاب وضاح شرارة الجليل، يمد المؤلف ما يسميه بالخطاب الأيديولوجي السائد والسموع، إلى جوارى الفلسفة عند أرسطو - التي لا يصرها أصحاب الخطاب - مستخدماً شرح ابن رشد على مقالة أرسطو المعروفة باسم «الخطبة». ويقول شرارة: «أمران يوتيان بالخطبة إلى المذر، أو إلى ما يسميه أرسطو، تارة والرهة وتارة والنتشوق. هذان الأركان هما: الترجاء إلى كل فئة بما ينفعها، وتصويره في صورة للمحمود. وإقرار الفقة على عمدوها، حتى



الجماعات لا حياة لها إلا بتكاتفها على أفاقها المتجسرة. وينبغي بعضها بعضاً، أو أنها عاجزة عن مباشرة العوالم الواسعة. ومن يُصنع إلى السنة هذه الجماعات يجدها تتباهى دوماً بتجولها لبسان وتخطيها إلى أفاق لا تحد ولا تحوى... (ص ٢٣).

وكساد يبدو لنا أن المؤلف يستعير والتحليل الخلدوني ولغته حين يقول: «لبن الجماعة، جماعة الذهب أو الناحية أو البلد من البلدان، ويسن السدى الامبراطوري أو الامبريالي، مدى التغلب العام الذي لا يمهّد إلا ضعف القوة المتغلبة على الضم الاستيلاء، بين ملتين: الجماعة الصغيرة والسدى الامبريالي، توارد وتبدع ونسب. فلا تكاد تطل الجماعة الصغيرة على العالم الأرحب إلا من باب التغلب الامبريالي. ومن باب التغلب الامبريالي، فيقولها انتحائها هذا التغلب على الحماصات الصغيرة التي تشدها إليها أرواح الجوار والاختلاط والعادات ونوابب التاريخ ونكباته».

ليس في لبنان بحسب، ولكن في التجارب العربية، فإن نموذجاً واحداً يسودها وهو تغلب الفئة الصغيرة التي تستمد خصائصها من نظام البيت في العشيرة التي تستولى على الرئاسة، وتقيم سلطتها على الضم والإحلاق والفقر والاستيلاء. إن جميع الأيديولوجيات

تسمى بخصوصية التجربة التاريخية اللبنانية. منبذ أن شكل المحاربون والصلاح من الموارنة جسماً سياسياً. وقد عقدت هذه الجماعة، أي الموارنة، بين عوامل مختلفة وسياسية، بين ملكية الأرض الخاصة وبين التنظيم الكنيسي، بين صفة الأقلية الدينية وبين الانتماء إلى معقل حصين، بين تعريب لغوي وثقافي مع علاقات متعاطفة الوثوق بالقوة الأوروبية (ص ١٣).

كل هذه العناصر الثابتة تشكل البدعة السياسية التي يعرفها المؤلف على الشكل التالي: «البدعة في هذا هي إلقاء السلطة والقوة والاجتماع، عوض إلقاء الاجتماع بالسلطة والرئاسة» (ص ١٨). وقد زعمت البدعة اللبنانية المُفسّرة من السلطة، لكنها لم تخلق ثقافتها الجماعة (ص ٢١). وذلك أن ما حدث داخل الموارنة لم يحدث لدى سواعم، فراهت هذه الجماعة أن توحد تاريخ الجماعات الأخرى في تاريخها الخاص، الخ.

ويبدو الفصل التالي امتداداً للأول حيثما استعان الكاتب بما قاله جورج غاشي: «مسلحين لا تتجان أسماء، فقد ارتضى الشقيق الأصغر ما قصته له الشقيقات تدبيرهم إلى ربح قانوني هائل وراعي فوقها (ص ٣١). فتشكى كل جماعة على ذاتها ويوضح المؤلف: «لا يعني ما سبق أن

الداخلي الذي يرس إليه يعلمه المباشر وروحي إفي (ص ٥٥). وعلى هذا التصور فإن الخطباء، أي اصحاب الخطابات المقدسة، عادة ما يلجأون إلى تأسيس الكلام في الاجتماع والسياسة والدين والحق وغير ذلك، فهم دائماً على أبواب الحق والزمين.

يريد وضاح شرارة، ليس فقط أن يفصح نفسه خارج هذه الخطابة، بل أن يبلل على قساد مشروعيتها وبعثانها للحق الذي تدعيه، والمواقف في المرأ والتشدد. ويصح القول بأن الكتاب بفصله الخمسة، التي ألقت محاضرات بين ١٩٨٧ و ١٩٩٠، يريد أن يكون نصّاً متواصلاً للخطابات التي شادت أن تخلق العالم من جديد، كل خطاب على هواه، يحمّد ما لديه ويذم ما لدى سواه.

لكن الكتاب يصلح موضوعات وفتاها وتواريخ، ولا ينصب فقط على الخطابات وداليدولوجيات. في الفصل الأول: «البدعة اللبنانية أو الوطن الصبي»، يستريح على نحو مقتضب، ما يمكن أن العربيت، وقبل بشكها باستقلاله. فأكبر أنه لن يكون مقرأ أو مقرأ، علماً بأن القواعد العسكرية الاستعمارية من فرنسية وإنكليزية كانت منتشرة على امتداد الخريطة العربية. إن المسألة تكمن في ضعف استجابية الجياصات (الطائفية والمحلية) للدواعي التي

يدلل المؤلف على فساد مشروعية الخطابة ومجافاتها للحق الذي تدعيه

صدر حديثاً

كاتب السلطان

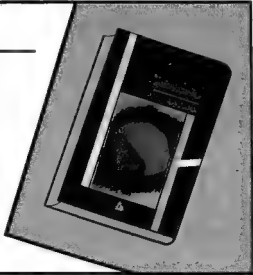
حرفة الفقهاء والمتقنين

خالد زيادة



KHALIL RAYES
BOOKS

98 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel: 01-245 1905
Fax: 01-235 6905



لعنف متجدد.

ويصبح الشغل على لغة مستقلاً من بين للعاجم في أساليبها وأفعالها، سابق للتتظير، لأن التتظير بدون لغة، يبدو اليوم مستهلكاً في لغة خطاية سائسة يستخدعها الأسناد والأعداء، معبدين، كل من جهته، انه يصنع حاله الدلالي، بينما لا يفعلون سوى اهم يتشاركون في اصطعاق لغة تستولد التعارب الخشائية والكوارث وتستولد العنف □ العنف

لا يسميها أصلاً، ان تنصيح، من وجهة نظر الكتاب، عن قوامها الذي يكمن خلف تهللها المتكررة والخشائية. ويسود الكتاب بفصوله المتعددة جداً متصلاً في مجال واستبطاء لغة، ميزتها عدم القدرة على تحويلها إلى شلارات، وتالياً لا يمكن استخدامها في الخطابات العامة. للثمة التي التي تؤسس لادعاء الحلق، وعهد

تلتحق إذاً بهذا التمشوج، الذي يلحق السياسة بنظامه فيجعلها أداة من أدواته. إن الفصل الأخير الذي يحمل عنوان والموت لمؤدوم، هو امتداد لهذا التشخيص للحالة العنف التي تستهدف الأعداء. فالعصبيات تستخدم السلطان، الذي ليس بدولة، إلا الدولة تفتقر حكومة الحق العام ينشأ بني السلطان على العصبية وانماج الخاص أي والأهل، في العام، أي ما يسمى بالدولة. يقول: والدولة العربية الحالية من الاقتتال الأهلي بمنزلة الركن. فهي قطعة من الأهل، من وأهالي البلدة. غير المواطنين (حيث لا دولة لا ينبت موطن) ويستوي على رأسها أصحاب العصبية الأقوى التي قد تكون سلكاً أو حزباً أو عشيراً أو قبلاً. ويؤدي هذا الضرب من السياسة الأهلية إلى حفظ الجبايات الأهلية الأخرى لمعها

تتحصن بها وتندرا من نفسها عواقب الانحلال والصمم (ص ١٠٤ - ١٥٠). تجد مراجع هذه الفصول في أعمال سابقة كتبها وفصح شرارة حلال غس عشرة سنة سابقة. منذ كتابه: في أصول لبنان الطائفي، والسلام الأهلي البارده. والكتايبان للذكوران محولة في التجربة اللبنانية في الدولة والمجتمع ويمكن ان تنقيب أصول آرائه حول النزاعات العربية في كتبه السابق صادراً تحت عنوان: والأهل والغنمية الذي هو دراسة حول مقومات السياسة في المملكة العربية السعودية. فضلاً عن دراسات جميعها في كتب مثل: وحول بعض مشكلات الدولة في الثقافة والمجتمع العربيين، والمدينة الموقوفة، الخ.

تكن فصول والموت لمؤدوم ليست نحصلاً للأعمال السابقة المذكورة. ولكنها امتداداً لها وتطوراً لجملة مواقف أحد في ملوثها خلال أعمال وسوات سابقة. وهذه الفصول، ليست سوسيلوجيا أو تاريخاً أو فلسفة أو سوى ذلك من أصناف الميادين والعالية. الانسانية. ولو كانت كذلك لحق للقراري، ان يشير عفة استسهامات حول الوضع في لبنان أو حول التجارب العربية وإعمالها في نموذج واحد. وتكون ماعند القراري جدية لو ان المؤلف أراد القيام باستعراض التجارب العربية، وهو ما لا يسمي إليه بقدر ما يريد لهذه التجارب التي

الساخرون في القصة الساخرون في الحياة..

ابراهيم صمويل
كتب من سورية

سيرته، تطوره، وراهية مشهده. ولذا، فالاطلااح - ولو على عينات غير كافية لتكوين صورة كاملة عن القصة القصيرة في سورية - يشكل نقطة محورية في عتم الحزب الحاصل. ولطرفة، والدلالة، اذكر الواقعة التالية: حين نشرت الناقد معلقاً خاصاً ضم عشر قصص لثلاثة فصاصين من المملكة العربية السعودية، تسامد الكتيرين منّا: ألي السعودية كل هذا العدد من الفصاصين وهذا السوى من القص ونحن لا ندرى؟! كذا الحال، جزائر منفصلة، منفلة، في محط عظم!

وقد جاء انتقاء المعدّ لتأنيج من قصص كتاب الأريمنات وصولاً إلى الفصاصين الشباب الذين طبع بعضهم مجموعته الأولى في ١٩٩٠، كأحد عمر مثلاً، موسماً لتأنيج الرؤية أمام القراري - والناقد معاً، ودالاً، في الآن نفسه، إلى ان النص الساخر ليس منتج مرحلة حديثة متأخرة، بل ظهر مع ظهور القصة القصيرة في سورية ورائق سيرتها حتى يومنا الراهن. هذا الأمر الذي يغيب عن بعض دارسي القصة في سورية عن اعتقادوا ان السخرية موجبة طارئة ولون محدث في لوحة القصة كذلك ميزة هذا الكتاب ايضاً انه يساق إلى ضمّ تأنيج من القصة القصيرة الساخرة

الساخرون
دراسة
حبيب بدلة
دار الأهل - دمشق ١٩٩٠

■ يتأثر معدّ الكتاب، خطيب بدلة، سمة عشر نموذجاً من القصص القصيرة الساخرة في سورية - ظهر معظمها في مجموعات صادرة لكتّاب من أجيال مختلفة، تغلبي تاجاتهم القصصية ساحة زمنية تقدّر بنحو نصف قرن من الزمن، تبدأ من الأريمنات. ثم يقدم لكتابه ملاحظات موجزة، يقول في آخرها: «... هذا الكتاب يسمي، تواضع، إلى تقديم دليله للقصة الساخرة في سورية، وهذا الدليل قد يتعمق الدارسين في المستقبل، وقد لا يتعمق، لكنه، في كل الأحوال، يحفز إلى امتاع القراري، وإفادته (ص - ١١) ولا شك ان الكتاب، حتى في الطريقة التي أعدّها، يكسب أهمية خاصة في ظل الحال القلوب، الشاذ، المواقف التثافي بين الدول العربية. قهتلم الجسور وخواب الغنوات بين كتاب عربي وآخر قد حوّل القراري، والناقد والدارس إلى محلة فيها يتعلق بالساح اللابداعي في البلدان العربية،

دواوين شعرية وليس قاصصاً كما تدلّ عليه أعماله الطويلة! ولا يكفي أن يكتب مخطفي الحاج حسين قصة واحدة حتى ينضمّ إلى مركب القاصصين الآخرين، خصوصاً وأنه شاعر يكتب القصة لأول مرة.. وليس له عمل مطبوع، كما يشير معدّ الكتاب في هامشه، وحتى يكون حسين على البكر من الكتاب الساخرين، لا بدّ من التريث حتى يطبع مجموعته الأولى على الأقل!

بعد ذلك، فإن هذا الكتاب يعني، بدرجة أولى، المشتغلين بالأدب من غير السوريين، كما يعني كتاب صادر من قاصصين أوفهم، في تونس أو مصر، مثلاً، المشتغلين بالأدب من غير التونسيين أو المصريين بدرجة أولى كي يتاح لهم الاطلاع على النتاج الثقافي في بلدان عربية أخرى.

فهل ينجز هذا الكتاب، ولأي كتاب، من متاعه الأثرية السالدة بين البلدان العربية فيها خصّ تبادل وتداول النتاجات الثقافية الأدبية وغيرها عما هو مطبوع.. أم يبقى (الكتاب) هكذا في حالة البائس رهين أكثر من عبيد؟

كاتب مهم. لقد بدأ بداية رائدة في القصة السورية لو عرفنا الانتاج أدبياً عريضاً. لكننا في ذلك الوقت لم نقيم بشكل صحيح، بل واضطهده. كنا نبحث عن أدب ثوري ياتي ولا يذر. أما حسب فكان يتابع تفاصيل الحياة اليومية الصغيرة بحثاً عن الكتلة. وكنا نرى فيها يكنه قصصاً طريفة لطيفة لا أكثر. ثم حدثنا الأهل فقد كان قصة ثورية ترز

أربع قنابل ذرية! (ص ١٠). الملاحظة الأخرى، هي أن عنوان الكتاب: «الساخرون» يترك انطباعاً بتشكّل تيار في القصة القصيرة السورية هو تيار واقعية الساخرة.. وتالياً، فإن هذا التيار لا بدّ له، بالضرورة، من كتاب وإعلام قدامى وجدد. ولا أدري، هنا، إن كان هذا التيار قد تشكّل فعلاً عبر مسيرة القصة السورية، وانتكس سبيلها وتغيّر بمصاحبه الخاصة؟ وهل أعطى قاصصين وتجارب في لونه وسقائه؟ هذا وغيره من شأن النقاد والدارسين.. غير أن اللات هو اختراع الكتاب بمص الفصيح، منها قصة حكم اليابا. القصة ساخرة، ولكن حكم اليابا شاعر موهوب، متميز، له

أعلام ممتلئة ليست قليلة بل يصدر كتاب نقدي شامل أوحى لجميعي للقصة القصيرة في سورية، سائراً كانت أم غير سائرة، بالرغم من غنى وتنوع هذا الجنس الأدبي في سورية وكثرة مبدعيه ويزورهم على مستوى الوسط العربي، بحسب كيالي ويتركها تار وسيد حوراني وغيرهم، ويرغم التجارب القصصية التي تلت وأسهلت بمساعدة في تطوير صيغته وبنائه المعاري وتعميق رؤاه وانتفاض موضوعاته الأقرب والأهم لحياة الناس كوليده معاري وعهد كامل الخليل وغيرهما. وإلى ذلك، فالسخرية - متجلية في أعمال أدبية وفيه أم منتقلة من الحياة اليومية - هي الناس. أو هي الوجه الأكثر بساطة، الأقل لوناً وتزييناً، الأبعد غوراً في جوهريهم حزناً أم فرحاً أم انكساراً. وليس مصادفة، بالطبع، أن تكون السايح والبيون الاحب للقصة الساخرة تلك المتفجرة من البيئات الأكثر شعبية، وأن تقوى في لغتها على تصابيحهم وأمثالهم الدارجة وطعناهم، وفي روايتهم على أسلوب روايتهم الحياتية وطرائق سردهم.

من هنا، إلى ما سبق، تصالف أهمية أخرى لجميع صبح عشرة قصة هي نتاج من مسيرة نصف قرن. نصف قرن لا من الانتاج الثقافي الأدبي (رواكيه الأولى، مراحل تطوره، وأفاته المحتملة) فحسب.. بل من مسيرة الانتاج الحياتي أيضاً. إن جاز التعبير.. من مرحلة حياتية سياسية واقتصادية عاشها وعانى منها عدد من الأدباء كانوا الشهود على وقائع واحداثا للضمحل المبكي فيها.

الطبع، كان يمكن إحصاء الكتاب بطريقة أخرى يكون فيها أكثر غنى ولأقلّ نقصان، إلى صوصه، دراسة نقدية للقصة القصيرة في سورية بشكل عام، والساخر منها بشكل خاص، نقدي للساخري منها، رواده وأعلامها، المراحل التي مرت بها، مفاسل تحولها... إلخ إضافة إلى جانب عام هو حافية ودلالات النجوى إلى السخرية في القرن بين الكتياب، وكذا في الحياة بين الناس وللمجتمع. يمنع ذلك مشروعنا أكر للاهظة معدّ الكتياب، حطيط بدلة، أن اللون الساخر في الأدب كان، في فترة تاريخية، محطّ يحفظ من الوسط الثقافي السوري، مدكلاً على ذلك بقول أحد رواد القصة السورية سيد حوراني: «... برهاني أن حسب كيالي

الخطاب العربي على سرير التحليل النفسي

موريس أبو ناضر

ومحمد حمارة، وهو مثقل بارز للسلفية المتزوّدة يكتب: «كان منطقياً وسيروياً تماماً ذلك المشهد الذي استيقظ له الشرق العربي وفتح بسببه عطفه وحيوته، مشهد الغرب الذي عاد في صورة بونابرت ومن بعده من تلاه من الغزاة، ليقتصر عسكرياً، بعد أن انتصر في بلادهم حضارياً، وقتلهم، أذعن هذا المشهد عقل العرب وقلوبهم، حرك لهم ما يحركه من الكهولة، إذا هي لم تصنع نصيب، وإذا هي وقتت عند حدّ الايقاظ والتنبه».

. وراشد الغنوشي، وهو مثقل بارز للسلفية الخالصة يتحدث: «لم يصحّ (العالم

المتفقون العرب والترات دراسة

جورج طرايشي

رياض الرئيس للكتب والنشر- لندن ١٩٩١

■ نشة شبه إسماع في الخطاب العربي المعاصر على وصف لحظة احتكاك العالم العربي بالغرب بأنها كانت بمثابة صدمة. فمحمد عابد الجابري، وهو من أبرز معرّلي العقلانية المعتدلة يقول: «إن النهضة العربية الحديثة كانت أماساً، ومنذ البداية، وليدة الصدمة مع قوّة خارجية ومهذبة، قوّة العرب وتوسعه الرأسمالي».

كتاب من لبنان



وموت عبد الناصر. حينها أن نشير إلى الكتب التي صدرت والندوات التي عُقدت حول التراث في السبعينات والثمانينات، ولكن هنا على سبيل المثال كما يستحضر صاحب الكتاب ندوة التراث وتحديات العصر التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في القاهرة في أيلول ١٩٨٤. ولكن أيضاً على سبيل التطويق مؤلفات حسن حنفي المفكر المصري الذائع الصيت بدراساته حول التراث والتجديد.

إن كل الكتابات حول التراث سواء جاءت بشكل ندوات، أو بشكل مؤلفات تعاني من الرُشة الحزبية، التي أدت إلى التركيز حول التراث واعتباره دكحول الطيف العربي، أو طيفه الذي يغير من الطيبة الطغلية لأية النكوص التي أرذنت إليها الرُشة الاجتماعية المتخففة في إنتاج الوعي، أي التلجاسبا العربية. يكتب طرياشي: «من الممكن تأويل كل موجة السلفية التي تزاحت في أعقاب الهزيمة الحزبية على أنها فعل لولاء بمعنى ذلك الأب المعنوي الكبير الذي اسمه التراث، ولا سيما في الوجه المصاحف من بهالة الدين، والذي يقال إن اليوم بالك صورة وصورة». على نحو ما يقال للظن الفاسد لسبب من الأسباب شعوره بالطينية، إنه هو البدر الواسع للعب، وهو الحالي لمكبسه، والمحافظة على هويته.

إلى جانب الرواية الأيوبية التي تمضي إجمالاً بين التراث وتغييره الذي بشكل غير قابل للحصر في كل الخطاب التراثي المعاصر، هناك الرواية الأموية حسب تعبير طرياشي التي تختزل التراث إلى بعده العربي فتجمل من اللغة القويمة رابطة رحيمة. وتلك هي زبدة فلسفة زكي الأرسوزي في «الرحمانية». وهناك أيضاً الرواية الأتوية مع حسن البنا الذي يعتبر وأن العرب هم سائر الإسلام المميز، نالسة لفية الشعوب المسلمة، وهناك روايات لا تعد ولا تحصى حول، والديموقراطية، الموصلة نسباً بشجرة الشورى والعلمانية، المعزولة عن الشعب والمتصالحة مع الإسلام، والعلوية الجيدة ذات المنهج المعرفي المطلوب.

على هذا النحو تتم الجلسة التحليلية المعاصرة عن الخطاب العربي المعاصر. جلسة تمتد على ديوانها أصحاب الخطاب

إذلاً وجارية. فهزيمة ١٩٤٨ كان يمكن تبريرها بإلقاء التبعة فيها على الطغيات الحاكمة العميلة والرجعية، وهزيمة ١٩٥٦ كان يمكن تبريرها، بل قلبها إلى نصر، ما دامت إسرائيل قد شئت الحرب بتواطؤ مباشر مع إحدى دولتين استعماريتين، وبمشاركة مباشرة لقوات إزالتها الجري والبحري.

وفي السرة أيضاً أن حرب حزيران اللائقة واللاسلطة شكلت هزيمة متجددة وغير قابلة للتصريف. فالقوم وعدت التين وعشرين سنة من وحرب يونيو السوداء، ما تزول الهزيمة الحزبية التي ألقتها إسرائيل بالعرب ترك بصماتها في اجتماع لبنان، وتسير الحرب الطائفية فيه، وتشتت الفلسطينيين، وإضراد الحركات الأراضية المحتلة، والأعلان من انفرادها بإعتلاك القنبلة النووية. ولها ما لا يمكن التسليم به من قبل الوعي العربي ومن قبل لغة كبيرة وعريفة وتلقية التراث كالأمة العربية.

وهزيمة حزيران فبل أن تكون هزيمة للجيش العرب ورواية «الطغيات» كانت في المقام الأول كما يقول طرياشي هزيمة لجسد الناصر، ذلك الأب المبدع الموهب الذي أخذ على عاتقه في وقت ما أن يتحدى ويستمر الجبهة الشريفة إسرائيل التي اغتصبت فلسطين وهزمت العرب في حرب الأيام الستة. يكتب جورج طرياشي في هذا السياق: وهكذا لا تكون إسرائيل قد خضت الأب فحسب، بل قتله أيضاً ولم تترك له خياراً آخر سوى أن يموت قهراً. وأن تكون إسرائيل قد اقتلعت على الأرض، وهو يمثل قامة عبد الناصر، فإنه لا يبقى أمام الأبناء في مواجهه عضوها التكتولي المزدوج والكلبي السميّة، سوى أن يولغوا ببعض أب أكثر تجسراً في الاستمرارية التاريخية وأكثر ثباتاً في ليل المصور، وعلى هذا النحو أنشئت للاشتغال آلية النكوص إلى التراث بوصفه أباً رمزياً حياً.

ما حدث قط في تاريخ العرب كما يرد طرياشي، أن طُلت شعاعة التراث وحملته، وأن عُزيت إليه كلفة فاسدة سحرية، ومن نط قايوسي، كما حدث في موجة الرقة التي اجتاحت المساحة الفكرية العربية كقص للهزيمة الحزبية،

الإسلامي) من غليظه الطويل إلا على مدافع العرب نذك كونه المتعاقبة وتقرض مؤسساته تصدعه في كبريات ومطاميرته الزائفة إلى سلطة أوضاعه، (فكانت صلعة عتية في شعور المسلم أينقشه من ندوة الانحطاط).

واضح من هذه الشواهد أن صدمة اللقاء مع العرب كان لها مفعول إيجابي استوعب تسمية عصر النهضة العربية عصر الانحطاط أو الخبطة أو الصخرة. لكن صلعة اللقاء تحلّت بفعل حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ التي انتصرت فيها إسرائيل على العرب إلى «رشة جماعية». كما يقول جورج طرياشي.

والفرق بين «صدمة اللقاء» و«الرشة الجماعية» تيماً لراي طرياشي كبير. وهذا كانت الصدمة تستمر الوعي... وتشهد وتتمتع أكثر حساسية بالواقع البدائي والخارجي على حد سواء، فإن ما ستفكره الرشة النفسية بالمقابل هم اللاشعور، ويكون من شأنها بالتالي أن تلمّ الوعي وأن تخلص حساسية وأن تنزع أسامة المصداق للعرب من الواقع بدل مواجهته. ولا يكن المفعول الوظيفي للصدمة هو مطلب التغيير، فإن منزع الرشة النفسية هو إلى التثبيت. فبدلاً من تسريع النمو، يزداد الضغط اللاشعوري من أجل وقف الصدمة ومن أجل إلغاء النمو. وما كان مع التمسك بمساراً، يستحيل مع الرشة لجسماً. والاندفاع إلى الأمام باتجاه التقدم تنكفه على نفسها نكوصاً.

إن السؤال الأساسي الذي يطرحه طرياشي بعد مغارة صدمة النهضة بالرشة الحزبية هو لماذا كان للهزيمة ١٩٦٧ وضعها، دون سائر الهزائم العربية في الحروب مع إسرائيل، وقع الرشة ومفعول الرشة؟

في الأجابة يرد صاحب الدراسة بأن حرب حزيران ١٩٦٧ كانت لا متوقعة، وغير قابلة للتنبؤ من وجهة نظر الدفاع عن التسمية الرجعية، كانت طعة صمام للثال الأموي العربي، ولم يكن لها صمام أمان لتفني ضغطها الذي لا يطلق على عزة الذات القومية. وكانت بين سائر الهزائم العربية، هي الأكثر غرماً، وبالتالي الأكثر

الخطاب العربي يتوجه تحت ضغط الاجابات، صوب تشكيل الأفكار لا الواقع



بات يتسنى بلا تحفظ ب «العقل العربي». ولكن العقل المستهدف بهذا النقد ليس العقل الظاهر بقدر ما هو العقل الباطن، العقل المسكوت عنه.

إن كتاب طرايشي والمفلسون العرب والتراث بدءاً من الخطاب العربي المعاصر على سبيل التحليل النفسي، يطرح أسئلة جديدة على موضوع قديم، ويستصدر أجوبة ما يتسنى إليها. وكما يقول إرنست جويز، فإن وكل تعميم علمي لا يعد تبريره في التحليل الأخير، إلا بما يتبعه من فهم لشيء كان لولاه سيبقى مجهولاً، □

الهوية، يؤسّسها التحليل على أنها استمرارية واتصال يكون فيها التماهي مع الآخر مكاناً دون نزع الهوية. ومنها أن تقسمة الانفصال الوحيدة الممكنة مع الحضارة العلمانية من خلال قسمة التحليل تظل هي الثقافة القومية، المتعددة الأفاق، والتعلّقات والمضامين. الثقافة التي تجتهد نفسها دوماً على ضوء معطيات الواقع المحلي والإقليمي والعالمي.

يدخل مشروع طرايشي في نقده النفسي لتأجيج الانتلجنسيا العربية ورجالها ضمن المشاريع المتكاثرة في هذه الأيام لنقد ما

العربي المعاصر، من الجابري، إلى غليون، فعمارة. ومن الفروشي إلى عبد الملك الحافظ، ومن الأرسوزي، إلى البنا لحسن حتي (خاصة حتي الذي تطول جلسته في آخر الكتاب) إلى العديد من المؤلفين والكتّاب والمفكرين. جلسة تبرز في أعقاب خصوصيات الأخيرة أن الخطاب العربي المعاصر مُصاب بضعف حمائي لتحموره حول مقدرة التثبيت على العاصي، أي التراث، عقدة ذات طبيعة تكوّنانية بدأت الاشتغال بشكل متدافع منذ رضة الهزيمة الحزبانية، التي كان لها مفعول مُفرض على الشخصية العربية بالذات.

قد يكون التماهي السحري مع العالم على طريقة التراثين أرضي للنفس والذم، ولكن التماهي العلمي والواقعي مع الواقع هو وحده المحزّر. من هنا يمكن اعتبار القطة من مبدأ اللذة في النشاط العقلي إلى مبدأ الواقع نقلة من طفولة البشرية إلى سن رشدها. وهذا هو أصلاً معنى الحدانة كما يقول طرايشي: أي الاعتقاد بوجود عالم موضوعي، والاعتقاد بقدرته العقل سلماً بسلاح العلم والمنهج التجريبي، على معرفة هذا العالم، إن لم يكن في صناعته، فعلى الأقل في قوانينه، والاعتقاد بتأثيراً بقدرته الإنسان على التدخل، من خلال المعرفة، في الظروف السائدة بغية السيطرة عليها وتعديلها ولو جزئياً.

هذه الولادة للحدانة والمقلّانية، هي التي تنكس عنها الخطاب العربي المعاصر نقاباً للتوصيف التراثي. فالخطاب العربي حسب طرايشي، وإنّ يصحّوره حول التراث تصوره حول قضيتة القضاء، يبدو وكأنه يصود، تحت ضغط الإحباط، إلى إلقاء الألفاظ اعتماداً أكبر من ذلك الذي يوليه للأشياء، وإلى التوجّه إلى إعادة تشكيل الأفكار بدلاً من التوجّه إلى إعادة تشكيل الوقائع، وإلى التفتّح من مبدأ الوقائع الجارح نرجسياً إلى مبدأ اللذة المافسوي البلسي.

إنّ درس الواقعية هذا كما يصومعه مؤلف الكتاب يقتضي في تقديره أن تعيد الانتلجنسيا العربية صياغة إشكالية الأصالة والمعاصرة برمتها وفق اعتبارات عقلانية وواقعية جديدة. منها أن العالم يتجه اليوم أكثر فأكثر إلى أن يكون موحد الحضارة، متعمّد التمايزات. وأن التقريب الذي يؤسس الحماية الحضارية على أنها قطعية في

رصد أسرار خلف ستائر كثيفة

جنان جاسم حلاوي

كاشكالية مع المركزية العسية لصامبها وسابن السيرة التاريخية والمم الروائي يهود حبش متاربعاً نعر الثاني (الروائي)، مكتناً على أخبار المؤرخين، كأنها لأساغ الصدق على الحكمة، أو لراكمة سباق يتسلسل حتى إنتاج رواية مكتملة المعنى، توخت موشاج مصيرة الحاكم بأمر الله، وسيلة آتيان ما حصل وجري له حوله، وعليه

عصوماً تستمرق كيب السيرة ذات بهم ضرب لثال لأراض الوطع الانخالي، أو تثيت شرع وسن غابها تبليغ التسلسل قوة المخفي، ويسطوره هذا إذا كان دافع السيرة ادراك التاريخ باعتباره نقاط حراسة تبلغ بعضها بعضاً، حتى تقوم الساعة، كذا سيرة الأولاد، الرسل، القادة، الأبطال الخرافين، إلى درجة جعل الواقع أسطورة متروقة في كل لحظة قدورية، وموتراً كرات باهية التطور الاقتصادي والاجتماعي في صنع القوى السياسية، في تستطير الوقائع الأيديولوجية، وما يشع حول الكل وبي من قيم جرائية، ما نقضاً تنحصر منحنى مأكسات أهداف تلك القوى، وذلك المستطير، مهيتة اشكاف داني الغيم التفتية للمعتمها ذاتها، خارج الوعي

مجنون الحكم

رواية

سالم حميش

رياض الرئيس للكتب والنشر - لندن 1999

■ قصة الحاكم بأمر الله، يقدمها حبش في روايته مجنون الحكم، (وجائزة الناقد للرواية 1999) عافياً أسلوب السيرة القاصم على قابليات تخيل التراث السري، بلغة تستمد بلاغتها من مناهات تلك الحقبة العارة من تاريخ مصر، ولئن كانت إمكانية السيرة أقوى بدلائلها، كما يلمح من النص، فإن اللعبة الروائية لا تتعارض مع تلك الامكانية، بل تشغلقها إلى مستوى تراجيدي، إن بصياغة اللوحة القصصية المشهوية، أو بتجسس سباق غايات الإبطال، ثم آياتة دواخلهم، تداعياهم، وأفكارهم، بقروالهم العالية النيرة، هدف رسم لوحة ثانوية لصفوف وقوة، لا تنصاع وهزيمة، حقيقة ووهم ناس سادوا ثم بادوا بأن تلك الفترة ولا تأخذ هذه اللوحة خصيصتها من جو اجتماعي شعبي واضح، قدر اعتدالها على تنيع وقائع السلطة السياسية وجبريات تعقلها، حيث تبرز





«لعل هو الوجه الآخر للسياسة»، وكل من سلس خاطره، ومن لم يجبر الشر لا يقدر على فعل الخير، وكل منا مرطقي الآخر، «نقتل في القرنين أهل البطانة أول ثم أول، واللا ما استتب أمر السلطة للمستبد، ولو كان عادلاً، «وري كل شيء تطرفوا، تطرفوا يرحمكم الله، «إلى الاستثناء الذي شاء أن لا يحاكم الله في صفاته لمراسل من الولاية، والحقيقة . هي من صنع الآتوي والأقدرة (ص ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥)...

ولا تختلف مراسيم الحاكم في غرابته عن أفكاره، لأنها تنفذ لا يدور في رأس خرافي، لا ينبغي غير البحث عن مكان خياراته، بين أن تكون قصيدة منذ الأزل إلى الأزل، أو صبرورة بشرية زائلة، موتها يحرم يدها، ويمرر نفسها. ومحيط ينقص خطاه صوب الحقائق المغيبة، المحجوبة، الملهوطة بسانوت تنصه معاني وجودية، جعلته إنساناً معلباً، يتقافه الزمن المادي والعلم، الموت والخيال، الساعية والصورة، فلذا الحاكم (المريض) صعب من التسليم، ليس جبراً ملزم، كما تدهي الأسطورة، لا إله إلا الله، لأعمق درجاتها، وتنشقاتها النفسية، تحت تأثير ضغط أكثر أحلامية من ترمحات الأشاعات المخلقة (وقد كرس جيش هذه الفكرة فصلاً كاملاً عنه) في «الجلوس في ذهن البفنج» (ص ٦٧-٨١).

تولي أبو علي منصور الملقب بالحاكم بأمر الله دولة القوط، سنة ست وخمسين وثلاثمائة وله إحدى عشرة سنة ونصف. وقد عرف عنه سوء المزاج، وتقلبه من حال إلى حال. وكثر اللطم حول أصابعه بجفاف الدماغ. ذلك ما أورده المؤرخون عن قصص راجت حول حبه لتسكت القدماء، وطغيانه وتهميره. وإذا ما يعالج جيش كائنية الحاكم مشاهد قصصية توسل الفانتازيا إلى الواقعية السحرية. فهو في الوقت عبقري يعمد إلى نزع الصورة المعروفة عنه (كونه وحشاً كاسراً، يقتل رغبة بالقتل) ببدليل حب الحاكم لشعبه وروحيته في أعلاء شأنه، إن بشره بركاته وبرامجه وأوامره وزواجه. أو عبر أقواله المأثورة في مجالسه. فالحاكم الغاطسي كرس جزءاً من سياسته في هاربة الاستحار والاستقلال، والدفاع عن القنار، ومطاردة التجار، إلى أبطال المكوس، وإطلاق حرية

يدفعا فصولنا (نحن القراء)، صفحة أثر أخرى، لاستكشاف مقومات البطل النفسية/السورية، وقراءة جزائريته، وما إذا تطافت أو تناقشت مع الأصامة المسحوقة على يرائيتا بسبب غرابته الواقع القصصي الدلال على حياة الحاكم بأمر الله. ذلك الباحث عن كيوتة بوسائل الدعوة المرمية، والمعارض على استحصار ذاته، ومعرفة أثناء صراعها مع قدره. مهياً نفسه دوماً، لا اختيار وجودها، متكهناً بموتها... إن أدراكاً هذا المهم الوجودي، المتروك لذكر المشاهد، يثيرنا معلماً. يستحنا كي خطومن الصورة/الوهم صوب الحقيقة العارية، رغم اتلاف المؤرخين لسيات الحاكم الانسانية. فهو حسب الروايات مخلوق مثله، سيرة عجيبة، وأفعاله غريبة، باتت كقوة عظيمة، مظنة تناتل السور الفلسفية ظهورها لتحكم المصيرين عنوة، بشرائع وأهم صارت فيها بعد أهمية، طلائية... ومحيط لا يعترض تماماً ببدليل قوله الأصابع، فاحسب المجال المغيبة الخيالية استحصان تلك الكيانات، خطوط روي، خلص إلى عرق تجليات الجاذبة، جزمها مع الوجود، وأجلكها المعاصر في فهم الفدر على مرها. صموداً عن قيمان الشخصية وسلطانها المسوقة، حتى سلوكها المنافي وأفكارها. ولا أريد البتة بسلوكية الأسلوب، أو انفساله تحت موضوعية وجودية، محددة، لكن بناء شخصية يتعد طرازها طوراً فطورياً حال غير مثير فوق ركاز التاريخ، لا يتم بغير دراسة علاقته الخفية بين كينونتها وبين النوع المادي للآخرين، وبينها وبين ذاتها المجردة، بوساطة تأثير الأحداث في الشائكة النفسية المتعقدة، نحت السجين الأيقلي للشبيبة، أي أن الشخصية الروائية، وليست التاريخية، هنا، تعبير عن معيار مثل نلتني أنصلاعه (النفسية، الوجودية، الاجتماعية) في رؤوس ثلاث هي نقاط الحرم الفني، الرافض لفكرة الفدر الأسطورية. لذلك سمى الكاتب بداية (ويذكره) أن استدرجنا معه، نحو معارج الحقيقة، وصبر وسيلة، مبدسة فلسفاً، باقتضائية، انقضت منه سون أفكار الحاكم بصيغة (أنا أقول)؟ أي الحاكم، من القنار:

«ورطتي ليست مع التاريخ، بل مع نفسي المحزونة»

التاريخ الموضوع سلفاً وعمداً بقصد سياسي. فالبيرة الإسلامية وعطلة لا تحصل في كل زمان، كتاباً. كما يراد منها - حاله لكل زمان، أما السيرة الشعبية (الشفاهة خصوصاً) فهي ضرب التل بالطل الحارق والمالغ أيضاً لتضير الأحوال، في كل وقت يشاء، بينما أفضجت السيرة التاريخية بترتيبها وأجهت عامة، ومصرقة غالباً، ليصورنا تناسب وصلحة المؤرخ المعركة. ولم يتوقف هم كتابة السيرة عند المؤرخين، بل تعداه إلى الروائيين الذين وشجوا التاريخ بقدراهم التخيلية في أجل الاتباع تارة، أو الوعظ الأخلاقي تارة أخرى، أو التنويه بعذمت سيدها ثالثاً، أو الاحساس بالتاريخ أخيراً، كونه شبكة ادراكات تؤثر في مسار الأفراد، الشعوب، وليس تسجل أحداث فحسب، تدعي غاية أبديولوجية (دينية/سياسية)، بل لبناء عمل ادعائي يعني الحلم البشري بروق خاصة حاضرة، تتطهر مزهوة بدهرها الأول، وعبر غلالات ماضوية تسلمهم تعابيرها من بلاغات السلف وعلى أفضات رموز تتأمل مستقبلاً، تحاول سير أبعاده المارة نحونا بريقاً أثر يوم يكتب جيش روايته هوس رصد ويتبع تفاصيل أسرار، وتبليها نواب، تنفض جيداً خلف ستائر كثيفة، تستر الحاكم، أو المتسردن: وفي الوقت ذاته يشند التحيل لمرج، تحويل، وتقصير الوقائع والأخبار لاستكمال قصص صياغة ممكنة، تنج عدلاً فنا بداري معدنية المعنى، استناداً إلى كتب الأولين... ولا يسمي إلا أن أقول بنجاح جيش في تجارب ذلك الحد الخطر، حيث فشل الكتيون، وأقصد الحد الفاصل بين السيرة التاريخية، والرواية الخيالية التاريخية. حيناً تقصص الكتاب بطله. خاطراً في تضاعف أوراها. تحويل، حروته في القص التمثل أو التبرير أحيان كثيرة، متبلياً حضوره كأنه حقيقة وروم في آن معاً... والاقتران ورد بسبب هيئة التحيل على الاستناد القوي التاريخي، إلى علة أخرى مهمة، (كما شتمت) حب الكاتب لشخصية الحاكم رغم جنونه، قبل الشروع بكتابة الرواية، فيما



التأويل، وعبارة الشعوبة، مراسيم تساق (طعماً) مع أخرى غريبة مثل نقي الغنم، تحسين النساء، وقتل الكلاب. إلخ ثم تليط الصد مسعود (آلة العقاب الرواقي) كي يغتصب المحتكرين قصاصاً، كما يصدر عن الحاكم حكماً عقابياً، بآلية شبيهة عن الصلابة عليه في الخط والمكتاتبات. ولنا في فصل (الجلوس لطلب المشقة) (ص ٨٣ - ٩٠) أكثر من دليل يتصف هذا الرجل الذي لم ينصفه التاريخ، وحتى ادعاءه بربوبيته يات مشكوكاً فيه، فما هو يردد عموماً

ولذا يا صديقي بالله عليكم لا تغالوا في تأليهيهم وأتأخي أحكم الناس وأصغر في رقباهم (...). فادعوا الأقوام من بعدي يوم غيالي إلى أن ينسجروا من أطراف انقراضي ما شادت لهم أوصاهمهم ووساوسهم في أقضية القبيح واللهاوت، (ص ١٠٧ - ١٠٨).

نحن إذن أمام شخصية انقضائية: قاسية وطوية، خيرة وشريرة، حسية وروحية، حلوية وواقعية. تقرب من إبداع الوجود بقوة العقل، وقساوة الإرادة الحاكمة، وحلم الأنا، شخصية غير خاضعة لمفهوم واحد في الحياة، ولا غاية واحدة للموت، فلهذا (كما نطش) تحقق حياة أخرى أجل، أرقى وأفضل، وبواسطة الفناء للتحقق المتواصل. هي نزع تخيرية تقرب حثيثاً في فلسفتها الصوفية من منطق القدر الفردية لدى نيتشه، ولا أمالي....

غير أن الرواية لا تأخذ مساراً وادئياً. حيث تنقطع في صفحة (١٠٨)، لتجده وجهة أخرى، صوب انتفاضة أبي ركون المشرذ المماري القائد لجموع العشار، المشرقة ضد الحكم القساصي، فتتحدث أحداث الثورة وتفاصيلها على مساحة تسعين صفحة، أي ثلث الرواية تقريباً. لذلك بدأ طويلاً جداً قياًساً لنبأه الروائي أجده، مع بقاء قصة الانتفاضة ضمن منظور رمي يوراني التناخ اللغوي، التنبيري، بما ينجم من السرد ككل. إضافة إلى تلازم المعاني جدلياً بين الثور والحكم، ظلالاً كان الصراع الطبيعي، نتيجة وسأ نقيم الثورة، وبنائها المفاجئة. ولقد أمدد حيش روايته بحقائق القبة وتوجهه إلى ظلال الحاكم ولو من بعيد، أثناء استرساله مع ثورة المغاربة وأحداثها الجسام. وليس مصادفة نمو القصص الثانوية المطولة داخل

معاليزات الروايات الثانوية، من غير تأثير يذكر على خطة السرد وصدفتها، ما دام الاحتمالي بالتاريخ والتحليل هما اللذان يقرآن حجم نواع العمل التاريخي للروي، أساساً، ولو كان التحليل وحده، للملك الأصل لبات الحجم القصصي الحاشي لتفجر من وسادة السرد، غطراً وأضحاً يهد منه الرواية وقد يطيح به.

ولو استعرضنا المقارنة بين قصة الثائر أبي ركون من ناحية، وقصة الفتى بين حيد الحاكم بأمر الله وأهل مصر، أيام حرق القاهرة من ناحية ثانية، لوجدنا حيش يمر مرور الكرام على هذه الفترة الأحيية وفترة التفتن والشغب، رغم أهمية نتائجها المؤثرة في انهيار حكم الحاكم ومقتله على يد أخته ست الملك، بعد تجسير خطة عكمكة لا احتياله، وتنصيب الظاهر لا عزاز لله الله حاكماً بدلاً، رغم صغرته.

من هنا يتجلى لنا أن نسال: لماذا اختلت قصة أبي ركون هذه للسلة نسبة لأحداث أخرى هزت أركان الحكم العاصمي مثل اغراق مصر، وبيع أمالها على أيدي حيد الحاكم؟ فهو على حيش بين تحول روايته إلى مجزأة قصصية قد تطول كثير على سرورة السرد، فتشظن القبة الأصلية؛ للبحث الروائي كونه أنسب للرواية؟ لم هي غاية مقصودة خلق توازن بين شخصية الحاكم وأبي ركون تحلله من خصوصية السيرة الكلية للحاكم بأمر الله، الأمر الذي يجعل الكاتب عسوراً على كتب السيرة الحق، مع تحفظنا على شخصية أبي ركون التقليدية مقابل شخصية الحاكم التنبية؟

والإجابة كما أرى هي في بواطن السؤال الأنصبي، أي مداراة التوازن بين جسامي الرواية حتى تدوير الحكمة بالأمه مغاير، لكن يوزي إلى نقطة البداية مع الالتزام الصارم بزمينة الوقائع ولغة التفاصيل، ورشد البداية، الوسط، النهاية، إلى الهدف الأكيد بكتابة رواية لا سيرة تاريخية. وحيش يفتح مجالاً، وفقاً من حظه، متحكماً بآلية القص، مشدداً أكثر فأكثر للنهاية، التي ضاعت وروحها الأسلوبية جمال البداية.

يقتل الحاكم بأمر الله عن ست وثلاثين سنة، فيما تبقى دعوته قائمة في بلاد الشام.

بينها المدعاة، والريون رغم اضطهادهم ومقتل أغلب قادتهم. إذ أن خصوصية الحاكم لا تكمن في قسوته الاستثنائية فقط، بل في حسابه للمحكم، للتاريخ، للمفوق، للفساد، وبجسده في بحر حقيقته المادية، وبفروجه في بساطه الذهني. لم يكن الحاكم متيقناً من أن التاريخ لا يسجل إلا الظواهر السطحية، بينما يعمل الحقائق الباطنية، النفسية التي تؤثر تأثيراً فادحاً على مزاج وسلوك القوي التخيرية الفاعلة في مجريات الحقب؟ أن أفلام المؤرخين لم تسجل حقاً ما سجل قلب حيش ومخيلة تلك المكاتب: حزين أوسع من أن يفهم. حزين أكبر من أن يعقل (ص ٢٠٩)، ولا

إساسة إلا للأجدر، لا إساسة إلا للأصلح (ص ٢١٤) ولم من قال أننا لا نحب كذا في حلم مزيج، أو أكولة، شاملة متواترة، (ص ٢١٦)، حتى يبلغ صدق الحاكم مداه، متحسناً حقيقته نفسه كل حين، في مرة خيالها، وانحاً انه لو تعرف على عدوه الثائر أبي ركون، لجالسه وحادثه ولربما كان يسبعه ورياً في خلافه لو تيقن أنه الأصلح للأجدر من غيره، أن تنسويات عديدة ترد من حب الحاكم للعلم والبحث عن المعاني الجميلة والقيمة اللازلة لكتابة التاريخ بدلاً من سجلات تدون أهراس وولاتهم ققام، حتى صرخته المعوية قداماً عن حاله.

ورطيت مع التاريخ، بل مع نفسي للمحرونة (ص ٢١٩). إن الصديق الفني لبنا حارة روايته تاريخية جديده، يمكن في تجريد التاريخ من أقطبه الكثيفة اعتياداً على رؤية مغايرة تتوخى الغور النفسي الكائن، تحذراً وسلوك الأبطال، وأسرارهم. فهي هي ست الملك مثلاً تنال كل معارضها رغم عيبها بواسطة أحمد أهرابها الدهور (نسيم). لا حافلاً على السلطة فقط وإنما أيضاً (كما) صورت أحلامها) حروف من مفتاحها والاعتدال على جسدها. فالحقت نسباً الحصي ببقية القتل، لتستر هي الأخرى... وما يلوح من قوة شكية ست الملك، هو في نهاية المطاف سفرية من تليف مكتوب، صبيت أسبيلة، الدقيقة تضعد... لم يكن الحاكم الجنسي (مثلاً) وأعزاً أصلياً وراء فصول تلوح نقطة كما أراها المؤرخون؟

حقاً لقد صنع حيش تاريخاً روايياً، ارتكازاً على قيلة جامعة، وثراً عربياً بقاء، بقية، فأنار دعات، واكتشف جامعي. □

صنع حيش تاريخاً روايياً عبر مخيلة جامعة



طغيان الاسلوب الوصفي

أحمد بزون

مثلها مثل بلدان العالم الثالث آنذاك. في حين تعترف أن مرحلة الطفرة النفطية، رغم انحدارها الضخمة، على صعيد اقتصاد الدولة والفرز، ولم تسهم بوجه عام في تحقيق تنمية قابلة للاستمرار - على الأقل في حالة عبيرة - بل يعتبر المؤلّف أن عملية التنمية - في عبيرة - وقد أجهضت في فترة السرواح الطغوي. إذ أدت البرامج الحكومية بل تشييط القطاع الخاص، وزيادة كبيرة في حجم الأوقال المتاحة لشرائع واسعة من السكان، وإلى التساهل في نوعية العمل الإنشائي للسلول، في إطار اندفاع يتم به الوقت الكافي للتخطيط على أسس اقتصادية خالصة. وطوق ذلك فإن الوفرة التي تحققت على وجه السرعة تبحرت أيضاً على وجه السرعة (ص ٢٦٤).

وتؤكد الدراسة على أن التغيير الإنشائي بدأ قبل الطفرة النفطية، وحتى قبل استغلال النفط، وذلك عندما وسّد عبد العزيز أربعة أحاسيس شبه الجزيرة العربية في ظل سلطة سياسية وحيدة، وأقام الدولة السعودية المعاصرة، فكانت الخطوة الإنشائية الأولى. أما الخطوة الثانية فكانت مع بدء التعليم المصري البديل من نظام الكتاتيب الذي سبقه. وقد أقيمت في عبيرة المدرسة المدنية الأولى العام ١٩٣٦، قبل أن يبدأ نظام التعليم في العام ١٩٣٦، حيث أقيمت مدرسة العزيزية للبنين في المدينة، في حين لم تبدأ مدارس البنات إلا في العام ١٩٦٠.

وقد أعت الصناعات النفطية قبل مرحلة الطفرة، خصوصاً في شركة أرامكو، إلى توفير الهزات ونشوء وتطور صناعات جديدة. كما أكسب استقرار الصناعة النفطية الاقتصاد طابعاً نقدياً متزايداً. وأدى إدخال الآلة إلى تطورات تكنولوجيا مهمة في البلاد. وبشكل عام، فإن الدراسة اتخذت طابعاً مبدئياً، مثلها مثل الدراسات الأخرى التي تركزت أكثر على حياة البداوة في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي. فابتعدت عن النقاش النظري، وحتى عن الاستنتاجات السطحية لمع تجربة الحياة في تلك المدينة النجدية، وإن قرأنا بعض التوصيات التي أجراها علماء، وقدماء إليها سلطاتها، تؤكد على موقفتها من بعض الكتابات الضلالية التي كتبها علماء اجتماع لم يروا المملكة العربية

والحرقي بحريان على أساس عائلي وتجاري في نفس الوقت، ثم يستمر إلى ما بعد فقدان الإمارة استقلالها السياسي في العام ١٩٠٤، عندما سيطر عليها عبد العزيز. - وحتى نشوء المملكة العربية السعودية وبداية استغلال النفط. كما تشدد الدراسة أيضاً على تأثيرات مرحلة الطفرة النفطية الواقعة بين ١٩٧٤ و١٩٨٢.

يرجع المؤلّفان كول والفرقي تكوين المدينة إلى القرن الثالث عشر من مسودات تكونت أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادي. إلا أن المعلومات عن تاريخ المدينة القليلة، غامضة، باستثناء ما ذكر عن زهرة الرحالة الأمريكي دولي في العام ١٨٧٨. ومناقشة بين تلك المدينة، والرياض طلاً، ورد في الكتاب أن «الرياض» في صيف ١٩١٨ كانت مقلية صغيرة حيّة مغلوبة التي - حين كانت خيرة وأحكمة من كدند العظيمة في شبه الجزيرة. وقد وصفها الرحالة ليرصاني جون فليبي الذي زارها في الصيف نفسه بقوله: «وتعتبر تلك المدينة كالجوهر في مدن الجزيرة العربية»، في حين وصفها أمين الرجائي أنها بمثابة «ماريس نجدة».

وتحاول هذه الدراسة أن تتجاوز ما يقال عن المملكة العربية السعودية، بأنها مجرد دولة بدو حديثة الثروة، لتبين أن الدولة، وقبلها الإمارة، أو المدينة، حاصت تجارب تنمية

التسمية في عبيرة أجهضت في فترة الرواج النفطي

عبيرة دراسة

فريا التركي ودونالد كول مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ١٩٩١

■ قبل كتابها «عبيرة - التنمية والتغيير في مدينة بحرية عربية»، قام الكتابان: الأمريكي دونالد كول، والسعودي فريا التركي، بدراسات مختلفة حول المجتمع القبلي في السعودية. ويعتبر هذه الدراسة من الدراسات الأثنوبولوجية النادرة التي ترصد عملية التغيير والتحول في مدينة سعودية أو حاليّة كبيرة، تغلبي تاريخياً يمتد من بداية القرن الحالي وحتى العصر الحاضر، بما في ذلك أثر النفط في المرحلة الأولى من استغلاله، وفي طفرته، على طبيعة المجتمع في تلك المدينة. ولا تدعي الدراسة أن عبيرة الواقعة في أراض شبه الجزيرة العربية، هي مثل النموذجي لمدينة سعودية، وإنها هي مدينة، لا تتناسب من جهة، للمجتمع البدوي المتطرف، ومن ثابة لا تتناسب لمجتمع الحضرية المنفتح على العالم الخارجي. وهي، إلى ذلك، متوسطة الحجم، وتشبه عدداً من المدن السعودية والحليّة.

تبدا الدراسة من وصف حياة عبيرة، كنزلة لإسارة تشتمل باستقلال سياسي، قبل بداية القرن الحالي، حيث وكان النشاط الزراعي

سلسلة «كتاب الناقد»



خواتم صدر حديثاً



انمسي الحاج

الطفرة (ص ٢١٤).

ولعل الاختلافات الجديدة التي نتجت عن مرحلة الطفرة، هي الأساس في جعل المعالجة الزراعية أو البدوية أو المهنية محترمة. وهي التي أدت إلى نمو طبقة عمالة من الوافدين لا تؤذي، بالتالي، الرقبة السياسية والاجتماعية التي يمكن أن تضربها طبقة عائلته عميلة. لكن ما تسببه الدراسة استعارة استمرار هذه الحالة، لأن وشيح الزيادة المطردة في عدد الماطلين والساعطين من الشباب المحلي لا يمكن أن تتجاهله الدولة أو أصحاب الأعمال المحليين إلى ما لا نهاية (٢٧٥). وأن الهجرة (الداخلية) ليست بدلاً عملياً ومستمرراً. وتبقى هذه الدراسة إضافة معيدة في ميدان الدراسة الأثروبولوجية، لتتوحد مدينة كان لها شأنها في عهدها القديم، وتأثير بكل مراحل النظام السعودي، بما فيه من خصوصية الزواج الاقتصادي. □

كتب من لبنان

الاجتماعية، والتوسع في ذلك، يحاول اخفاء للمصلحة الحقيقية التي تعانيتها المرأة في مجتمع بهذا الحد - الذي وصف - من الانغلاق، وإن كان قد أظهر بعض التلميحات المحافظة المحيطة بحجم تلك المعاناة. ومن الاستنتاجات أيضاً، ان ملاحظة المعالجة الزائلة من الأهالي المحليين الذين يعملون في المؤسسات الحكومية في عترة، في وقت كانت تلك المعاناة، أثناء الطفرة، على غلبة عصر الشباب فيها، سوف تؤذي، بالتالي إلى مطالعة الجيل التالي خلال ١٥ أو ٢٠ سنة. في الوقت الذي يشكل فيه الوافدون أساس الطبقة العاملة في المدينة. وهذا ما يوقع في أزمة لن نحل في رأي الباحثين قبل إعادة تنظيم القوة العاملة المحلية لتشمل العمل في التشغيل العمية التي تحتاج إلى مهارة. وهذا التنظيم الجديد يحتاج إلى تغير في المواقف من العمل التي نشأت كجزء من

السعودية فقط، أو زاروا بعض مدنها الرئيسية زيارات قصيرة (ص ٢٢) ... إذا كانت المقابلات تنحصر في غالبية تخصصها للإفادات الرواة فإنها تترك في تفاصيل وصفية واسعة لا تخلو من التكرار. ولا كان التخطيط لانتقاء النتائج الاجتماعية في السرد هو جهد الباحثين نفسها، يحق لنا أن نتساءل عن سبب تغيب الأفكار الرئيسية، أو التفانيات التي تظل هذا الوصف.

وفي حين أن الدراسة شبه الخام هذه تغرق في سردية جدلية، وتدخلنا في تفاصيل متشابهة كثيرة (تفاصيل البيع في سوق الحريم مثلاً، فإنها تمتد في قسمها الأول عن تقديم صورة واقعية عن المدينة في عهدها القديم، وحتى مرحلة ما قبل الحرس العسالي الثانية. والمعلومات التي قلقتها في تلك الفترة تغرق إلى الكثير من التعديل البياني الرقمي - التقريري حتى - وهي تكتفي بعدد من الحكايات التي يحكمها هاجس الإدهاش والاستغراب الذي استخدمه المستشرقون والرحالة، العربون، وشكاه من الباحثان نفسهما، والذي لا يفيدي كثير من تفاصيله القلرية العربي.

ورغم ما يقول فإن الدراسة استطاعت أن تضع بعض الاستنتاجات المهمة، التي تفسر طبيعة العلاقات الاجتماعية من ناحية، والتي تطرح عدداً من المشكلات الأساسية التي تواجه المجتمع السعودي عامة ويجمع عترة خاصة، من ناحية ثانية. فلقد ركزت الدراسة في قسمها الأول على علاقة الحياة السياسية والاجتماعية بطبيعة الانتاج والاقتصاد. إذ جاء في أحد النصوص الاستنتاج التالي: وهكذا كانت السوق تلعب دوراً أساسياً في حياة المجتمع المحلي، إذ كانت تزيد الرجال يمكن يارسون فيه حياتهم الاجتماعية. وفي نفس الوقت كانت السوق مركزاً مهماً لنقل المعلومات (...). وكانت المكان الأساسي الذي تمارس فيه السلطة السياسية (ص ٨٣). هذا فضلاً عن أن مركز المجلس (أي مجلس الأمير الحاكم) كان في السوق نفسها. وإذا كان الباحثان توسعا في وصف حياة النساء العاملات والموظفات والرحلات، فإنها ليؤكد على دور المرأة في المجتمع من جهة، وليخفوا من إغفال هذا الدور الذي حصل في مرحلة الطفرة، عندما باتت أمر كثيرة لا تحتاج لمزيد من النساء، من جهة ثانية. ولعل التشديد السذي لحظنا على حياة المرأة

خرافة الغزو انقذت المسيحية من خطر الشرق!

قام فاسم

إعادة ترجمة لمفعل بعد أن نام دهنراً على كلاسيكيات تاريخية خرافية، لا قيمة لها عند تاريخ الأحداث...

وبل الدخول في التلذذ على موضوعات البحث، لا يبد من القبول، ان كتاب اسماييل الأمين يقترب جداً من مؤلفات الصليبي. وبالغالب يتعد منه أيضاً، لكونه لم يلفظ فتوحات الصليبي عند الكتابة من اليهود، وطالما الخلف مشترك، فلماذا لا يتم التثقيب، حتى لا يستمر الصدام طويلاً. استند الكتاب، في تاريخ الأحداث على قوانين علمية ك - التضاض - التصادي - Pulsacion في المناخ، وقانون بريستيد Breasted، الذي استعان به لتضير سبب الهجرات. وتطريمة الراهب Mendel في علم الوراثة، بالإضافة إلى التلج البيوي - الأثروبولوجي، وطريقة التحقيق، جاءت فريدة ومجزئة. أثارت الغشاة التي استمرت

العرب لم يغزوا الأندلس

رؤية تاريخية مختلفة

اسماييل الأمين

رئيس الرئيس لكتيب والتشر . لندن ١٩٩١

■ حين طويت الصفحة ٣٢١ من كتاب «العرب لم يغزوا الأندلس»، أصابني صدام، لم تفلح في شقائي منه حبوس الأسير أو البندول، وعزوت السب إلى الضوء تارة، وإلى مولدات الكهرباء تارة أخرى، لكن الصدام استمر وما زال. وتذكرت ما جرى لي بعد الانتهاء من مطالعة مؤلفات د. كيال الصليبي. ووجدتني أوطع بين الحالتين لأخبر بتيجة، ان الأرق سببه، الانقلاب للمعرفة، الذي حصل إثر الفتوحات لغربية - التاريخية، التي ضمتها كل من كيال الصليبي واسماييل الأمين... ولا بد، من



أن يكون قوطياً من أصل جرماني (ص ١٩٧). أما موسى بن نصير، فتذكر الروايات الكلاسيكية ولأنه عام ٦٤٠ كان مكة وولفته عام ٧١٨ وفي عام ٧١١ كان عمره واحداً وسبعين سنة، لذلك يستبعد الباحث وجوده على رأس حملة عسكرية قوطية من الشرق إلى أيبيريا وهو في هذا العمر. وكل ما قيل عنه من مآثر وولاتات هي مجرد تذكارات غامضة (ص ١٩٥)، ومع ذلك يستفز الباحث بعدم وجود وثيقة رسمية، تثبت شخصية موسى بن نصير. أما عبد الرحمن، فهو خروج جرماني أشقر اللون فاقه عصر الأمازيغ، كانت بربرية من قبائل السطروق الذين يحملون هذه التميزولوجية الجرمانية، (ص ٢١٠) إذا لم يكن عبد الرحمن أسبانياً ولا سلباً برأي الباحث. هذا ما يؤكد السياق التاريخي تماماً كما يؤكد أن الغزو العربي لأيبيريا لم يحدث إطلاقاً وأن خروج طارق على رأس جيش صغير، ومساعدة أهل قادش الأسبانية، إنما جاء بناءً لدعوة من أحد ملوك أيبيريا، وأن الإسلام انتشر إثر تحركات مناضبة قلمبية وصعبة جداً، وتطاع دين رهبان بالإضافة إلى صراع سياسي داخلي أحدهم، حتى أجبر أحدهم على الاستنجاد بأهل مراكش. فالغزوات كانت سهلاً، ومع ذلك ورغم تعاضد هذه العناصر فإن الإسلام لم يجرز وجوده إلا بعد مرور طويل، وفي إشارة أخيرة إلى المعركة التي حدثت بالقرب من مدينة Poitiers، يقول الباحث: وتحوّلت هذه المعركة الثقافية، بسبب خرافة غزو أسبانيا، إلى فصل عظيم أدى إلى إنقاذ المسيحية من خطر الشرق: حدث التزوير نفسه، ولقيت الأكتاف نفسها بعدد العديدين من الأحداث وتحول ولادوات التي مات في معركة روسوفو الجائسة ضد قتلى جامعة اليانك، إلى بسط فقط إنما إلى شهيد الأيمان الحقيقي (ص ٢٨٦).

خاصة الفول ان توصيات من هذا النوع، لا بد أن تروى حتى أهل الاختصاص، وتضعهم أمام مآزق حرج، فلشكالة اليوم بين أديهم، ولكي لا تضيق بين ماضي خرافي وخاضع بدأ يبحث من ذاته وسط هذا الركام المذهل، لا بد من التنقيح. والمهمة تقع أولاً وأخيراً على الكتفين، الذين يبدأون جدار الجمل والخرافة. والتحقيق الموضوعي، أخذ طريقه لا علة. □

الثالث بين ١٥٠٤ و١٤٥٠ ق.م. وفي رسوم لمصرى تعود إلى ١٤٠٠ ق.م. يحمل الحصان كل سلاح وأوصاف الحصان العربي، (الحيلة الممد ١٠٣٦ ص ١٨). وفي إشارة إلى احتشال استعمال العرب للحصان، يقول: ولو اقترنا أن العرب قد استكروا الحصان فلم يكن بإمكانهم اجتياز آلاف الكيلومترات دون مساعدة حديدية (ص ٢٥) هذا مع الاحتشال حسب رأي Lévi Provençal، والكسلاسل ما زال للمؤلف - أن الغزو له شروط التمكن، ففي سنوات القبط إشارة إلى القبط الذي أصاب أيبيريا / أسبانيا، كيف بإمكان جيش (صغير) أن يجتاز في أواخر القرن السابع المنطقة الأكثر حرماناً من الحيرات على سطح الأرض (ص ٢٦)، وللوصول إلى أيبيريا كان على العرب أن يجتازوا المحيط البحري، فساداً فعلوا، وكيف اجتازوه وأي وسيلة استعملوا؟

حسب رواية - أخبار مجموعة - أهل الدهر أوليان العرب أربعة زوارق. لا يزيد الحد الأدنى لحسولة الزوارق الواحد منها عن خمسين رجلاً إضافة إلى الحسالة، (ص ٢٨)، لذلك يحتاج طاقم إلى عدة إبلية أو محلية حامية يسيط إلى حرس وثلاثين رجلاً، لتتل جهته أي حوالي تسعين رجلاً لأن هذا النوع من الزوارق يحتاج، على الأقل، إلى بوم واحد ليضبط المسافة، وإنا حسبنا الأسابيع ذات الطقس السيء فإن المرحلة تصل إلى مدة ثلاثة أشهر (ص ٢٨).

لذلك تتوجه الأساطير إلى شعب قادش، الذي وحده وحسب مؤلفاته للتحفة المعركة المتصلة إلى الألف الثالث قبل الميلاد إلى القيام وإنجاز هذه الرحلة.

والسؤال الذي يأتي بعد دخول طارق وجيشه إلى أيبيريا الفصحى جغرافياً وطبيعياً هو التالي: إذا سلمنا بذلك، كيف تم إخفاء عشرة ملايين من شعبها؟

يعزو الباحث ذبول الأوروكسية وإنيار السلطة والغزوات الأسبانية، إلى عوامل سياسية - اقتصادية - دينية. ويرى السبب الحقيقي هو تعرض أيبيريا إلى تبايض ثانوي متخيف، أدى إلى بقاء بقايا اقتصاد النبط وتالياً مجاعة استمرت طويلاً، وتتداخل الباحث عن مر التفسير الذي يكتب شخصية طارق، قسراً، أما أن يكون مجرد زعيم قبيلة بربرية تحت سلطة حاكم خنطية، أو يكون حاكماً لخنطية وفي هذه الحالة لا بد

طويلاً في قراءة الموروث التراثي. ووضعت المؤرخون أمام حقائق، لم يأت على دكرها أي مؤرخ إسلامي - عربي وهدمت بكل جرأة التزامك الكلي لمعلومات خفرت وجوهها في المجلدات، واستضافت حقوق الباحثين ضياعاً وتهاشاً لا قيمة علمية له، سوى استهلاك وإعادة تكرار لأجناد خرافية لسبب أو لآخر، دونت واستقرت في بطون الكتب ولي قوتنا...

وفرح الأمين، وألقي، لا خيال فيه أو جنس جنبي عقلي، أنه قراءة علمية، لروايات أجنبية على حقلها دون أي نشاط عقلي، وكأنها نص مقدس لا ليس فيه. ماذا يجتري الكاتب؟

يتناول تاريخ أسبانيا والشخصيات التاريخية التي تعاقبت على حكمها مع قراءة جغرافية مناضبة. وتعليل جناب لكيفية دخول المسلمين، مع ذكر وتحقيق تبوي - أنثروبولوجية، والإشارة لكل من طارق - موسى بن نصير - وعبد الرحمن.

يصدر للغة توضيح جاء فيه: وهذا الكتاب ليس من تأليف أسبانيا، الأمين. إنه ملخص كتاب أسباني صدر في برشلونة سنة ١٩٧٤، تحت عنوان الثورة الإسلامية في المغرب - للمؤرخ الأسباني المعروف - إغناسيو أولافي Ignacio Olagüe.

بدايةً يطرح المؤلف السؤال حول عدد المسلمين الذين دخلوا أسبانيا هل بلغ فعلاً ٧ آلاف أو ١٢ ألف هل أبعد تلميحاً وكيف دخلوا أسبانياً؟ يشير المؤلف: في سنة ٧١١، وبناء على طلب وريث الملك الشرعي غيطه Vitiza، عبر سبعة آلاف رجل عربي المحيط، الذي حل فيها بعد اسم قائدهم طارق، بالبربرية Tavic، وهزموا الفريق Rodéric متعصب الملك في معركة قادش Cades (ص ١٧).

إنه جاء طارق وتبعه موسى بن نصير بناءً لرغبة غيطه، ولم يدخلوا أسبانياً بلاد أسبانيا. ويستبعد المؤلف خرافة الغزو لأسباب عديدة منها: وأن العرب لم يعرفوا الحصان، الذي يرمده أصله إلى منطقة الهلال الخصيب الذي يجمع البربرية العربية، (ص ٢٤)، مع العلم بأن الحصان استخدم على أيام تخمس

كتاب الأمين بعد مؤلفات الصليبي في التوراة، فنوح معرفي للعقل النائم



دم الشموعة



نم الشجرة

شعر

أحمد راشد ثاني

دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة 1991

■ فاصدت، هذا الشاعر، تلقاها بإياشيه القابضة. كوثنا من بلد خليجي، حيث، عموماً، تجل الكتابة إلى التقليد أكثر مما تبتل إلى الابتكار. فالشعر، هنا، على نفس مباشر بالرائع الشعري الظاهري والتجريبي منه، ويتقدم، محذرة إلى مكانته الحدية بين النصوص الشابة ولعل وقع المعاداة يتركنا نسلق إلى مدح مبالغ فيه. لا نذكر أن للفراسة القافية كذلك حاور إليه «الفصائل» ما أتية، بلا ريب، من زعرة حدادية عجيبة، ومن طرفة شعرية تراكت فيها ميول لكثابة تركيبية تسحب هذا الحق وهذا التباين

وتجربة أحمد راشد ثاني، مبركة الله على نصب الشعر من هوشه، وتتركبه في أسل الكليات، لا العبارات، وأودا كانت هذه التشديد، عموماً، تسوق إلى التجريد، ولي شعرة لعم، منها، مشبعة بمعالجة دافئة، وتغاثته، وعموم، دوساً، حول صورها غير البسيطة والأساسية، في روية قصيدة المنجذبة دوماً إلى علامات معتومة شعر بلا ضجيج. يمس ولا يقول، يوحى ولا يدل، يتحلل إلى الواقعية الجديدة، وإلى حقلها التخييل، كما تراها في الجبل الأخير من الشعراء العرب. وتنفذ راشد ثاني في هكذا شعر تبديلي هذه الأساليب للمفردات، في التمثال على نزاع الحسنى والمضمون إلى قضائية إيجابية - رغم استمرار غثائتها - هي أقرب إلى البرق المفردتي، وإلى الصيغة السالينية، التي يصفق الإشارات وتحصرها وتقلتها بلا حدود في آن معاً. يعتمد أيضاً، في شعره، على غرائبية المارقة وفرة ادعائها، وفي نهاية نوع من المروحة تنح بالقصيدة إلى حيث تنب دوقية أكثر تطللاً وتعتيلاً لمس الشعر

نصفه فعين يقول مثلاً:

وماذا لو رجعتا

إلى البيت

وعلى ذراعها طائر غريب

عينه من ندى

يطير من أهدابنا

عندما ننظر إلى الألفه

وهي تستوطن الأرائك

وكذا لو أن جناحيه

ينسابان من الناحية

كصور سائل (ص 59)

بالعانة الأخيرة، هذه المجموعة تسمى

إلى الشجرة التخيرية بأنها الموسومة بشدة

مياها إلى السالينية، والأمانة للمنتور

الحرفي في الشعر [

يقع الكتاب في 10 صفحات من قطع صغير

العين الحمراء

قصص

نور سلمان

رياض الريس للكتاب والنشر، لندن

1991

■ أها الزعرة نحو الإنسان، بعين الشالية. هذه هي قصص نور سلمان. الإنسان المضبوط على سلم أخلاقي مغلق لقوضه وضده في آن. أشكال حياة مصمرة ومخوفة بغوة الميول والاربابية. نغزها عواطف مباشرة، حرة، تحبها ذاكسة لمبة طافية تنسرح في الغدا احتساباً لها، وحيث من كل الجهات تنحصر في العكسرة إلى وسط الحيات كواقعة غائبة. وكان القصص عبارة عن لوحات مطرزة وملونة وبها، على الدوام، رغبة تتأمل مع نموذج عقلاي ثنائي للشخص!

هذا الأسلوب يجعل الأمور كلها عبارة عن خطوط مستقيمة، مهتمة، وواضحة، أي بسيطة بذاجة، لكون القصاصة مسكونة برغبة «التصعيد» وتنظيف الواقع من أي جدلية وتوتر. إن والذين الحمراء تدفع إلى البلية في تقييمها. فهي إذ تشير بخنفر إلى الواقع

بأقل ما يمكن من حجابة (زعرة أدبية استشرافية) فهي تنزع إلى الفصح أيضاً

لا تصرف لماذا تبدو الزعرة الإنسانية لنور سلمان جد مضحكة، رغم جديتها. هل لأن هذه الزعرة تحول أهم فصل «الإنسان» (الحرب إلى شيء مجرد من عدد من الكلمات غير الوجيهة؟ أم لأن الأمر يتعلق بالبعداء «البراءة» للجميع من أجل نوع من الصور البوشرية؟ أن تكون الحرب عبارة عن وصف كليات (دم)، تشرد، انهيار، ظلم واستبداد الخ) دون أن توضح هذه المقاهيم في صلب عملية التركيب القصصي، أو في صلب الحدث القصصي التصوري الواقعي (بأنواعه) فتظل في جمل استشرافية تدخلها القاصة في تأسفها الانشائية. أو تكون الشخصيات مرسومة دون اضطراب أو دون أن تحتوي على تناقضات في ذاتها، ودون تصادمات، وعارية هكذا في خدمة الفكرة «السامية». أو يكون الأسلوب قاسم على وهي نموذجي يستحضر كلاسيكيات أدوات القصص ومهمته. □

يقع الكتاب في 125 صفحة من قطع وسط

الهوى دون أهله

دراسة

حازم صائغة

دار الجديدة، بيروت 1991

■ لا يتورع حازم صائغة على مدى صفحات كتابه من استعمال لغة فككية، أو شيطانية معص الشيء. فهذه الآن للثقل، للغمرة البرازيلية العريضة الجديدة. يلتقي أحجاراً صلبة، مزجعة

هاجس الأقامة، هاجس المكان، هذا ما يشغل الحنفي، ليؤكد حضوره وإنسانيته. لإعادة تأسيس وطنهم بين أحشاء حثائب سفر أو الإقامة في عثرات الغرف، حيث يتحول الوطن إلى أشياء أخرى، لكن لا يمكن مقايسته أو الاستغناء عن أوطانه، في العودة إلى بلاد تنسل من بين اليبدين، أو ربما يزال عن الحارقة. وهذه الغربة لا تشكل عالم إقامة وسكون وطمانية بقدر ما تتحول عند كاسد إلى كوابيس واحتزال لكثرة متحولة

عرف للكلماء
عرف ترجم
عرف للصاحب
غرف للوقوف
غرف للذامع
غرف للقول
غرف للمهاجر يند أجزائه لرصيف

(ص ٢٢)

يسود عبد الكريم كاسد حقاراً في ذاكرة جامعة تقرض، بين اللثالي، بمشهم على الجمع يذفهمهم إلى الكلام الحنفي، محاولاً إلى لحظات توسرهم، وفلقهم. منهم من الوصول إلى حافة الحنون! انهم العراقيون المقيون، الذين يفتشون عن أهل في بلاد غريبة لورقية، يماون من السبان، لدرجة بهم يبحون عن شاهدة قبر لصفيق ضاع في موت. وعدد الكريم كاسد، يفيض بهنو، غلاماً هذا الشتات بين يديه حتى يبلل الكلام في رثائية حقائق ناضجة بالوع الشعار واستحضار جماعة موهومة بعودة ما

لا يطرح كاسد القصيدة لأسباب لغوية فليجأ إلى تزيينات مبتكرة، يتركها مسجلة ضامونها تداول من مفردات الأمل للحظات تزدهار فالعراق كما يراه الحنفي، نخله أو سجين. والمثني غرقة أو جنة. لكنه يشغل الكلام بنقطة انطباعية أو ما يشبه الطبيعة الصامتة في التشكيل وجسادوا من بيوت النمل، من ليل

شرارة، أحد يعضون مثلاً لا حصرماً وبهي رغبة تتم عن مشاغبة هادئة، ضالة - ويدون صحيح - فقد أم كثير هو نقد لعبد الصاصر. أو لنسج الأزهرى في الثقافة. أو لملقطة العربية - الربعة - في سلوكها الحربي والمقلادي العصري. أو لهذا والمخط الحاد بين الأثوية والذكورة انه نقد الحارقة المعاصرة. □
يقع الكتاب في ١٢١ صفحة من القطع الوسط

نزهة الآلام

شعر

عبد الكريم كاسد

صعاري للصحافة والنشر

يوداست ١٩٩١

■ حنار عبد الكريم كاسد بعض قصائد فليجة من مجموعات سابقة، وصيها إلى عصفونه الخلسة دهرمة الآلام متصدداً تشكيل متاع عام لقصائد تحكم بعضها بنسج الكسوف والخيال والجمجمة التي حلت بيلاده الحرقى. فالشاعر يعيد سريره بحراب، وللمية شتات دمع، فتواريخ كتابة القصائد لازم. وشني بصعاب مختلفة، كأنه توقع، والشاعر عراف، ومنتشد. كما في «كتاب البهرمة المسهنة الساكنة في الجحيم والعف والتلاشي تحت غبار الحروب المتتالية يأتي نص عبد الكريم كاسد من خارج إلى داخل قلتي معادل للموطن.

يا بهر...

في دين عليك!

تزدون قري.

(٣٦)

لا يترك كاسد إلى فلكلور الحرب، ولا يستعرض بطولات لغوية. وكذلك لا يقيم في حنين غرالي من استجداء مكائيات، لكنه يزدوي في داخل. يفرض المفردات لير الوقت سريعاً على غريب ينتظر. والقصيدة محطة لمراحل أخرى، ويخطب لأخرى. تنصعب الحفالب أكثر حمية، وتتحوّل إلى بلاد، يسكنها مغطتاً على رند الأثني - للملجأ في غربة.

للكثيرين - لنسا منهم على كل حال - وكأنه يدرك أنه لا بد هذه الوجه الجديدة من اقتفاء طريق المشاهدة واللقاء المحارة على زجاج بيت التفاسل العسرية، الاسلامي الطراز، والقوي - القشبي؟ - الأثاث

أم كاتوم حجة حقيقية لقد المظاهر، كوما تعبير بينه كلامية انصبت تاريخياً. والنية لمساويفات عتيقة هي بشكل مدخل تطالبه مع ظاهرة أم كاتوم أو ما يسميه صاغية نفسه - «الكثومية» - فمن مرجعية الجماعة القوية، إلى ثباتية البرية - الشاعر، إلى السلوك التجريدي للعكر، الألي واللاتارتي، السعري المطلق، اللارسية واللامكانية

ثم هذا التناقض والتوافق بين العصر الكينسومي والشعر السبي السعري المعاصر، الغائبين على أعدام كل دقة بين استنقل وبين عدم الأمانة، وتقدم بحث ماضي ضده منه استنقل وهدنة (ص ٧٣)

وحسب يفتح صحافة، ليس فقط عياب الجلب الفجالي على النساء الكثومي (...). بل أن هذا الغاء هو عن استعلاء، ليتقارب ذلك مع سلطوية محلة في الجنس العربي تاريخياً. مما يعطي ذلك إلى الجسد التثاقلي حيث تولى الاسلام توحيد الدين والزمني، كما تولى إقامة والمخط الحاد الذي يتصل بين الذكورة والأثوية (ص ٨٠)

انها البيشة التساوية لـ «الحلوة والأصالة» والرمس الأول، بية حركتها دائمة الإحالة إلى فكرة والخلاص، من الخنثوي، واتكاد مظاهره وتعلباته، رغبة تحرف السياسة ليس إلى صياغوية، أسما إلى نوع سادي - ملزومي يصطليح بفكرة دينية موطلة في «طبوليتها» وإعلاميتها

إن توازي الكلام عن أم كاتوم ونسبه إلى الأخلاق والروحي السياسي وعن عصية الجبهة، هو توازن استراتيجي في بحث موسيولوجي موارب، كما يرغب المؤلف وشلة أصحابه في كتهب (وصاح



المجرب والمكر في صورة شعرية
باعتة. □

يقع الكتاب في ١١٦ صفحة من القطع الوسط

إيقاعات على ذنب هايكل

قصص

منى شاتيل

منشورات ميريم - بيروت ١٩٩١

■ تنشد الكتابة عند منى شاتيل إلى قوس
متين، وإن ينطلق نهبها، يصيب معنا
بعين، دون أن يكون، بالضرورة، هذا
للنص عميقاً بحد ذاته.

وهي إذ تحاول القصص، بمنتهى السرد
عن السبيلة، تتحول فكرة القصة إلى
تجربة نصية تعبر عن الشارات هائلة في
تجريدية ذهنية، فلا تتجسد الأفكار
الحسية، في حوالت متجاوزة مما يفكك
بنة القصة، لتشكل من جديد كنص
مفتوح لا تعوزه الدقة ولا الأسلاك اسطوانة
ولا يبقون الشدائد على هذا الامتزاج بين
العادي والحلمي فإن صورة الشيء أو
الفعل متداعية، على نحو وجداني، يجر
الصورة، شيئاً فشيئاً، من حداثتها
المكثية - لرمزية، وتضاد حجباً لغوياً
يقترن من شعرية كلما القرب من
استحائه

والهم الشعري في القصة، أولاً
وأخيراً، وهنا على الأقل، يقلل من
قصصية النص ولا يمنعه رفعة أو قيمة
أعلى، على كل حال.

وإن كان امتاع القصة عن التوضيح
والثبوت، عند شاتيل، يأتي في معرض
السلبية، فإن تجزؤ النص إلى ظواهر
تعبيرية لغوية يصنعها حرية واسعة في
الرؤية، وتوازنها فيها بين لا أرضها وبعثها
اللغوي

أما كتابة قائمة على بوح داخلي متعدد
الطبقات، وتتجارب مع وتيرة شعرية
تنقص الظلال الأكثر عتمة، في تحييل
محيط الذات، وتهاكها الجسدي

خاصة. □

يقع الكتاب في ٥٥ صفحة من القطع الوسط

تحتاج عادة فؤاد السنان إلى قسوة
داخلية في علاقتها مع القصيدة، إلى رؤية
اعمق من هذا التسطح. في شلح
الأفكار. والشعارات القسطنطينية
خصوصاً أنها تحمل في غطاها وتلافيف
عميقة جداً جلالة شعرية تبدو أكثر صديقاً
ودنيائياً ونخباً، وأقل بهورة
واستعراضاً.

لو عرف الله. . . أي

لا جعل الحمة.

تحت الألف. □

يقع الكتاب في ٩٤ صفحة من القطع الوسط

تزييف الوقت

شعر

تركي عامر

بيسان لنداعية والطباعة - فلسطين
١٩٩١

■ تتحول القصيدة لدى الشاعر
الفلسطيني، وتركي عامر، في مجموعته
الشعرية "تزييف الوقت"، إلى استمارات
أدوية عقلية في صفحات الروايات من
كليات متناقضة وأحجية وتساؤل، مع
حلول لها في حاشي القصيدة. وهذا
يعمل الشاعر حلواً رغم ادعائه بمضامين
قصيدة التي يصرها عبر قضايا كبيرة من
فلسطين حتى العالم كله مروراً بالحب
والشهادة والاعتقال، والتزائل السياسي
الخطائي.

ويبدو أن الشاعر مشغولاً بالحب،
واستغراق الجمهور. وتحريك عرائزه نحو
الكفالة تارة. ونحو العنوان الفارع كأنه
في حقلة زجل تارة أخرى، فتنصرف
للمجموعة بشئ التراج الموضوعة لاستاذ
مدرسة يلقي شامره على طلابه. كأنه
احكام قصائد ترومية في حب الأرض
والناس وطبعاً حب للمدرسة والكتابة
والحديث عن ألم الشاعر وعلاقته المربية
مع الكلية في وروائية هزيلة مستندة
ومستندة

تركي عامر يخوض في القصيدة بعيداً
عن اللحظة الشعرية. يكتب للآخرين.
والآخرين لا يطالبون بهذا الكلام

لا يتعدى كلام غادة فؤاد السنان سوى
ذلك الاحتجاج البائس، وادعاء فصيلة
أخرى في المقابل. والتعويض تبدو كأنها
عملية أو مدفوعة بصرار أجوف لتبدو
الشاعرة شائعة. وهذا من ركائز إهرامات
الشعر الخطائي السياسي السائد في العالم
العربي. وعادة التي تؤول إلى هذا المحي
لسنا ضدها، لكن نصورها الشعرية
تبدو بكها من خلال احتجاجاتها على
الاصبالية والفضية العنصرية والأمم
المتحدة والوحدة العربية، مروراً بطيف
الأوزون والأينز ويرافق ذلك طبعاً
السخرية أو إهداء الطراقة السجعية في
ربط تناقضات. وصولاً إلى ما يسمى
بالاذن من البلاغ الذي لا يفسح، فلا
يصل إلى التلاني سوى ذلك الكلام
البارد

هروس ممدحة

والقصص شتالي

على الوجهة السبائية

(٦٦)

يا معشر الخيال العربي

لا بد من ونزكم برؤوس الافلام،

ذات الحروف المدية

(٧١)

هذا الاسبال الكلامي مثل لوحة
شعرية. وكذلك إدعاء الحكمة والبوة،
وهذه التفة المفرطة في التصايط مع
القصيدة يحولها إلى ما يشبه التبايرين
المدرسية في الانشاء. . . ووصف الكلام
على بعضه لا يشكل قصيدة والقصيدة
المسولة من الآخرين لا توجي بهام
شعري. خصوصاً أن الشاعرة تستيق
الاحكام وتطلق على نفسها صفة نيرة أو
عرمان. فهي الناعية والأامرة كأنها لا تقرأ
أو لا تصغي. . . فتبدو قصائد غادة
فؤاد السنان أسيرة نفسها، لعم وصورة
وكذلك نافذة بلا اصداء
إن حصصت منابلي
طوى لكم
إن قمتكم دفراً
لكم الجحيم

(٩٤)

الأمم والغري عمولة فوق
الحدوب، ومن مراديب المدينة. .
زينة للطفل، يقطعها نواح
القاصدين، وراحة للشار تقطعها
المواكب. اصروا بزيارتهم في
الليل واعترضوا بالياقوت. . .
(٩٣)

يحاول كاسد أن يقرب من التشكيك
في ضربته اللغوية والشعرية. وإلى اليوم
في التقاط مفروضة. وإلى الشخصي في
غروب تجرته مع القصيدة. من المذبة إلى
الابنية والطبيعة والشارع، إلى محاولات
لكثافة لغوية في استدراج الأفكار والتغاني
وصياغتها بشاعرية وبراعة قول ومطاب
وقبح الحلم إلى القاصد. □

يقع الكتاب في ٣٢ صفحة من القطع الصغير.

الترياق

شعر

غادة فؤاد السنان

مطبعة العجلوني - دمشق ١٩٩١

■ تتجمل عادة فؤاد السنان الكلام على
عراشته. وتضعه كبتها اتفق، لا تلتفت
حلفها. ولا تتفق بما كتبت. كأنها في
مجموعتها الثانية والترياق، قد استكانت
إلى انشاء مرافقة في علاقتها مع الكتابة.
ويبدو أنها قد توازنت مع هذا النحيب
الكلامي، الذي لا يتعدى الحواضر
البديعية في القول. مع إدعاءات عالية في
السرة. وثقة عمياء بالحملة المشعولة على
عجل. ونهج السنان الفصيح الذي
يرافق حالة كمال مرافقة في الشعر. في
محاولات لفث انشاء، وإشارة فضائع.
حيث صقلت الخلاف بجملة وتوضيح
أدبي عطور التداول. وكذلك ترائف
الكتساب حواش استعراضية مثل
والإصباح لا دم لوطي. . . والغالب
في دمة الرقعة، أو مدثرة بحثه. كان
الشاعرة مسكونة بالفضالحة لسياسية
الساذجة لأتارة زويدة من أوهام ترائف
القصيدة





خدمة الأدب لا خدمة الأدباء

■ عندما أحدثت والنقاد بابها الجديد وهواصم ثقافية، كنت تعلم أن جهدها في هذا المضمار مهما كان غلصاً، متعياً، بريء القصد، سيقتل في الأوساط الثقافية والأدبية بمواقف متباينة تتراوح بين التسليم والتقدير وبين النقد المر والهجم الحاد والتشكيك لأن اوصاف جميع العاملين في المجال الثقافي غلبة لا تترك، وكل محاولة لقول الحقيقة والصواب محكوم عليها بأن تمسح غضباً أكثر مما تمسح رضاً بسبب هيمنة النزوات وطغيان النقد الصادق.

وكانت والنقاد تعلم أيضاً أن كل عمل قد يحبطه وقد يصيب، ولا وجود لعمل معصوم من الخطأ.

وفي العدد السابع والثلاثين (فوز - ١٩٩١) نشرت والنقاد أول حلقة من «هواصم ثقافية». وكانت من دمشق

ولم يكن اختيارنا دمشق لأن تكون أولى الفواصم الثقافية الجديدة بالتعريف مجرد مصادفة أنها كان اختياراً يكمن سببه الأساسي في تقديرنا لما لدمشق من مكانة ثقافية مرموقة في الوطن العربي، يلقى بها أن تدرس وتحلل وتناقش وأن تكون موضع التساؤل والتفكير.

وما نشرته والنقاد عن الواقع الثقافي في دمشق رأى فيه أدباء ومفكرين محاولة لا يعودها الممنق والأمانة والجدارة لتقديم صورة مكشوفة للحياة الثقافية والأدبية والفنية في دمشق، ولكن لمة عدداً قليلاً من شاركوا في «هواصم ثقافية» كان لهم رأي معارض مختلف، وصل إلينا عن طريق رسائل منهم أو نشر في جرائد دمشق في شكل تعليقات حاسقة

وجعل الاحتجاج على ما نشر يتركز على أن كلام بعض الأدباء قد شرب في «النقاد» مجزأً مقصوداً غير كامل

ومن المعروف أن حلقة «هواصم ثقافية» عن دمشق قد تضمنت لقاءات مع ستة وعشرين أديباً وفناناً من دمشق. ولو نشرت تلك اللقاءات كاملة لاحتلبت إلى أكثر من عدد كامل من «النقاد»، ولكان نشرها متناقضاً مع هدف تلك الحلقة من «هواصم ثقافية»، وهو التعريف الموجز المكثف بالواقع الثقافي في دمشق. ولم يكن هدفنا التعريف بأدباء دمشق ومفكراتها وفنانيها ونتائجهم وروايتهم الفنية والعكرية للحياة والأدب والفن. وقد اكتفي من الحوار مع الأدباء بأحد الآراء القادرة على تسليط أضواء حقيقية على ما في دمشق من حياة ثقافية واسعة ورواية وسرح وسبنا وعن تشكيل وصفتها الثقافية في الجرائد.

و «هواصم ثقافية» تحقيق صحفي من واقع ثقافي، يثير أسئلة، وتطرح الموضوع إلى أجوبة عنها، فإذا كان جواب أحد الأدباء لا يتناسب مع الصورة التي رسمها لشخصه أو لا يتواءم مع ثقافته، فليس لواله إلا يمكن أن تكون مسؤولية من سأل

والنقاد إذ نشر هنا ما وصل اليها سواء أكان رسائل أم كان منشوراً، نكرر نرحبها بكل رأي مخالف لا سيما إذا كانت الغاية المنشودة هي خدمة الأدب لا خدمة الأدباء على حساب الأدب. □

النقاد

والفنان، والعثرات التي تغفلت من اللجنة الثقافية والهيئة إلى القتل عمداً، وهذا ما جعلها دون التبرع على عرض شعارها العربية عند المظلة عند المظلة الأولى لولايتها بل ورواية منذ أن كانت مشروهاً ثقافياً في رأس الزميل رياض الريس.

ومع أننا نتميز دائماً لكل مشروع ثقافي، فبعض، يساهم في تحقيق الحضور العربي، وصل مختلف الأصعدة، فأتنا رغم الحيازات، لم نقف لحظة واحدة التحازنا إلى موضوعاتنا وإيماننا بأهمية أن لا تكون المجاملة المسطحة على حساب النقد الموضوعي البناء، والحوار الإيجابي الذي يعنى التجربة ويوصل المهي والحقيقي فيها.

من هنا من فهمنا هذا لأهمية الحوار، ولندور والنقاد فيه، كنا قد لبينا في «الثورة» دعوة مندوبين شائين من مجلة النقاد هما يوسف بزي وعيسى جابر

صحافة دمشق تدافع عن نفسها

١. إذا قالت جبهة كذبوها؟؟؟؟

لا ينبغي على أحد، أن تؤسس للملاحقة خاصة، وهي صفة راحة أحياناً يمس نفسه مكاناً في الصدارة.

ولأن الكسالى في حد ذاته قضية لا تطرح إلا في التنبؤ والأدبيات فإن «النقاد» جبهة الثقافية وإيمانها برسالتها بقيت معرضة للعديد من الاحتراقات

■ لا أنكر مطلقاً المكانة التي استطاعت مجلة «النقاد» أن تحتلها في حياتنا الثقافية والعكرية العربية، فهي لم تقبل على أية حال أن تكفي بتحريك سطح الحوار الإبداعي والثقافي، في غفلة جهتها الثقافية المبعدة، والنقاد وأياً حاولت وعبر اجتهدوا ملحوظ



جاءا متحمسين لتحقيق تضافي ينقل الصورة التي تنسجها عيوب الواقع الختاني في سورية، وجرى الحوار معها في مكتب الزميل مدير التحرير، وكنت آنذاك مع الزملاء سعد القاسم، وهاني الحبر وجيدر علي،

واستغرق حوارنا معها وقتاً طويلاً، تحدثنا فيه عن الصفحة الثقافية بتوجهها العام، وإهتماماتها وكذلك عن الحياة التشكيلية كحركة ناشطة في سورية وعن تياراتها، وسوق النقد التشكيلي منها، وقد متنا الزميلين الضيفين كل الوقت، الكفيل بمناقشة أفكارهم بشكل عدد لا يس فيه، واعتقد أنه كذلك عمل كل من وافق على حوار معها، من الأسامه التي استضافتها والباءة.

ملاحظات

لا تزال ولا يزال زملائي في «الثورة» يذكرون بقعة الحوار الذي دار في مكتب السيد مدير التحرير، الذي لم ينقل بأمانة إلى القاري نقل مشروعا، متفصلاً لأمانة فيه بقدر ما فيه من سوء التية أو «بلاهة» الوحيه» والتصديق السطحي البلبه، من أجل حكاية نقشة، أو كونه كاذب سطر الأخر وبمهد حوار شاكس يستند بعض الشعليل لمرارة في الصفحة أنه الطريق الأفضل لتحريرك وتثري الحياة الثقافية وهذا خطأ.

في اللقاء كنت كما أشرت مع الزملاء سعد القاسم، وهاني الحبر، وجيدر علي، وجميعاً شاركتنا في الحوار، كل في الجانب الذي يهتم فيه، وتحدثت بدوري عن الصفحة الثقافية من موقع تسري لشووبها آنذاك.

وكان الكلام واضحاً وصريحاً حتى المبالغة، وللقافية أن يستخف الحواران بأراء الآخرين، ويتوقفا فقط عند نصف غير مكتملة من الآراء التي قدمتها فيكون نقولها - غير الآمين - طبعاً - على طريقة لا وتقربوا الصلاصلا. ثلثاه الحديث عن العلاقة مع الزملاء في القسم الثقافي وتوجه الصفحة الثقافية تعرفت إلى مسألة الفائرة التي يجب أن يقوم بها المشرف على الصفحة الثقافية لا من مفهوم الرقيب، وإنما من موقع المبرمج لمرادها، والذي يضع نصب عينيه دائماً أنه يتوجه إلى قاريه مختلف الاهتمامات والقدرات،

وينبغي أن تقدم إليه مادة تعطي بعض جوانب حياتنا الثقافية فلا يغطي مزج مشرف الصفحة على حقيقة العلاقة مع القاريه، وقلت يومها أنه يبحث أن تعاد لمسار الزميلاتنا لأعادة النظر في جانب من جوانبها، أو أنه قد تزجّل مادة ما لوقت مناسب لتنفيذ الرغبة التي نرقدها، وتظهر بشكل «مدهش» إلى فكرة «هامة» المددة لزملائنا بطريقة القمع الديموي قراطي الرياضي الذي يعني التواصل، والعمل بشكل جماعي

من أجل الاتصال الأصل القاري، وهذا شيء طبيعي - كما اعتقد - يتجه المشرفون على الصفحات الثقافية، أو بعض المراقبين في التحرير فلا ينتشرون كل ما يصلهم دون أن تكون لهم رؤيتهم، أما كيف تحول كلامي هذا إلى عنوان: في صفحتها نؤمن بالقمع الديموقراطي بعيداً عن سياق للمادة وروح العمل الجماعي، فأسألهما؟؟

في الملحق الآخر نصف الحقيقة فقط حيث قلت: ولا يوجد ما في أرشلة، نحن أسرة ولنا شرطة على أفكار الآخرين، وهذا الرأي قلته هنا، والذي يلقي مسألة القمع الديموقراطي المتوجه بها، الحقة الزميلان بكلام لا أساس له من الصحة وهو: فأنا ومايستريه الصفحة الثقافية الذي يقوم بضغط القنرات صحيح انه أبرمج الصفحة حيث يستحيل أن تبني صفحة ما دون أعداد وبرجة وضبط للقنوات التي تصب أنجراً عند القاري، لكنني لم ألقظ كلمة مايستريه وكلمة فيها من الاستغراق للآخرين الشيء الكثير... أما من أين أتت لئالسرهما... وفي الربيع يطلع الكثير من الكلام مسبق الترجيح والصنع، والذي يسي كثيراً لتوجه والنقده التي بدأت مع الألف ترجيح في الأعداد الأخيرة، وأطلبها مستغفراً ورجوعاً وشهاداً مديونية الذي يشيرون ماوصلنا إلى الفترة الكثير من التقدير الذي نكته قاء، وأرسلناها الثقافية فطاط... !!!

لحللول سريعاً التوقف عند بعض الكلام غير المسؤول، وغير الدقيق الذي ورد في التحقيق الختاني - تبسو الصفحات الثقافية مطبوعة على نفسها، - والعلاقة مع الخارج تنحصر في التوصلات العلمية والأخير الحقيقية والطريقة.

- تتناقص الصصح الثلاث (تشرين - الثورة - البيت)، على كسب الاقلام والتنافس على المادة الخفيفة ولا يوجد فيها بينا نمازات أساسية أو جوهريه، ولقد خلت الصحف الثلاث إلى استغناء القاريه حول أفضل صفحة ثقافية وخرجت كل صحيفة باستنتاج من صفحتها الثقافية هي الأفضل بين اخواتها)...

- لا يوجد شكل عدد للصفحة الثقافية السورية فهي مطاطة بلا راحة، بلا نقاش، ولا يتحقق من ذلك كوبا مبدئية، وحتى النقاش عبر الصحف يتمحور حول أسئلة بدئية، بأشكال بدائية في التحرير والأخراج.

هذه الاشارات التوجيهية، غير الدقيقة والتي تطلق

أحكامها تحتاج في حد ذاتها إلى دراسة معمقة تقرا الصفحات الثقافية على مدى عام على الأقل ولا تقتني بسلامة السطح منها. هذه الاشارات التي قدمها مبتدئين في الصحافة يهزتها فكرة المشي عكس المتوازن والمتعاني فوجدوا في عمل الأثارة ما يشد، أو ما يرمي نزع المرارة الصحية لديها، واستطاعوا بعد النقاش، وكان أولى بالأستاذ رياض الرئيس مناقشة أفكارها، وبمعضها ديموقراطية - حفاظاً على سمعته وموضوعيته،

فلا يتركها يشطبها بحجة قلم جهوداً مشكورة، ويتلا نصف الحقيقة إلى القاريه، ويصعده منبره للزمن صبراً نشك في قدرته على خدمة الثقافة العربية، حيث لا يجوز أن يقال على سبيل المثال (الصفحة الثقافية السورية مطاطة، بلا راحة بلا نقاش) ما هذا الكلام

غير المسؤول وحمل هكذا تناقض الصفحات الثقافية وكيف المرأهقين أن يوزعا برامه الأبداء المعاصر على حركة ثقافية بطولها وعرضها... 1999

تتوقف أيضاً عند كلام مصنع ينشأ عادة على طاولات مثقلي مقاهي الأرصاف، فيلتقط بعض الفنانين الذين يصحبون به فيهمعنهم إذا صنعت لهم الفرصة فضلاً عن قراء حول المثقفين السوريين:

- إذا سألت عن شاعر ما يشارك أحدهم ثقافته - حثير - سأقول: وعن آخر (رائع - فائن - ساحر) - أه ثقافة نيمية؟

- هل يلين حقاً أن تطلق على ثقافة وطنية، ونزوح ثقافي واسع الملامح أها: ثقافة سيمية؟؟ ماذا ترك فريق النقاد لنسب من الصفات أذا؟؟

لم كيف وصلنا إلى أن (الحية حر بومي) للتعطف السوري؟؟ اعتقد أن هنا، ويكني، حيث لا أحب أن أضيف إلى مهزلة النقاد الاستغائية هذه شيئاً وأجراه تحقيق ثقافي شامل يناقش الثقافة في سورية، أو بلذ إلى بعده الحضاري وظهوره الثقافي يجمع إلى متولين أكثر تضجاً... إلى متولين بلغوا سن الرشد حيث لا يجوز أن نوزع أحكامنا هكذا دون أن نناقش بدلولها وبون أن نلهم مرادها البعيدة.

أنا مستفحة كيهان - كما نعتضد، يسي كثيراً إلى سمعة «النقاده»، حيث رسخ لدينا قناعة الآن مفادها أن ليس كل ما يعمل الملف صحيحاً، وما يقال في بعض ملفات النقاد يجب أن نزمي نصعه في البحر، ونقرأ نصفه الآخر بكثير من الحذر لأنه يعمل الكثير من الدس، والاربية، والنميمة أيضاً. □

خوري عبيد ربه
جريدة - الثورة - دمشق - 1999/7/7



٢. بحث عن الحقيقة أم سعي وراء فضيحة!

الفصير نسبياً، والدور المتزايد الذي بدأ يلعبه في حياتنا الثقافية

وهذا بدأ واضحاً أن هذا الحديث لم يعجب ضيفاً، فقد كان يبحث عن إجابات غير تلك قد قررها مسبقاً كما يبدو. واسلم الحديث عنه زميله، الذي لا أذكر اسمه بكل أسف وإن كنت لأذكر أنه لا شارباً، وأنه كان أكثر هدوءاً وصعفاً في استلته أن ثم اقل أقل انفعالاً وتوتراً. وقد بينت حديث طويل عن بدايات الفن التشكيلي في سورية ومشايخ تطوره، وأبحاثاته وعن صالات العرض وانفتاح الأعمال الفنية والنقد الفني وغيرها من المسائل المتصلة بالفن التشكيلي، بل ومحاورنا أيضاً حول الأشخاص الذين يمكن أن يغنوا البحث الذي يقوموا بإعداده، من أصحاب صالات ومدبرين لها وفنانين ونقاد وسواهم، وكنا أنا وياقي والصلاي في الصحيفه - مهتمين لمعاً بتقدمهم كل مساعداً نستطيع لاجل زملاء لنا فهم أولاً زملاء لنا، ومع ثانياً من لبنان البلد الذي ربطناه به أمور أكثر من تعد. وهم ثالثاً يعملون في مجلة تحمل كل ما كل التصدير. في ظل هذه كله كان يجري الحوار بيننا، وكان يبدو وكأنه جهد لمعمل قادم، أكثر من كونه عملاً قافياً بذاته:

اسئلة كثيرة متلاحقة كالتي طرحها من مجاول استحبال رؤيته (البانورامية) لموضوع قبل أن يباشر التعمق فيه، أو التعمق في بعض ما فيه. وبين حين وآخر كان ضيفنا الذي يشرح بطرح الأسئلة أولاً يقطع الحوار ليؤكد على جملة عابرة لفتت نظره. وكان الجميع حينذاك يشترك في الحوار، أو لتقل في الدردشة ابتغاء للدقة، وكانت المواضيع عديدة: اهتمامات الصفحة الثقافية، دورها في عكس الواقع الثقافي، كيف يستطيع الصحفي السوري التعبير عن ثقافته في ظل الأحداث الكبيرة التي شهدها محطات وكيف عبر عنها. وهنا أيضاً كان للحديث امتداداته: هل المقصود حرب الخليج؟ أم يمكن هلك أي تناقض بين ثقافتنا القومية وبين مؤلفنا من الحرب. ففي الطرفون كان هناك عرب يقتلون. وأساساً كانت رؤيتنا للمسألة يكملها من منظور المصلحة القومية لا من مفاهيم العصبية القبلية، وما هي الأهم تثبت كم خسر العرب في تلك الحرب، والحرب التي سيقنها

واتقل الحديث إلى موضوع آخر سؤال جديد كيف يتم قرار المواد التي تنشر في الصفحة الثقافية. ويجب التزميل خبري عيد وما أن يقترحها للمحرر أو أن يكلف بها، وكيف يكون النشر؟ - ضمن أولويات تراخي أهمية المادة والوقت الملائم لنشرها. ومن يقرر ذلك!! الشرف على تسير السائفة. فإذا اختلعت وجهة نظر المحرر مع وجهة نظر المشرف كيف يحل

التشكيل السوري. وقال: لقد وجدت أن أعمال اساءة فيومي نسخة عن أعمال قاتع للمدرس. ولما سألت عن وجه الشبه بين الحائزين تحدث بكلام غائم قبل أن يطلق حكمه القاطع الثالث: إن الفن التشكيلي السوري بعيد عن التجارب الفنية المعاصرة في أوروبا، ورأيت من جاتي أن كوننا جزءاً من الثقافة العالمية لا يعني أن نكون انعكاساً تلقائياً لما يجري في بلاد ثانية ولا تقليداً ساذجاً للتجارب الفنية الأوروبية. ومع ذلك هناك العديد من الفنانين السوريين الذين يعيشون في أوروبا ويعطون باهتمام الأوساط الفنية هناك مثل مروان قصاب باثي وعمر حلي، وبرهان كركوتلي، ومحمد فتحي. وأيضاً لكثير من الفنانين السوريين القيسير في سورية سمعة عالية مثل قاتع للمدرس ومروان جيساً يصبرون عن سبيل الفن التشكيلي السوري، وعن موقفه المتقدم، أنا اعتبرنا مقياس ذلك تتبلل الأروبيين له. لكن هناك ما هو أهم بالنسبة ل هو التطوير الذي شهده التشكيل في سورية وفي عصره

■ كان هذا قبل بضعة أشهر حين ينادي زميلنا مدير التحرير وأنا ادخل مكتبه بالقول كنا نبحث عنك، وفي المكتب زملاء من دائرة الثقافة: خبري عيديري. حينئذ التشكيلي في صحيفة الثورة، وقدمها في بالقول انها زميلان من مجلة (الناسك) يقومان باعداد بحث عن الصحافة الثقافية في سورية. وسرعان ما سألني احداهما عن رأيي بسبب هبوط الفن التشكيلي السوري. أجبت انك تريد تفسيراً لما تعتبره حقيقة. وأنا لا اعتبره كذلك، فالفن التشكيلي في سورية لا يشكو تراجعاً. بل على العكس ثمة أنه يعيش هذه الأيام حيوية لافتة للنظر. قال لكن التجارب التشكيلية جريمتها متشابهة، لم أوافق أبداً على رأي القاطع هذا مستغفراً في الوقت ذاته عن التعليقات التي ينى عليها حكمه المتألمين. قال لقد شاهدت أسس معرضاً في صالة خاصة. وكان سهلاً على الرد بأن معرضاً واحداً لا يعطي صورة كافية عن سورية

صدر حديثاً

بيروت - برلين - بيروت

مشاهدات صحافي في أوروبا ولبنان
لثناء الحرب العالمية الثانية
والحرب الباردة التي تنتها

كاميل مسروعة



66 KNIGHTSBRIDGE
London SW1X 7NJ
Tel 01-245 1905
Fax 01-235 9305

لأنكم وراء ما هو غير وفضائحي. غير وفضائحي

سعد القاسم

جريدة الثورة، دمشق، ١٩٩١/٧/٢٥

٣. احترام الذات

تقدم ما هو جاد وصوري وأجل ذلك لا ينس بلجده الوقت. وأثر يسمي ما هو غير وألقت للنظر ولو كان هذا على حساب أي شيء وكل شيء، ويبدو أن (الناسد) أو على الأقل موقدها اختار الأسلوب الآخر، ربما لسهرة وعجزها عن سواء، وربما لانتهاه من صقلته من هذا النوع أكثر رواجاً في زمن البحث عما هو سريع وجماز ومثير. وفي الحالين قد نجد لها الاعتدال، ولكن نسألها لو أنها جاداً مؤيداً لمجلة من تلك المجلات الباسطة عن الأثارة - وربما الفضيحة - هل كانتا سيستطيعان - الالتقاء بهذا العدد الكبير من العاملين في الوسط الثقافي، ليتحدثا عنهم وعت بعد ذلك هذا الاستغناء؟

هل استقبلت صفحتها الشخصيتين أم لكونها مديون لمجلة يعتبرها كثيرون مجلة جادة ومترفة؟ والسؤال قد يعني من أولدها قبل أي أمر.

دائرة الثقافة

جريدة الثورة، دمشق، ١٩٩١/٧/٢٥

وصلاً ورسالة في التآقد، فما سبق وحده قد لا يعملاً نخسر تقديرنا لمجلتك... ولكن نخشى أنكم قد خسرتم فرصة تقديم ما هو هام وجاد... في

■ بيننا وبين لبنان ما هو أكثر من أن يمد ومنه حياة ثقافية مشتركة، ونعلم أننا لا نأتي بجديد، ومع هذا لو أن صحيفة أو مجلة سورية أراحت أعداد بحث عن الثقافة في لبنان هل كان يمكن أن تكتفي ببعض المصارت غير المترابطة معها كانت طريقة أعدادها، ومهما بلغ عددها؟... بالتأكيد لا لأن هذا لا يقدم بحثاً بأي معيار من المعايير.

لما حيناً أراحت مجلة (الثآقد) أعداد بحث عن الثقافة في سورية فقد اكتفت بلجده محررين شايين لبيعة أهام كان عليها فيها الالتقاء بقائمة طويلة من العاملين في الحقل الثقافي.

ولأن الوقت لا يكن كافياً للاحاطة بموضوع كهذا، ولأن من كلت به لا يكن - كما بدأ لاجاً - مؤيداً أو يملك من المعلومات ما يكفي لمهمة كهذه، جاء البحث هنا وسطحياً وملياً بالاستغناء لجد عمل وجهد كثيرين، بل ونجاء الثقافة في سورية بأكملها وقد هالاق الأمر في القليل يتناقل، لكتلة تصد المقتراعات الطويلة في القليل الجمل يفرح على

الآراء؟ مهمة المشرف أن ينسق المواد ويحافظ على تنوع الصفحة وعليه مسؤولية هذا القرار وبنيء من التكملة يعقب الصيب المحاور: ولكن هذا يبعد ممحاً، وبالطريقة ذاتها يجب زميننا خيري: لكنه قمع ديسوقراطي!!! ووجد من يقول لزمينا أنك أمام صحالين ولا مجال للمزاح.

لكنه أجاب هي مزة كانت لجواياً مزحة. ولا يمكن أن تؤخذ على محمل الجد. وشركه الصيفان الرأي... ومع ذلك نقول لا يملك مصبرات كافية إلا لمن يصرف زميننا خيري عن قريب. لو لم يكن يخصص جلسة للودشة أما من حفرها فقد بد له واضحاً أن أحكاماً مسبقاً جاءت لتترك أذلها... لقد وجهت نظرنا الحديث كثير من التهم إلى الصفحات الثقافية ولم يكن من الصعب على المحصور اكتشاف حقيقة أن من يوجه تلك التهم لم يطلع على تلك الصفحات. أو لم ينامها على أقل تقدير. وهو ما دفع بأكثر من زميل لسؤال الضيف أكثر من مرة: هل يتأهرون صفحتنا حقاً. ومع ذلك ظلت الرغبة الصادقة في تقديم كل ما يمكن أن يفيده الزملاء الضيف في بحثهم قائمة. واستأظار لقاء آخر يحدد فيه ما يريدونه بالذات وعناهم، وكان واضحاً أن برنامج عملهم متزل بأسماء كتية يريدون لقاءها. أما لفلان الثاني فكان على صفحات (الثآقد) لقد انحصرت كل ما قبل إلى مجموعة من المصارات المتشعبة غير أمارة وأني شبي إلى حد بعيد ماثباتات صحف الضيف ولو كان ماثباتها ثقافياً أو أدبياً. مصارات لا يجمع بينها إلا رغبة غير مفهومة في التصيد ولو تطلب ذلك التحريف والاقتناع والافعال.

وتقدم ذلك كله رأي من تلك الآراء التي تبدو وكأنها نصوص مقدسة، يقيم الصفحات الثقافية في الضيف السورية الثلاث (البحث - الثورة - نشر) دون أن يجد حرجاً في ادعاء أمور لم تحصل كقول أن كلاً من هذه الصفحات أجرت استفتاء بين القراء، وفردت من خلالها أها الصفحة الأولى بين زميلها 19؟ هل يذكرك أحد من قراء الصفحات الثلاث استفتاء من هذا النوع؟ نحن لا نحسبنا لا نذكر، وأيضاً لا نعلم المصدر الذي استقى منه محررو النآقد (معلوماتهم) تلك... ولكننا نذكر جيداً ما دار من حديث في مكتب زميلنا مدير التحرير، وما قرأناه منه، أو عته في مجلة السآقد. فقد كانت المقارنة بين المجلتين كافية لجعلنا نشكك بكل كلمة وردت في البحث. عن لسان أي إنسان وردت، فقد كنا شهوداً على الطريقة التي حورت بها أحاديث وبلدت وأجترحت وأدعيت أيضاً... عذراً زميلنا خيري لقد كنت مرة أخرى صيحة التناول السريع بالأخيرين.

أصبحنا مثل سندان أبو حمدان!

عبد الحميد الشيخ عطية

سورية

يعلمون أساساً من غياب الوعي!!

أليس في هذا جوع، فإن غاب العدل في فترة زمنية ما، فليس الواقع أنه قد غاب الوعي. وإن غاب العدل حشاً - كما يقصد الكاتب - في الشرائع العربية... فكيف بد هذه الأمة العربية حصاراً من أرض حضارات العالم، وكيف استطاعت هذه الأمة أن تحصل على استقلالها بعد أن بايت بالاستعمار. هكذا بلا وعي! بل وكيف أثرت هذه الأمة على نصف شوب الأرض، ما عشتت جمع تلك الأمم والشعوب عقيدة هذه الأمة... هكذا أيضاً بلا وعي!

إن أساس الشرائع العربية التي يتحدث عنها

■ بعض مقالات كتاب الحداثة، تحريك على الرد السريع وليس التبرع. إن ما يطرحونه على العقل العربي حطري جداً؛ ولذلك يجب الإسراع في الرد والتأني في التوضيح، فإذا كان لهم الحق في التفكير والتبرير والشرح، فإن من الحق أن يرد على المحرور الفكري... لقد أصبحنا - وللأسف - مثل سندان أبو حمدان، لا نعرف من أين تأتينا الطريقة. أو مثل طرطوة أبو عطف لا نعرف من أين نخش؛ يقول الصادق التيوم في مقالته في العدد الخامس والتلاتين من مجلة الثقافة:

ولا يعاني العرب من غياب العدل وحده، بل

الكتاب الصادق لتيهم هو العدل وليس العكس. خذ مثلاً: «اتكلموا ما طاب لكم من النساء، متى وثلاث ورياح»، فإن ختمت ألا تعدلوا فواحدة. هذا النص القرآني عيزر تعدد الروايات لأول مرة في تاريخ الشرائع ولكنه يربط هذا التعدد بالعدل، فإذا ما يكن هذا العدل يليق به، إذاً العدل أساس الشريعة، هذا غيض من فيض، فالو شرحتا النصوص جميعها لتبين لنا أن القرآن كله عدل وعلى أساس القرآن قامت الشريعة العربية التي يقول الكاتب بعدم عدالتها أو عدم وضعها! وما يقول مثلاً:

١ - «أنت حكومة ديمقراطية عرفها العرب، هي حكومة عمر بن الخطاب!!».

٢ - «معارضة، حكمكم علينا، صيغور، أحزاب». لكن هذه المقترحات الرأسمالية، لا ترد أصلاً في قفوس القرآن الذي يتمتع العرب مصدره التشريعي... وهي مشكلة لها نتائج متناقضة جداً، منها أن الحكومة العربية لا تستند إلى شريعة، وأن الشريعة العربية لا تستند إلى حكومة!!

٣ - «المبدأ الأول يقوم على احتكار ألفه لسلطة بابوية رسمية!» يتابع وولدا السبب فإن القوانين الإسلامية لا تصدر من أمة المسلمين في استناد عام!!

٤ - «المبدأ الثاني، يقوم على تفرع الدين من عهود الإداري 11 للإسلام الذي يمتد ألفه، شريعة سلطانية فردية، لا تعرف نظام البرلمان، ولا تترتب بتعدد الأحزاب».

٥ - «المبدأ الثالث يلزم على الفصل شرعاً، بين صهر الفرد وصير الجماعة...».

٦ - «المبدأ الرابع يقوم على تنبي نظرية عصرية معقدة...».

وبشكل، وكان الكهنة قد طوروا نظرية - العالم السفلي - التي سيجد اليهود صانعها تحت اسم - العالم العلوي - ثم يتابع وإن ألفه الأسلامي تنبى هذه النظرية في قاعدته المرية التي أضافت شريعة الإسلام على خلاصها كل شيء، ليس بينها ركن واحد، له علاقة بحق لواطن في الإشراف على جهاز الحكم!

لماذا يصر المصادق التيهوم على خلط مباس بدليس؟ لقد صرحت من خلال أقواله، بأنه رجل مهووس حتى العظم بالنظم الغربية الوضعية، وأنه يفسر من خلاصها كل شيء، يضعها كقواعد ويقيس بعدها... نحن نعلم أن عمر بن الخطاب ليس له شأن في حكومة ولا في ديمقراطية، إذ كان الرجل حليقة غليظة رسول الله (ص) ... إذ يكن يملك إلا بشريعة القرآن الكريم... ثم ما علاقة الحكومة أركان حق لواطن في الإشراف على جهاز الحكم، من اختصر المصادق التيهوم كل الشريعة وكل نصوص القرآن بهذه

الحقصة أركان، وهل ينكر أنه في القاعدة الشرعية ومفرم شوري بينهم ما يكفي لرصد كل لجاته في كلمات برلمان ومماوضة وصيغور وأحزاب... ونشال المصادق التيهوم... حل لواطن الغربي في الدول الرأسمالية، أو الشرقي في الدول الشيوعية، بشرط فعلاً على جهاز الحكم؟! وأين هي المتصورة في عانة الله؟ وكيف يجب صدور القوانين الإسلامية في استناد عام 1114؟ اتني لشر أن في هذا الفكر المطروح دفنة خلق أكثر مما هو درس ونقص وتفكير، فالأراه مشرعة ومباحة بل وأحياناً مشوشة غير واضحة،

عاجلة، كالسلطة، والحق أن الكثير من المفكرين المحدثين، هم ضحايا فعلاً، ضحايا ثقافتهم الغربية التي لا تفرق بالمطانة والتجربة الحية، وضحايا ثقافتهم العربية الإسلامية التي لا بد وأنها أيضاً غير مكتملة على وجه من الوجوه. وأنت عندما تسمع هؤلاء والسورة المتقين الطفل! عتد ذلك منك بذكرهم الشدق كاللهكرياء؛ ولكنك مع الأسف تصاب بالضعف الكهريائية بدلاً من الضوء والنور؛ تنكهرب؛ لأنه كما أشر، فكر كهريائي، من نوع الكهرياء التي تصنع أحياناً ودياً لا تثير أبداً. □

العودة الى نزار

عبد الرحمن قوبي
الغريب

أماكن ومواقفها. ولكنه بلقيها كجمره يستند، يا من يستند، ويحقق بها من يحرق؟! وهل التلغلي لهذا الشعر أن يتوقع ما بين المستندين أو المحدثين.

ثم يتعرض الأخ ونوس بعد ذلك إلى مجلس الترجمة يقول: وهذا الكلام قد خضع للترجمة إلى لغة أخرى سيكون كثرة علينا.

هل هو مركب نقص ثابت لدينا أمام الآخر؟ وما الذي سيكون كثرة أكثر من الواقع الذي نحن به؟

فالآخر يعرف عنا أكثر ما نعرفه عن أنفسنا. والآخر هو الذي ترجم آثارنا لندمها وحديثها دون أن تقع أية كثرة من أي نوع كان.

والآخر هو الذي كرم الطاهر بن جلون ونجيب محفوظ بأرض ما يكون التكرم.

ثم إن هذا الآخر ليس من السذاجة في شيء، أن يهضم من قصيدة نزار. إذا ترجمت - ما فهمه الأخ ونوس. إنه أدنى من ذلك

إلا كان الشعر العجوري الموجه للأطفال - كما يقول الأخ ونوس - يعلمهم أن القمر عندما يخبى يكون العرب هم الذين سرقوه!! فإنا يجب أن نعلم أطفالنا أن المصهنة قد سرقوا - فعلاً - أرضنا بشمسها وقمرها، بليلها وديارها. وهنا الكثرة، وليس في عضية (ترزية) على واقع مهترى، واقع لا يمكن أن يوصف إلا يا وصفه به الشاعر نزار قباني □

■ في العدد الثلاثين من ديسمبر كانون الأول 199٠ من مجلة (الثقافة) كتب الزميل عبد الله ونوس مقالة تحت عنوان (ماذا فعل نزار قباني بالشعر). وفي هذه المقالة يخلص الشاعر في مقاليته كجمره فعل العرب بالشعر ولا يكتفي بأن ألفه ما فهمه على مرأى قباني... وأنها هي مساهمة متواضعة في خلق حوار فكري بين الأشقاء!

وقف الزميل ونوس عند المقطع الذي اختاره لاعتبارات منهجية مسيئة، وهو المقطع الذي يتلو فيه نزار عبقاً في مواجهة الواقع العربي للتدني ثم سأل قائلًا: (من تصعد بكلمة عرب، هل هم أنا وأنت وعو، أم تصعد فئة معينة. وإن كنت تريد ذلك فعلاً - أي الفئة المينة - فلماذا لا نخطيها مباشرة؟)

إنه سؤال يحمل في طياته إجابته! إذ المقصود حقاً هو فئة من العرب وليس العرب بشكل عام. المقصود هو التي تعرفنا أنت وأنا وهو؛ الفئة التي تعرف نفسها. لكن نزاراً - وكذا به - ما يصرح بذلك، وصحاً فعل، لا نقره إلى الشعر نقر ذلك

لغة الشعر عند نزار هي لغة الإشارة، والرمز والعوض. لا لغة التفصيل والوضوح

اللغة عند نزار إجمالية وليست تقريرية. فهي لغة الشعر وليست لغة الجغرافيا والتاريخ. لغة تلقى في الضيق تنصرف إليها الشدة والألم دون أي عائق مادي أو نفسي. ونزار كشاعر كبير - يشهله الأخ ونوس نفسه - ليس من عادته أن يهبط أبوانر كليلته، ويعد





قبل أن تبهت الألوان

صحافة ثلاث قرن



■ يصدر هذا الشهر كتابي «قبل أن تبهت الألوان» - صحافة ثلاث قرن -، الذي هو حصيلة ثلاثين سنة من الكتابة الصحفية الشتعة وتلاوتها منذ عمر طويل في تاريخ الصحافة، وخاصة لشهادات صحفيي غطى أحداث ربع المسكونة ذهباً وأياباً في الصحافة العربية. لكن هذا الكتاب ما هو إلا محاولة للقبس على الحطات التاريخية التي تضيء العمل الصحفي ساعة وقورها، فتعطي الصحافة لتاريخ مساهمتها، بقدر ما تعطيه تبهتها التوري وإيقاعها اليومي ولا يجمع بين مشاهدات هذا الكتاب، إلا أنها كتبت بحرية لم نعد مناحة لأي صحفي يعمل في الصحافة العربية اليوم. هذه الحرية التي مارستها مع عشرة رؤساء تحرير عملت معهم على امتداد العقود الثلاثة الماضية، من دون تدخل من أي منهم أو إيعاز من صنفهم. ولم تكن الحرية التي مورست في سنوات كتابة مشاهدات هذا الكتاب، تزيد على أن يكتب الصحفي قناعاته الشخصية، وحده في أن يكون حراً في تطوير آرائه وإعادة استيعاب موضوعاته على نحو لم يكن يتوقعه هو شخصياً قبل بدء الكتابة، ومن دون أن ينطق ورأيه.

وبين المقدمة والمداخل، تكمن قصة هذا الكتاب وهذا الكاتب. قصة وقوف الصحفي بحرية أمام الحدث ليصف مشاهداته في اللحظة التي يواجه فيها قارئة، من دون أن يكون ذلك القارئ معنياً بمعاناة الكاتب أو الظروف التي يكتب فيها. ومن دون أي وهم من الصحفي بأنه يكتب للتاريخ، أو أن كتاباته ستقدم أو تؤخر من مجريات الأمور، أو ستؤثر في مصائر الدنيا.

«قبل أن تبهت الألوان» ليس أكثر من مجموعة شعور صغيرة مضادة على تمرحات ثلاث قرن من الترحال بين نقاط وقواصل عالم مضطرب، كان من حظي أن أكون شاهد عيان في صحفاته المديدة. □

مقدمة: مجازفة العودة إلى الماضي

وكتبت أعرف أيضاً - بحكم أنني رجل وقفي وهمني على الرغم من مثالي - أن مهنتي، مهمة الصحافة العربية، وقد مارسها بمنزلة ثلاث قرن حتى الآن، قد وصلت إلى مستوى من السقوط ربما لم نمره في كل تاريخها، وأن تراجعها في مثالياتها وقواعدها وأسلوبها وممارستها، قد

■ كنت أعرف أنني رجل له طموحات مثالية، وأن مثالية طموحاتي نصل إلى حد الساذجة في أحيان كثيرة. ولكنني ظننت أن تجارب الحياة قد صقلتني إلى درجة مقبولة، أعرف من خلالها أن أتذكر أنكتاف حافة ما وأن أعجب الوقوع في غطاء حيت.

■ قبل أن تبهت الألوان - صحافة ثلاث قرن - رياض نجيب الريس - ٦٠ صفحة رياض الريس للكتاب والنشر - لندن، قبرص، بيروت، ١٩٩١



لم تكن أبداً كما عرفوها اليوم. لكن هذا الكتاب ليس قطعاً كتاباً عن الصحافة، ولا كتاباً يحاول أن يوضح مرحلة معينة من مسار الصحافة العربية. إنه مجرد كتاب لصحافي، وليس كتاباً صحافياً.

لماذا؟

لأن الصحافي هو الصفة الوحيدة التي أملكها، وأنا لا أملك أي أوهام حول الصحافة وأهميتها أو نفعها، ولا أفرح حول كونها «السلطة الرابعة» كما تلمعناها في المدارس، مهنة عرفها في أحسن أيامها وفي أسوأ أيامها. مهنة فتحت لي أبواباً كثيرة، عرفت فيها العالم، وعرفني إلى أحسن الناس وإلى أسوأهم. مهنة أعطتني ما يمكن أن يسمى به والثقافة المتشوّدة، فعملتني وتعلمت فيها. مهنة عاليت من عذابها كثيراً، وعبثت في لذاتها بقدر ما عرفت من متاعها. مهنة ما زالت أهم صنعة في الدنيا مهما حظ بها الدهر اليوم، مهنة، إذا فطرت إلى الوراء الآن وقد فتحت جميع ملفات الماضي، لا أستطيع أن أقول إنني قد احتار فيها.

أرجو أن يوضح هذا الكتاب لماذا

ولأنه كتاب لصحافي، فإن فيه كثيراً من المجازفة في العودة إلى الماضي والمجازفة تكمن في أن حياة الصحافي هي عبارة عن فصاحت حرائد تقبع في منصات تحمل تاريخ معينة أحداث وحكايات ومواقف فتجابه بعد زمان طويل مرّ. ينظر إلى بعضها سائراً، ويريد طرد بعضها الآخر من ذاكرته أو إنكاره وبجسده. إلا أنني شاء له الله أن يكتب هنا سجل لحساب باقي أطول ما سيبقى من هذا العهد الحاضر. ولكن عندما يقرأ القارئ ملفاته يتبادر، ويكتشف في رؤايات جلة كانت نبوءة، وموقفاً حلّ حثاً بتاريخ، ومغامرة وفرت له ذوقاً في قضية، ورأياً شارك في حل أزمة، وحديثاً سامع في إسراج شخص آخر. الأهم من ذلك أنها كلها كتبت تحت ضغوط الزمان والكان ومن مواقفه وفي ساعتها، حتى جاءت في غابائنا، معلومات تحمل يا أكثر من احتفاظاً بالثقة عارائنا وحسن صياغتها.

ولأنه أيضاً كتاب لصحافي، فيجب أن لا تقع في وهم الاعتقاد بأنه أجنب. فالصحافيون ليست صنعتهم الأدب. وكثير منا، نحن مشر الصحافيون، يمزجون أنفسهم ويقدّمونها في الوقت نفسه إليهم أنهم أدباء، وإن ما يكتوبونه من مادة صحافية هو أدب. إن الأدب الحقيقي لا يعترف بالصحافة، وليس من مهمة الصحافة أن تزني مهمة الأدب. وعليها الاعتراف بذلك، إن ما يبتاز به صحافي عن آخر، هو الأسلوب، والأسلوب وحده لا يخلق أدبياً، لأن المادة التي بين يديه وطبيعة صياغتها لا تجعل أن تصبح جنساً أدبياً، كالقصّة أو الشعر أو الرواية أو المسرحية.

وقد اتباني شعور وأنا أكتب أرواقي القديمة، بأنني أكتب عموعة من الجثث في براد شرقي لتاريخي المهني. وقد ذكرني هذا بأصطلاح تستعمله الصحافة البريطانية، تعلمته أثناء عملي فيها في الستينات،

اسمه the Morgue، ويقابله عندنا في الصحافة العربية اصطلاح «الأرشيف». وهذه الكلمة بالعربية تعني بالملص القاموسي تحديداً:

فاق تراجيعها في حريتها وكرامتها واستباحة الأنظمة والناس لها. وكنت أعرف أيضاً وأيضاً أنها تقدمت نقياً وإقتصادياً وصناعياً، واتسع انتشارها وتمتدّت آفاقها وتوزعت مشاربها، ولكنها انهارت داخلها: انهارت حريتها، وانهارت أخلاقها، وانهارت قواعدها. كنت أعرف كل ذلك، وأنا مستسلم استسلام من يريد أن يحافظ على ما تبقى من مهنة في كل حياته وروحه، ولو أنه تعلمها في بيت العائقة قيمة ومقاييسها عما يمارس اليوم، وتعامل معها في مؤسسات علمته في حينه. أن هناك شروفاً وأصولاً وأعداداً للاحتراف الصحافي غير الذي يراه، يعلّق اليوم.

ظل ذلك كله نوعاً من الترف الفكري والطمع الحالم بالنسبة لي. وكنت أتفاني باستمرار الاستخدام بين واقع الصحافة كما تارس فعلاً وبين مثالي، حتى لا أقول سلباً بين المهنة. إلى أن التقيت أحد الزملاء من معاصري في الصحافة، فسالني - وفي جدية متناهية - عما إذا كان ما أكتبه يقلى «دهم» جهات معينة. وكتم شمرت باحتقار الزميل لي - وربما يشفته أكثر - عندما أكدت له أن ما أكتبه هو رأي الشخصي وأن من المؤسف (في محاولة مني لكسب احترامه) أن ليس هناك من يندعهم قرائي - ولم يحاول ذلك أساساً. ولم حاولت أن أشرح له أن الصحافة هي أيضاً رأي شخصي وتحليل لمعلومات يسمى إليها الصحافي بدافع من وحده لأنه شرفه بما، تطلع إلى الرسل وقال لي: «هاترينه إن تقضي أنك تكتب في سبيل الكتابة، ومن أجل أن تتفاني ورايك في آخر الشهر؟»

وسرت الأيام. وصدتني إلقاء عموعة من الزملاء الصحافيين في أحد استديري. وأخذت تصافيني في مواضيع المهنة ومفاتيح كتابة الصحافي هذه الأيام. وانهالت الأراء: أحدهم قال إنه الموضوع كذا جيد، ولكنه حساب العراق. وآخر قال إن المقال الغلاتي عظيم، ولكنه حساب السعودية. وثالث قال إن التحقيق كذا ممتاز، ولو أنه لصالح الكويت. ورابع تفصل قاتلاً إن التحليل الإخباري كذا رائع، ولو أنه لصالح اليمن.

ولما استقرت مجموعة الزملاء عن الاستمرار في إبداء هذه الأراء لتراكم حسابات الدول أمامنا في تلك السهرة، مشاعلاً: أليس هناك في كل الصحافة العربية من لا يكتب حساب أحد؟ انتفضوا جميعاً دفعة واحدة وأجابوا: «أجل أنت في مزالك لم تسخر من؟ هل هناك من يكتب اليوم حساب المهنة لأنه شرفه بها، أو لحساب المطبوعة التي يتسبب إليها لأنه يتقاضى أجره منها. أي ولا، لقرعاده المهنة تتحدث عنه أنت؟ الكل يكتبون حساب الدول والأنظمة والأحزاب والشركات. لا أحد يكتب حتى لحساب نفسه».

□

أروي هذه الحكاية التي كتبتها منذ سنوات، لا لأقول إنني أعرف كل هذا وبذلك. أو لأؤكد أن مقالات هذا الكتاب كانت كلها لحسابي خلال ثلث قرن من العمل الصحافي، إتياً لأقول أنني كتبت هذا الكتاب بدافع من الحب، وفي محاولة للخروج من كوابيس هذه المهنة العائقة. ولأقول أيضاً إنني جمعت مقالاتها دفاعاً عن مهنة في كل عصري. وملفني أصدته كتاباً ثلاث لآلئ نفسي في الدرجة الأولى قبل الآخرين، من أجل قراء تستعين هذا القرن، أن الصحافة العربية

**الأدب
الحقيقي لا
يعترف
بالصحافة،
وليس من
مهمة
الصحافة أن
تؤدي مهمة
الأدب**

١ - معرض الجثث: موضع تعرض فيه الجثث المجهولة ليتعرف عليها من جميع الأمل.

٢ - مجموعة المراجع في دار جريدة أو مجلة ما.

انتمست بيني وبين نفسي وأنا أقارن بين التعبير الانكليزي والتعبير العربي، لأنني وجدت نفسي أقرب إلى الاصطلاح الصحافي الانكليزي. وشمرت بالبرء

كذلك أهملني أروع رأيي، بقدر ما أهملني اكتشافي كم كنت أعرف عن أشياء كثيرة في يوم من الأيام، لم أعد أعرف عنها شيئاً الآن أو أنني نسيته اليوم. وتبادر إلى ذهني وأنا في معرض الجثث الصحافية التي أمامي، أنه لا يمكن أن أكون أنا الذي اخترت الحوض في كل هذه الموضوعات، ولا بد أن الظروف ورؤساء التحرير الذين صلت معهم في تلك السنوات، هم الذين اختاروها لي. وإتاني شعور وأنا أقلب مجموعة ضخمة من الصور إلى جانب القصاصات (ركت أصور كثيراً في تلك الأيام) بأنني كخفاش القبور الذي يزعج الموتى بنيش قبورهم بعد سنوات وسنوات من مواراتهم الثرى. وشمرت بالبرء من جديد.

وأدركت أن كل هذه المواضيع قد كتبت تحت ضغط سياسي يعرف الصحافة باسم المورد الأخير للتسليم قبل دوران الطبيعة. وهناك مصطلح في الصحافة الغربية أيضاً يسمى Deadline. واكتشفت أن المصطلح الغربي مشتق من مقابلة المصطلح العربي. فلقد توسع يشرح معناه: ١٥ - خط الموت - وهو خط ضمن سجن أو حوله لا يجوز للسجاني تجاوزه وإلا أطلقت عليهم النار. - المورد الأخير - أنموذج مورد لإنتاج عمل ما.

وأحد لي هذا الشرع التساؤل عن الجحارة التي يحرص على الصحافي الذي يريد أن ينشأ ماضيه، فشمريت بشعرية في داخل وأألف بين «معرض الجثث» و«خط الموت». وتذكرت ما حدثت من صحافي بريطاني غرقم حاصر فينا في مؤسسة طومسون في مدينة كارديف في مقاطعة ويلز في بريطانيا قبل ثلاثين سنة، كيف أن الصحافة قد لا تعمل الطامع فيها غريباً، ولكنها من المؤكد تجعل حياته معامرة خطيرة

وعل الخطر يزداد بعد سنوات عندما يجلس الصحافي أمام أوراقه

القديمة ليبحثها من جديد، والمخوف يلقه أكثر فأكثر من أن القاري، سيمسك به اليوم، بعد أن أفلتت منه طوال السنوات الماضية. لكن هذه المرة لن يستطيع القاري اللحاق بنا. فهذه فرصتنا قبل منا نحن معشر الصحافيين، بملك نفوذتها عليه. فالتاريخ هو الرقيب الذي لم يعد جالساً وراء مكتبه، بل أصبح جالساً في رأينا. وما زال خطره يلاحقنا.

وفي داخل كل صحافي يُمنى بالأحداث، صراع دائم بين الأراء والمعلومات أو بين الخبر والتعليق. لذا يجاز الصحافي وهو يقف على حصيلته ثلث قرن ويكف من كتاباته الصحافية أيما برمي وعلى أيها يعني. ولم أتردد في أن أربي في زميلة الصحافه، كل ما له علاقة مباشرة بالخبر الآني والرأي السيال والمعلومة التي فلت وقبها والتعليق الذي لم يعد يحمل أي معنى. ولم تكن مهمتي بلزاه هذا الخيار سهلة على الإطلاق. لقد جئحت بلا تحفظ نحو ما اعتقدت أنه يشكل رواية أو قصة تحمل أسلوباً خاصاً وأولاً عُرِضَتْ من موقع معين وفي ظروف تاريخية معينة. وبذلك فقد حملت أغلب مقالات هذا الكتاب طابع الريبورتاج، والرحلات والتكريرات، بقدر ما حل بعضها طابع الرأي الداعي إلى قضية والمطالب بمسوق والمثير للذكرى ما وفي جعل مقالات هذا الكتاب تنوع وأضعقت في حشفت الصليب الصحافية التي كانت تعني، والتي اعتضدت. وبني على قلبي - أيها يمكن أن تصمد لاحتياض الزمن، دون أن تغد نكهتها وعبرها إذا ما أهدت قرامتها في أطوارها التاريخي وزمان ومكان حديثها.

قد اعتقدت في هذا الكتاب على ما كتبه في قضايا الخليج العربي - أيها أكثر - أن الكتابات الأدبية والفنية، التي لا تحمل طابعاً صحافياً. كما استجبت للأحداث الصحافية التي فطنت طبعها وانتشرت مناسبتها. لقد كان كل الجهد في أن يبقى هذا الكتاب، كتاباً لصحافي وليس شيئاً آخر

هذا ويخبرني الآن بيت من الشعر قد لم لأعرف قائله، يقول: لمسرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق أحنى أن لا يضيق أحد هذا الكتاب وبأصحابه! □

لندن، شباط ١٩٩١

**الكتابة
الصحافية
الجيدة هي
التي تصمد
لامتحان
الزمن، دون
أن تفقد
نكهتها
وعبرها**

مدخل: شبه سيرة صحافية

فيدخل مدارس ويتعلم في كليته ويعيش صباه وشبابه في كف صداقاته اللبنانية. ولم يكن لدينا أي شعور في شبانا، بلينجز ما بسا، نحن غير اللبنانيين وبين اللبنانيين. كان التطلع خارج الحدود القطرية لكل منا أمراً طبيعياً، وكان التفرقع داخل الحدود اللبنانية أمراً انموائياً. وكانت بيروت وتقتل امتداداً حقيقياً للعثق، وكان الوصول إلى الشام أسهل من الوصول إلى طرابلس. وكانت الحرية السورية - اللبنانية حرية أشخاص عاشوا معارك الانتداب معاً وسعوا إلى الاستغلال معاً. كانت العلاقة طبيعية، وكان والياق الوطني اللبناني - العربي في عزه.

كان لي شرف وشمة احترام العمل في الصحافة اللبنانية حوالي عشرين عاماً، منذ أن حلمت أن الصحافة هي مهني وطريقي وفدري. لكن قبل ذلك كله كنت من نتاج ذلك الجيل العربي الذي جاء لبنان وهو في أوجع وعفوانه، فدخل مدارس ونجح من جامعاته وانضم إلى أحزابه وتعلم السياسة في مقاهيه وتشق حريته وتسكع في مكنته. على أن الأهم من ذلك كله أنه قرأ صحافته وعرف من خلالها أن للرأي أكثر من وجه وأن للتفكير حرية في أن اتساع العقل الانساني، وأن حرية الانساني هي في حرية رأيه وفكره. وكان من الطبيعي لوأحد من جيلي أن يأتي لبنان في طفولته،

علني كامل مروة معنى حرية الرأي، وانه من الممكن في الصحيفة الواحدة، مهما كان اتجاهها السياسي، ان تجد مجالا لحرية التعبير بين محريها

وعندما جئت لبنان، لم أكن هارياً من اضطهاد. ولم أكن لاجئاً سياسياً. ولم أكن أبحت عن عمل كنت صاحب مهنة لم يكن مسموحاً بممارستها إلا في لبنان. وكان لبنان يمتز في ذلك الزمان بأنه أسمى البلد الوحيد في الوطن العربي الفادر على احتضان صحافة حرة. لم يكن هناك غداغ نظر. كانت التقاليد الصحافية اللبنانية في حية استمراراً للصحافة العربية التي شابت في مصر وسورية وفلسطين منذ بداية هذا القرن. كانت الأرض الصحافية عذرة ومؤلفة للفكر والفكري.

سميد فرجة وكامل مروة وجورج نقاش وغان تويني كانوا امتداداً تراثياً لحلمي الصحافي الذي بدأ في دمشق وانتهى في بيروت. لذلك لم يكن غريباً ولا مستغرباً أن يعمل واحد مثل عبد هؤلاء ومهمهم في البلد الذي ربيت وترعرعت وتعلمت وصادت وأحببت فيه. وبُليت في هذه المهنة من دون السؤال عن جنسيته، لأي كنت امتداداً لهذا التقليد وذاك التراث. وكانت الصحافة اللبنانية تصمم في مطلع الستينات عدداً لا بأس به من السوريين والمطبيين العاملين بها، وكان ذلك أمراً طبعياً. وكنت من بين القلائل من غير اللبنانيين الذين عملوا في الصحافة اللبنانية ولم يتلينوا بالجنسية

■ بيت

نشأت وريت في بيت صحافي وسياسي. والذي يجيب الرئيس صاحب جريدة «القبس» المشقة التي علشت بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٨، كان صحافياً سياسياً. إشتدت حب قلده المهنة لطيفة الأجواء التي كانت عيطاً بي في طفولي وصبي. كنت أقرأ برقة واليدي المطالع ومكتب الصحف وأرى مجموعة الصحافيين والسياسيين، باستمرار، في بيت. ولم يحظر في نالي في أي فترة من فترات نشأتي، أن أصغر في يهنة سرى مهب الصحافة والكتابة. لقد كانت خياراتي عمدة وفعرة سلفاً. ولعل السبب الرئيسي في ذلك أن والدي توفي عام ١٩٥٢، وأنا في الرابعة عشرة من عمري، مما ولد حندي الرغبة بالتحدي للاستمرار. واستمرت والقبس، بالصمود حتى تأميم الصحافة السورية في عهد الوحدة المصرية - السورية عام ١٩٥٨. وكنت أنضي العطلة المدرسية في مكاتبها ومطابعها محاولاً تعلم أسرارها مما زاد حندي عشق راحة الورق والحبر وصياح هدير الطابع. وذا كنت كذلك محلات بدائية في الكتابة كانت تنشر لي على أساس أنني ابن صاحب الجريدة.

لذلك لم يكن حندي شك، عند اليوم الأول الذي تركت فيه الدراسة، في أن يقوذي الدرب إلى أول صحيفة تغل أن أعمل فيها. فقد كان هناك اتفاق واضح بيني وبين نفسي أنه عندما أكمل تعليمي سوف أقرر عمل باب أول صحيفة لأدخل إليها صحافياً. ولما كانت الصحافة السورية قد أتمت والقبس، قد أغلقت، فإني ما أن تركت الجامعة في صيف عام ١٩٦١، حتى طرقت باب سميد فرجة في دار المعارف، بحكم الصلة والصداقة التي كانت تربط بيني وبين والدي. وعرض عليّ سميد فرجة أن أحمل أول طولة قارعة وأبدأ حياتي المهنية. وهكذا تقاضيت أول راتب في من مجلة «الصيد» في تموز عام ١٩٦١، وكان مقداره ٣٠٠ ليرة لبنانية. وهكذا بدأت احترافي المهني.

وعملت جازراً محرراً للشؤون العربية في «الصيد»، وليلاً محرراً للشؤون الدولية في جريدة «الأثوار»، إلى جانب الإشراف على صفحتها الثقافية.

■ المحرر

عندما كنت في «الصيد» كان هشام أبو ظهر يرأس تحريرها. وكان هشام يريد إصدار جريدة خاصة به. فقرر على العمل معه، وكنت حديث المودة من الدراسة في انكلترا ومتأثراً بالصحافة البريطانية، فاقننته بأن يصدر «المحرر» على غرار صحافة الأحد الاسبوعية في بريطانيا وتركتنا دار الصيد معاً، وأصدرنا «المحرر» في ١٨ حزيران عام ١٩٦٢، كأول جريدة اسبوعية مقلدن فيها «السندي» لانهزمو وألويوزفوف. أي جريدة بعدة أجزاء، واحد للسياحة والأخبار، وآخر للثقافة والفنون. وكان هشام رئيس تحريرها، وكنت أنا مدير التحرير. وظهر اسمي للمرة الأولى بمنصب مهني في «ترويسة» الجريدة

تأثرت «المحرر» بمسيرة وأخبار اليوم الصحافية في المصنوع، وبمسيرة صحافة الأحد البريطانية في الشكل. واستطاعت أن تلعب دوراً متميزاً باستقطاب مجموعة كبيرة من الأقسام الصحافية التي لعبت أدواراً بارزة قبية بعد في الصحافة والسياسة والأدب. وكان الشهيد غسان كنفاني قد عاد مؤثراً من الكويت، حيث كان يعمل مترجماً للرسم، إلى بيروت، وعمل في جريدة «الحرة»، التي كانت لسان حال حركة القوميين العرب. فدعوتني إلى الكتابة في «المحرر»، إلى جانب عدي في «الحرة». وكانت جبهة غسان الصحافية التي يستطيع أن يبدل أي مساهمة يقفاه في أي موضوع بديلاً. وهذا هو حلم أي مدير تحرير. وتوثقت علاقة غسان بـ «المحرر»، ونمت صداقة شخصية وأدبية بيني وبينه علشت حتى استشهاده عام ١٩٧٢

وأبانت لي «المحرر» أول فرصة لتغطية حدث صحافي من موقعه، وكانت ثورة ٨ آذار عام ١٩٦٣، وسقوط الانفصال في سورية، هي المهمة الأولى. تباع تلك المهنة الأثقل والأصغر وهي تغطية اضطرابات الأردن إثر سقوط حكومة سمير الرماحي وإزالة الجيش إلى شوارع القدس وبعث بعد اعلان ميثاق ١٧ نيسان عام ١٩٦٣، للوحدة الثلاثية بين مصر وسورية والعراق. وكانت المجلات الأولى والأخيرة في إلى القدس. وانفردت «المحرر» بين الصحف العربية كلها بوجود مراسل لها داخل الأردن وبتقارير مطولة عن وقائع تلك الأيام الشيرة. كان ذلك أول احتكاك مباشر لي مع الخطر الذي يواجه الصحافي وهو يحاول أن يكتب من قلب الأحداث، وأول تجربة حقيقية في مراسل متجول

ويحطون عام ١٩٦٤، قرر هشام أبو ظهر إصدار «المحرر» يونياً. في ذلك الوقت بالذات حصلت على منحة من «مؤسسة طومسون» البريطانية، وهي مؤسسة أشهاه لورد طومسون، صاحب جريدتي «النايس» و«سكوتسداين» شهيداً. وبعد من محطات التلفزيون والأذاعة، في كل من بريطانيا وكندا. وكانت مهمة المؤسسة تدرب صحافيين وإداعيين وتلفزيونيين من العالم الثالث في دور الاعلام



البريطانية. وكتبت أول صحفاتي عربي ينال هذه المنحة. وأقررتي ومؤسسة طوسود، بالسفر مجدداً إلى بريطانيا فقبلتها ورحبت عسان كثنائي لنزول رئاسة تحرير «المحرور» اليومية. وكان هناك مؤيداً أكثر مني لنزول للمشروع الجديد، يحكم التزامه السياسي والحركي، وأقرب مني إلى السياسة الناصرية التي عبرت عنها «المحرور» في حينه.

■ التكتل

سافرت في مطلع عام ١٩٦٤، إلى انكلترا لمدة ستة أشهر تقريباً. في كارديف عملت في جريدة «الوسترن ميل» المسائية التي يملكها طوسود لمدة ثلاثة أشهر، إلى جانب المحاضرات والاختبارات العملية التي كانت تلتها المؤسسة. وبعد عادت إلى لندن، حيث عملت لمدة شهر واحد في «الدليل» مروراً وشهر بعدها في «الصنداي تايمز». وعهدت في صيف عام ١٩٦٤ إلى بيروت مراسلاً لجريدة «الدليل» بمرور في الشرق الأوسط. ولم تستمر مراسلاتي أكثر من شهر قليلة لأن «الدليل» بمرور لم تكن تهتم بالمراسل السياسية التي كنت أبث بها، قدر اهتمامها بنوع معين من التغطية الإخبارية - الاجتماعية التي تهم القاري، البريطاني. وفشلت في مهمتي وتكرت. بالطبع، اتاحت لي هذه الفرصة الاطلاع على الصحافة البريطانية عن قرب، وتعلم الكثير من أساليبها وتقاليدها المهنية.

مع عودتي إلى بيروت في العام ١٩٦٤، عملت لبطعة أشهر محرراً للشؤون المصرية والثقافية في جريدة «المحرور»، التي كان يصدرها جورج نقاش صاحب جريدة «الأوربان»، وكان يرأس تحريرها «بابس» الجسر. وكان جورج نقاش خصم والذي السياسي والصحافي في أيام الانتداب الفرنسي، إنما كان رفيقه وزميله. وكانت المحادثات في ذلك العصر، خصوصيات حضارية فحسب في جورج نقاش، وكتبت العمري - الألكوسكوسكي الوحيد في مؤسسة أبابية فريكو فونية. وبقيت في الجريدة حتى نهاية عام ١٩٦٤.

في هذه المرحلة، عملت وكتبت في صف عدة ولقترات متقطعة، فألى الجانب عملي في «الجسر»، عملت كمحورر اقتصادي في «النهار»، وفي جريدة «السياسة» التي كان يصدرها عبدالله اليافي رئيس وزراء لبنان الأسبق، ورواس تحريرها أسعد المقدم، وفي «الاصبح العربي» التي كان يرأسها تحريرها ياسر هوراي. إلى جانب غيرها من المطبوعات التي غلبت عن الذائقة. وانتهت الرحلة الأولى من حياتي الصحافية بعرض جانبي من كامل مروءة في «الحياة».

■ الحياة

في ذلك الوقت، كان كامل مروءة صاحب «الحياة» يبحث في الاختيار بواسطة مجموعة من الأصقاء عارضاً على العمل معه. وكتبت أرفض لا اعتراض على خط «الحياة» السياسي في حينه. فقد كنت معارضاً لانفصال سورية عن مصر، وكان هو مؤيداً له، وكتبت ناصري النزعة والتوجه، وكان هو معارضاً لهذا التوجه.

وذمت مزيداً لقليلة كامل مروءة، لأنني كنت على خلاف كبير في الرأي السياسي معه. ففي تلك الأيام كنت محسوباً على من يستون بـ «التقديريين»، وكان هو محسوباً على من يستون بـ «الرجعيين». في

المفاهم الأولى اصطلمها. وفي اللقاء الثاني اختلفنا. وفي اللقاء الثالث اتفقا. وقلت عرض العمل في «الحياة»، على أن أتولى مسؤولية تحرير الشؤون العربية والدولية، مع كتابة تعليق يومي في الصفحة الأخيرة، غالباً ما كان في القضايا العالمية. واستمرت زلوة مع العالم يوماً من غير انقطاع حتى تركت «الحياة».

عملت مع كامل مروءة قرابة الستين وكان له فضل أساسي في تكوين شخصيتي الصحافية. فعندما تم الاتفاق على العمل معه، كان شرطي الأساسي، أن لا يتدخل إطلاقاً في أي شيء أكتبه، وبخاصة المقالات أو التعليقات الموقفة. والتمز كامل مروءة بهذا الشرط حتى أخيريم من حياته، ولم يحاول قط الاطلاع على أي مقالة في قبل دفعها إلى المطبعة. على الرغم من معرفتي، عن طريق الزملاء، بالعديد من الاعتراضات التي كانت تصله من قراء «الحياة» التقليديين على ما أكتبه. ولم يتقبل لي احتجاجاً واحداً. وعلمنا أن نتذكر أن «الحياة» في الستينات، كانت جريدة تقليدية وعاطفة للبعث السياسي إلى أبعاد الحدود، وكتبت شابة «غير تقليدية» وصحافياً يحمل أفكاراً وتقدمية، لا تتناسب مع هكذا جريدة.

وعلمني كامل مروءة معنى حرية السراي، وأنه من الممكن في الصحافة الوليدة، مهما كان اتجاهاها السياسي، أن تجد مجالاً لحرية التعبير بين محروبي. صبح أبدأ كنت تأخذ بين الاعتبار الخط العام للجزيرة، لكن، والشهادة اليوم للتاريخ، هذا كان الرجل - وقد أصبح في رحاب الله - يناقش في المقال بعد صدوره، وليس قبله. فعلمني كامل مروءة أن «الحياة» دوراً عاماً أيضاً في صقل مفاهيمي الصحافية (كان بعضي قسلي الخبز من التعلق بضرورة احترام مصدر خبر كان يقول لي: «وعند رواية ذلك وأهلك فيها» - ولكن حذر، وبما رأيت في الخبر، إلا أن أعم ما تعلمت من كامل مروءة، كان كيفية بناء جسر من الثقة للتعايش بين صاحب الجريدة أو رئيس التحرير وبين المحرور، من دون أن تنصفها كلياً معية أو تلحدتها حولاً مالية، فيصبح ولا المحرور للجزيرة ونجاحها بهجوم ولا صاحبها.

ولتاح لي كامل مروءة أيضاً فرصة نادرة في صحافة تلك الأيام. وهي فكرة الصحافي - المراسل المتجول. أي تغطية الحدث من مرقفه، لا من وراء الطاولة ولا عبر نشرات وكالات الأنباء. وكانت الحرب اللبنانية (١٩٦٥) في أوجها. فراسلي إلى فينتام، وكتبت لمعلأ أول صحافي عربي ذهب إلى فينتام لتغطية وقائمه يوماً، كأي مراسل حرب. وكانت «الحياة» أول جريدة عربية تقوم بمثل هذا العمل. وبقيت في فينتام ثلاثة أشهر أتمتها بحولة في بلدان حوب شرق آسيا، وكانت تجربة وائلة لم تتكرر. وعهدت إلى بيروت قبل اعتيال كامل مروءة بأسبوع واحد. وظلت «الحياة» - ومعها شقيقها بالانكليزية - دليل سنتر، تنشر تقارير وتعليقاتي عن فينتام وحزوب شرق آسيا بعد موت كامل مروءة بحوالي شهر، وكان شيئاً لم يتعبر.

لكنني فكرت فور اغتيال كامل مروءة في ١٦ أيار/نعم ١٩٦٦، بأن «الحياة» تغيرت، ولن تبقى «الحياة» التي عرضها وأحببتها واتصحت لي كل هذه الفرض، في غريب استقلالي بعد أربعين يوماً، وذعوت الخلق الضيق وشارع العلوغول إلى غير رجعة. لقد



كان شعوري بالامانة والحسنة الشخصية اصمق من ان افسره او يفهمه احد . وكانت نهاية المرحلة الثانية من حياتي الصحافية

■ التناهد

في جريدة «النهار» عملت عشر سنوات كاملة . وكنت اعرف غسان تويني أيضاً عن طريق صداقة والده لولدي . وكان هناك صداقة تاريخية معروفة جمعت «نهار» جبران تويني و«نيس» نجيب الريح في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن . وكان جيله اقرب الى جبلي من سعيد فرجة وجورج نقاش وكامل مروة . واذا كنت اول لقاء معه كان عام ١٩٥٥ ، وكان هو في اوج شبابه الصحافي والسياسي . كنت نلميذاً في مدرسة برمانا العالية ، ورئيساً للنادي الثقافي العربي فيها . وكنت معجباً كثيراً به . فدعوتني الى لقاء محاضرة في المدونة من فؤاد سليمان . وكان فؤاد سليمان كاتباً وشاعراً لبنانياً يكتب في «النهار» . وكنت من انصار كتاباته .

لذلك لم يكن مستغرباً ان يعرض عليّ غسان تويني الالتحاق بـ «النهار» بعد وفاة كامل مروة . وكانت قد تكونت في سمعة مهنية معطولة في الاحياء ، وكان غسان تويني يريد ان يبرز دور الاحياء العربي في الصحافة اللبنانية . وقد كتب «النهار» في ذلك الوقت جريدة لبنانية صرف ، فلما عرأ مبراً عربياً لبنانياً وصحافياً ذا ثقافة انكليزية مقابل معظم محرري «النهار» اللبنانيين ذوي الثقافة الفرنسية . وكانت هذه التواضعات تنطق عني . وبالطبع ، من غسان تويني كان شخصية مختلفة كلياً عن كامل مروة . كان داعياً لسياسة في السياسة ، مستمداً ، وكانت اهتمامات العربية صفة وعمدة ، وبعده والده الموروثية ، يعكس كامل مروة ، إلا ان كان رجلاً مثقفاً وقارناً جيداً صاحب عقل مستر وحاسة صحافية نادرة . يطرب للأفكار الجديدة والجرئة وينقل الشدة برحابة صدر واسعة ، ويصم بالمعاصرة الصحافية . الى جانب كونه صاحب أسلوب متميز في الاقترانية السياسية ، إلا ان أهم جانب صحافي فيه ، والذي بنى عليه نجاحه «النهار» في عصرها الذهبي بين عامي ١٩٦١ و١٩٧٠ ، هو ان ولقي ، قدرته على تقديمه لفرق صحافي من مختلف المواقف والزعماء والأفكار ليصب في خدمة جريدته . وهو قطعاً ابرع مما يشتهر به صحافي عوته ومن المؤلف انه من الصحافة وعام بالسياسة ، فخرته الصحافة ، ولم ترعه السياسة

في جريدة «النهار» ، بدأت محرراً في القسم الخارجي ، من دون ان يكون لي دور عملي . وكان عليّ ان أبحث عن دور في مؤسسة لبنانية صرف ، كل من فيها له قاعدة ، لا يسمح لأحد بالتنازل إليها . وس دون السلس «بمراكز القوى» الداخلية التي اشتهرت بها «النهار» ، اتعت غسان تويني بان يتبع في فرصة السفر الى مناطق الاضطراب في العالم العربي كمراسل متحول . وكان بشاكتي الرائي ان العمل الصحافي هو عمل فريق ، وليس عملاً فردياً ، وانه في الصحافة لا يحل شخص عمل الآخر ، فلذلك واسع لان يثبت الصحافي كفاءته من دون ان يلقي الآخر ، والكتابة الصحافية عملية ابداع واثبات للذات قبل كل شيء . وكانت الحرب بين اللكيزين والجمهوريين في اليس دائرة على أشدها . وكانت بداية دور كمراسل متحول لـ «النهار» في بقاع العالم العربي التي لم يكن أحد من محرري «النهار» يريد السفر إليها . وسافرت الى صنعاء عن طريق أسمره وجيبوتي والحديدة ، متسلحاً بجبرلي الفيتنامية . ومنذ صيف عام ١٩٦٦ حتى نهاية عام ١٩٧٠ ، قمت بنشاطية أحداث الحادي في اليمن الشمالي ، وحرب الاستقلال ضد بريطانيا في اليمن الجنوبي .

عن طريق اليمن بدأت اهتماماتي الخليجية . وكان الخليج منطقة مجهولة كلياً من العرب ، وكانت معلوماتهم عنه محدودة جداً . وبدأت بنقلية الجزيرة العربية كلها ، وكنت شاهداً على عدة أحداث تاريخية فيها . عشت انقلاب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على أخيه الشيخ شخبوط في أبو ظبي عام ١٩٦٦ . واتقلاب السلطان قابوس على أخيه وليد بن الحمور في مسقط عام ١٩٧٠ . وحضرت المفاوضات الاتحادية التي جرت في جلا في بريطانيا عن دول الخليج عبر جميع مراحلها ، وصدت نقليات كل مؤتمر ما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧١ . وصاحبت تطورات زوال المطالبة الإيرانية بالبحرين عام ١٩٧٠ ، واحتلال إيران لجزر الخليج الثلاث عام ١٩٧١ . وكنت أول صحافي عربي دخل سلطنة عُمان عام ١٩٧٠ ، بعد زيارتها التي دامت ٣٨ سنة . وراقبت حرب ظفار ، حيث عشت تطوراتها السياسية والعسكرية على امتداد الجزيرة العربية منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٦ .

منذ انضمامي إلى «النهار» ، وبلازمي لحظم التغيرات التاريخية التي عصفت في منطقة الجزيرة العربية والخليج وتصرني على أكثر شخصياتها ، ازدهت خبرة وثقافة . وكنت ما ان أعود من رحلة إلى

مجلدات «التناقد»

أصدرت «التناقد» مجلدات سنتها الأولى والثانية والثالثة ، كل على حدة .

■ المجلدات محدودة بمتة نسخة فقط لكل سنة
مجموعة من ١ الى ١٠٠

● تجليد نقاش آخر ومذهب

● ثمن المجلد الواحد ١٥٠ جنيه استرليني زائد اجور البريد .

**علمني غسان
تويني ان
العمل
الصحافي هو
عمل فريق
وليس عملاً
فردياً، فالمجال
واسع لأن
يشتب الصحافي
كفاءته من
دون ان يلقي
الآخر**

عن الحرب الأهلية التي تمزق أيرلندا الشمالية، والصراع الدامي الذي يبدو ان لا نهاية له بين الاكثية البروتستانتية والأقلية الكاثوليكية، وذلك في العام ١٩٦٨. هذا فضلاً عن تغطية الانقلاب العراقي ضد حكم الرئيس عبدالسلام عارف عام ١٩٦٨، ورحلات عدة إلى إثيوبيا والصومال والجنوب اليمني في حضرموت بين المكمل وسيوزون وشيوان بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٠.

مع مرور الوقت علمتني «النهار» ضرورة استنباط أفكار جديدة، تنبع في مجال التحرك والتقدم. وخرجت بفكرة «ملف النهار»، انطلاقاً من فكرة صحفية بسيطة، هي إصدار عمل صحفي إخباري موسع لا تسمح له الجريدة اليومية، بل يكون كالجريدة في متناول العدد الأكبر من القراء. وكانت الفكرة أن لا يكون الملف كتاباً أو مجلة، بلندرا ما يكون مرجعاً صحافياً، يعيش الأخبار، ويكمل الآراء، ويصارع الأحداث، وبالتالي يكون موعلاً للحفظ. وكان الهدف أن يصدر الملف ويصل إلى القارئ، إثر وقوع الحدث مباشرة. بل يمكن هناك توقيت لصدوره إلا وقوع الحدث واختياره. وأكثر ان ملف النهار الأول صدر في تشرين الأول عام ١٩٦٧، وكان موضوعه تنفي غيفارا، الذي كان قد قتل قبل أيام في بوليفيا. وصدروا هذا الملف ثلاث طبعات، بلغت ٢٠,٠٠٠ نسخة. وملف رقم قياسي في أي زمن. وكان «ملف النهار» يصدر بمعدل مرتين كل شهر. واستمر في الصدور حتى بداية الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦.

«ملف النهار» كان بداية بذرة فكرة تأسيس شركة خارج «النهار» المستقلة، تحولت لتصبح «أنفاس» خارج مجلة لا تسمح لها حادثة أي بصرية. كما كان بداية تحدي في عالم النشر، تناسلت ومكثرت النهار للخدمات الصحافية عام ١٩٧٠، وتولت إدارتها العامة. وكانت للخدمات الصحافية تنمى في السلسلة الأولى بالعلاقات العامة والطبوعات خاصة التي كان أهمها «النهار أرباب ويورتر» و «An-Nahar Arab Report» الذي كان أول نشرة من نوعها تصدر بالانكليزية في العالم العربي وتوزع من طريق الاشتراك فقط، تنشر أسبوعياً الأخبار والتعليقات والمعلومات الخاصة غير المتوفرة في أي مطبوعة أخرى إلى جانب سلسلة كتب دورية بالانكليزية من أحداث الشرق الأوسط. واستمرت هذه النشرة بالصدور أيضاً حتى العام ١٩٧٦، حيث دغمت بمطبوعة أخرى، ثم توقفت عن الصدور.

وإذا ما سلّطنا ما هي حصيلة عشر سنوات كلمة من العمل الصحافي في «النهار»، فقلوب بلا تردد، إن هذه السنوات العشر (١٩٦٦ - ١٩٧٦) كانت «المصر الذهبي» للصحافة العربية لا اللبنانية فقط، وإنما كنت من جيل المحظوظين الذين عاشوا هذا العصر وعملوا في صحافته. وإن «النهار» وفرت لي مجموعة تجارب وفرص صحافية ما كان يمكن ان تتوفر لي في مكان آخر، والفعل في ذلك يعود إلى رجل واحد فقط اسمه غسان توينى، مهما اختلفت فيها بعد المواقف المصيرية لكل منا، وفرت الحرب اللبنانية في طوائف السياسية بيتنا، وجرحت ظروف الحياة كلأنا إلى مهم متضادة. كان للعمل مع غسان توينى نكهة التحدي الذي لا يجارى. وكان لسفر معه متعة تطرق أطول من الرحلة نفسها، وتزخر في سجل الذكريات التي لا تنسى.

الحليخ أو البس، حتى يقع حدث دولي ما، فأجد نفسي في أول طائرة معاداة بيروت، لتفطنته، ولم يكن لي في «النهار» مكتب صنيبر أجلس إليه كنت أعود إليها بينا لهممة والهمة، كالتائر العريب قبل ان اتوجه إلى أي بقعة أخرى من العالم.

لم تكن مراكز الاضطراب في العالم العربي فقط من نصيبي، بل شمل بضع العالم الأخرى. كمراوس متحول ل «النهار» كنت أول عربي وصل إلى براغ واستطاع أن يدخل إليها بعد الغزو السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا في آب عام ١٩٦٨، وبعد القرار الرسمي الذي صدر بمنع الصحافيين. وكانت «النهار» الصحيفة الوحيدة من الشرق الأوسط كله التي شكلت جزءاً من الكتبية الصحافية العالمية التي رصدت تطورات القضية التشيكوسلوفاكية من كل زاوية ممكنة منذ اليوم الأول للغزو حتى انحصار اللد الإخباري بعد أسبوعين أكثر من خمسة عشر يوماً و «النهار» تحمل الرسالة تلو الرسالة مني، من دون ان أتترك مكاناً قريباً أو بعيداً من الأمانة التشيكية لم أزره. بالقطار وبالسيارة وبالطائرة وشياً حل القديم. وبعد ستة عاماً من الغزو السوفياتي، عدت إلى براغ مرة أخرى، لأشهد ذكرى مرور عام على غزو قوات حلف وارسو لتشيكوسلوفاكيا، والتطورات السياسية التي شابت

بعد يوم واحد من انقلاب الجيش العسكري في نيسان عام ١٩٧٧، كنت في أيتنا. وبعدت نفسي الصحافي العربي الوحيد بين ٣٠٠ صحافي، متوسط أعمارهم ٥٥ سنة، ومتوسط جرائدهم المئوية ٢٥، وكنت أصغرهم سناً وأقلهم خبرة، والوحيد الذي يكتب العربية الانكليزيون تعلموا خطوط البرق والتلغراف، ولغوصوا رقابة على كل الرسائل والتحركات الصحافية استطعت ان أتبع جوار الكس موريس مراسل حربية و«نايميز» الذي كان يتابع لغازة أيتنا إلى بيروت مع زوجته بأن يحمل لي رسائلتي إلى «النهار». وكانت بداية البحث في أيتنا، قابلت جورج باباندريو (والد اندراس باباندريو) رئيس الجيش السابق، التي تيسبت بالانقلاب العسكري، في سجنه، وركبت في طائرة شحن مع أحد أعضاء أقمعت مرتين من أيتنا، في طريقها إلى سلوفاكيا مغفل بمادرميكي البشري. فقد أصابها عطل وهي في الجو، فهاذت من حيث أتت، ووصلت سلة.

تغطية أحداث قبرص عبر نقلها بموثراتنا وانقلابها كانت من نصيبي لعدة سنوات. كذلك رومانيا، الدولة الوحيدة التي لم تشارك بقبول كبره من حلف وارسو في غزو تشيكوسلوفاكيا. كنت في بوخارست لتغطية زيارة ريشارد نيكسون في اب عام ١٩٦٩، التي اصيرت زيارة أول رئيس اميركي لبلد شيوعي منذ زيارة الرئيس فرانكلين روزفلت لياطفا قبل ربع قرن من ذلك الوقت، وبعدها لتغطية اجتماعات المؤتمر لعمارش للحزب الشيوعي الروماني، الذي اعتمره المراقبون الدوليون أنصار الجناح الحزب الشيوعي خلال ٢٥ سنة من توليه الحكم. وكنت أول من كتب في الصحافة العربية من داخل رومانيا عن حكم تشاوشيسكو وسياسته وعلاقاته الخارجية المختلفة.

من بوخارست إلى بلغارست، ومنها إلى لندنديري، مركز الاضطرابات التي اشتملت في ألباسترون لندندري كيت إلى «النهار»



الصحافة مهنة لا تتقني مع التأليف والإبداع. فهي بالوعة تلتهم كل المواهب الأدبية، وتطحن كل الامكانات الإبداعية

وحققت هذه الجاحات الصحفية الباهرة. وليس هناك صحيفة عربية استطاعت أن تستقطب على صفحاتها مجموعة من الأعلام الصحفية الشابة التي اشتهرت فيما بعد وليعت أدواراً مختلفة في الصحافة العربية في أوروبا.

وكثيراً ما كنت أسأل عند صدور «المشاعر»: لماذا والمثارة وليس «القبس»؟ لماذا لم نعمل هذه الجريدة اسم «القبس»، وهو اسم التمن به طوال حياتي، بل حلت اسم «المشاعر»، وهو اسم - يبدو للوهلة الأولى - أن لا علاقة به؟

الجواب يكاد يكون صعباً وسهلاً في آن واحد. إنه صعب، من حيث أنه يعني الانتفاء العاطفي والالتزام التزائي لاسم «القبس». وهو سهل، من حيث إنه يعني أن استمراره الاسم ليست هي القصد، بقدر ما هو القصد من استمراريته الانتفاء إلى تراث هذا الاسم ومعانيه.

لقد كانت الصعوبة تكمن في اتخاذ القرار الواقعي بأن «القبس» انتهت بوفاته نجيب الرئيس عام ١٩٥٢. وبذلك انتهى دورها الوطني والسياسي والمهني الذي أدته كإلزامها صاحبها أن تزييه بكل صدق وإمانة وشرف. و«القبس» التي أصدرها نجيب الرئيس في دمشق عام ١٩٢٨، والتي توقفت عن الصدور نهائياً عام ١٩٥٨ مع العدد الأخير من الصبح السورية في بداية عهد الوحدة السورية - المصرية، كانت بالدرجة الأولى جريدة رأي. وبهذا، لقد كانت جريدة انتحائية صاحبها التي اشتهرت بها، عندما كانت الجرائد انكماشاً لا إكثار أصحابها وشخصياتهم؛ وعندما كانت الجرائد هؤلاء الأشخاص من الانتداب ورس الاستقلال ومن الوحدة وأوطانها. وإذا كان لكل زمان دولته ورجلها، فكل زمان كذلك صحافته وصحافيوه. و«القبس» كانت استمراراً لـ «المقبس» التي كان يصدرها في مطلع هذا القرن محمد كرد علي، العلامة والمؤرخ ورئيس المجمع الفقري العربي؛ بالاشتراك مع شكري الصلي، أحد شهداء ٦ أيار ١٩١٤، والتي بدأ فيها نجيب الرئيس حياته الصحفية. ومن الممكن أن تكون «المشاعر» الصادرة في الربع الأخير من هذا القرن، استمراراً لـ «قبس» نجيب الرئيس بقدر ما هي استمرار لـ «منازل» الشيخ محمد رشيد رضا في أوروبا، و«منازل» بشير العوف في دمشق، و«منازل» كامل محمود الشرب في القدس. من الصعب أن تصدر «المشاعر» بعد ٢٥ سنة تماماً من غياب نجيب الرئيس.

نحن في العالم العربي لا نعرف كيف ومتى ننهي ألساننا. ولو عرف سيباستيوني متى يتقاعدون، وسكندري متى يرحلون، وكثيرون متى يتوقفون، لوفروا لنا أمة العرب أعظم بلا. هذا يسري على صحفنا وصحافيتنا. والظلال من هذا الانتعاش كان لا بد من اتخاذ القرار بأن إحياء اسم «القبس»، مجرد ارتباطي العاطفي به، لا معنى ولا مبرر له، وإن كرامة هذا الاسم تقضي الحفظ عليه في ملف التاريخ لنجيب الرئيس وسعد، إلى أن يحجى من يكتب تاريخ الصحافة السورية والفضال الوطني السوري في النصف الأول من هذا القرن، وكما يجب أن يكتب.

لذلك، أكدت في ترجمتي لـ «المنازل» في عددها الأول، بأن هذه الجريدة جديدة في كل شيء إلا في قيمها التي هي إرثها من ماضي

أهم ما خرجت به من «النهار» من ثورة من الأصناف والمزاج. تشكلت لي فيها خلال عقد كامل من الزمن. أسألهم كثيرة ولا تحصر. ربما بعضهم لا يريد أن يعتري من الأصناف، والبعض الآخر لا يريد أن يُخرج بصداقتي. وكانت نهاية المرحلة الثالثة من حياتي الصحفية.

■ **المقارء**

مع بداية الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥، بدأت أفكر بالخروج من لبنان. وأخذ حلم إصدار جريدة عربية من لندن يراوني. أما لماذا لندن، وليس باريس أو روما مثلاً، فنقول إنها عرض مصادفة جغرافية. فلما أعرف لندن بحكم غلفتي، كتحريض إحدى جامعاتها، وتدريب في صحفها، وأجيد لغتها؛ وليس هناك سبب آخر. ربما لو كنت أجد الفرنسية أو كنت من ذوي اللغة الفرنسية، لوجدت نفسي في باريس. ولعل كلفت شركة «إيكونوميست التيليجراف» وUnit Economist التابعة لجامعة إكسبريس لإعداد دراسة عن جدي والمختصة بأبحاث وإدراست الأسلوب بإعداد دراسة عن جدي إصدار جريدة يومية بالعربية من لندن. وفطرت في حيتي بمبلغ كبير من المال لئلا هذه الدراسة

أهمي التي تمكنت من إنتاج مجموعة من الشباب الصحفيين بدخلوا هذه المغامرة معي، على أساس أنه أول مشروع شراكة يتعاون بين العاملين فيها في الصحافة العربية، وأول مشروع فني في الصحافة العربية، بمعنى أن فيه السوري واللبناني والفلسطيني والمصري والسعودي وغيره. يصدر جريدة عربية بوقية اللغة، لا جريدة لغوية، سورية أو لبنانية أو فلسطينية أو في أوطان عام ١٩٧٦، أتينا إلى لندن مسبقاً بكل ما كان لدينا من أموال بعيدة في بيروت، وما تلقينا من توصيات، وما إحصاءات، وما دراسة والإيكونوميست الدينية. واليوم بعد مرور حوالي ١٥ سنة على هذه التجربة، يتكشف المرء كم كانت الدراسة مليئة بالفتن والأخطاء، وكما كان المال الذي معنا لحلياً بل ناهتاً. وكان معظمنا في ذلك الوقت في العشرينات والثلاثينات من العمر، وكنت أكبرهم سناً. وبدلنا الإعداد لإصدار «المشاعر».

وصدرت «المشاعر» في ٢٨ تشرين الأول عام ١٩٧٧، وكانت أول جريدة عربية أسبوعية تصدر من أوروبا، وسط صرخاء مهينة مقفرة. بمعنى أنه لا يمكن هناك في لندن أن تكون مراكز لصف الأحرف وتضليلها، كما هو اليوم بالمشاعر، ولا مؤسسات لتوزيع الصحف وتوزيعها كما هو اليوم أيضاً بالمشاعر، ولا شركات للإعلان عنها جريدة عربية، ولا غيرها من المراكز المهمة التي تعتبرها اليوم من البصيريات في الحياة الصحفية العربية في لندن.

وصدرت «المشاعر» بصحبيح لم يتوفر لأي صحيفة عربية حتى الآن ولا كان معظمنا من خريجي مدرسة الصحافة اللبنانية الليبرالية، أردنا ممارسة قدر كبير من الحرية في الكتابة ومن الموضوعية في الخبر والتعليق، وعلماً على اشتداد سنة كاملة مدبر أخبار الصحافة والمثارة وكالات الأنباء المالية التي كانت تتناقل عنا باستمرار غيظنا الصحفية وأخبارنا الخاصة. وكل تواضع استطاع الادعاء بأنه ليس هناك صحيفة عربية علقت مثل هذا العمر للقصير،



■ «الاستقبال»

وورثت بعد إقبال (المشار إليه كلفهنا من ديون وهموم وأعصاب،
كان عليّ أن أعمل). لقد توهت طرول حياتي المهنية أن اضطر نفسي
دائماً، إذ لم يكن هناك من يشتغلني. فجلجت إلى بحري في الشعر،
والمعمل في النشر التجاري: كتباً وطلويعات وسياحية ونشرات
إعلامية، على أن أجنف مستمتع المليون التي وقعت في يدي مع اهتمامي
مفترقة كبيرة من الزمن، حققت فيها نجاحاً لا بأس به في هذا المجال
روائي خيرة في صناعة الكتاب ولحن وأصول العلاقات الإعلامية. في
هذه المرحلة، كانت علة المستقبل - تصدر في باريس، بغرض عليّ
والصديق والزميل في غزوري الكتابة فيها - جذبات بكثافة مقال
أسبوعي في المستقبل، كزواجية ثابتة يعزّان (تألفت من طورت الحديقة
في معظم الأحيان قصداً خليجية، وعبرت عن بعض تطورات الحديقة
العمري المستجدة، كما تابعت سري واصطالي وإهتماماتي في منطقة
الحليج كلها، وقد انتمس هذا أسبوعياً في زائري في "المستقبل".
استمرمت كتاباتي فيها من عام 1979 إلى عام 1981، إلا أنني منذ
يناير عام 1984 أقدم أقل من مساهماتي في "المستقبل"، حيث بدأنا نحاش
حرية الكتابة بضمير أكثر من مجرد مروت، وقولت أنه قد حان
لربحت لأتوقف عن الكتابة في "المستقبل" قبل أن تتوقف هي عن
الظهور. وهذا ما حصل فعلاً. وأبهرت أن الحيلة المهنية لكل منا هنا
مواصل أن ندمعها بتواصل رمي، ولكن بتواصل نفسه بقررها واقع
الظروف. فكرة تسهرت حينئذها، ثم ثل منها. عمل ينصب
على الحيلة بضمير عليّ على عملهم جراً... وكانت نهاية
الحيلة الخاصة في حياي لمهنية.

■ الأحلام

كثيراً ما أسأل عن دوافع الخفية للجهة إلى لندن والدخول في مغامرة صحفية عربية بعيداً عن العلم العربي. وأملك جواباً واحداً. ألاّ أنني قد اخترت جهة عربية عندما كنت في البحرين، كما افترض الإسرائيلي لبيانات قد دخل أسبوعه الثاني في منتصف حزيران عام ١٩٨١. وكنت قد التفت بزييل بحريني شاب انتخب الصحافة منذ قسرة قصير وعمل على كتاب مثاليات وطموحات وأحلام تلك المهنة. لقد اعتديت على كنت أشل فرداً من أفراد ذلك الخيل الصحافي المغمض الذي عاش الصحافة، وداخها في عزاء في تجارها كما قال. وكنت زيارته في الحظك الثابت السقوط العربي. جده لاسيما بسببانه عن سوء حال الصحافة العربية، وقد بدأت هذه التيارات تتسائل إلى قلبه ويظهر الخلل كلاله، وهويهاه للتفزيون يتقلد من الحرب ساعة بعد ساعة وبواسطة وكالات الأنباء ويقترأ ما يكتبه المرسلون الأجانب والمسلمون في بيروت عن الحرب اسرائيل في لبنان والصحافيون الأوروبي والأمريكية، من دون أن تقلأ عربياً واحداً أو يشاهد صورة عربية واحدة.

قلت له : وإن حال الصحافة العربية سيئ ، لأن الواقع السياسي العربي سيئ . والصحافة لا يمكن أن تعيش خارج الإطار السياسي الذي يحيط بها . فإذا أحاطت الحرية بالصحافة العربية فهي صحافة حرة . وإذا أحاطت بالديمقراطية فهي صحافة ديمقراطية . وإذا

والقبس» للشرف. وأما أليست بديلاً عن صحافة الوطن العربي. بل استمرار لها وامتداد أثرها، تؤتي رسالة مهنية تخفف قليلاً ولو أنها متممة لها. لقد كنت أعني، تحديداً، أن الدلائل كما نعلم با وزيدها، هي امتداد للنصائح السورية - الليبية، عندما كانت الصحافة السورية - اللبنانية جسماً وروحاً في الربع الثاني من هذا القرن. وكنت أعني، تحديداً، أن الدلائل كما نعلم با وزيدها، وبحكم انتهاء أكثر العاملين فيها إلى هذين البلدين، هي نتاجات جديده لقيم وألف بناءة في شخص يوسف الميسر. والأيام في شخص نضوح بايل. وفي العرب في شخص معروف الأرنؤوط صاحب «سيد قرش». والتسرع في شخص وديع صيدلي. والمضغضك المبكي في شخص حمادة.

لأس هذا فقط. كنت أحي أن «المثارة» كما تطلع إليها ونصورها، هي أيضاً جزء من تراث جبران تربي في «الأحرار» و«الهارب»، وهي الذين تصوّل في «سيرة»، ويوسف وأسعد عقل في «البريق»، وميشال زكوري في «المعرض»، وميشال أبو شهلا في «الجوهرة»، وكامل حمزة في «الحيلة»، وسعيد فرجة في «الصداقة»، كما هي جزء من تماثل الحضارات المصطف للسانية والسورية التي حررها شباب المثارة خلال حياتهم المنيّة.

للك، فإن الناس لا تنصبر في فراغ تاريخي، ولا في أرض يور، ولا من جلود مسملة. هي في هذا المص، جريدة عاطفة وسريفة وشرائية وصبرية ملتزمة: حافظة في أنيتها التاريخي، وتاريخية في استحضارها التاريخي، وملتزمة في حقبة الميمنة. وكوكبة اللندنيون في لندن، لا يجعلها أبعد عن الوطن العربي ومهمه أبداً من الصديق الصادقة في عواصم هذا الوطن، بل تقربها من حكمة العمل لغيرها. أبعد وأكثر شيء في أقدار على الحفظ. لقد تثير الزمان، ليجرفني من تنعيم.

ووجهت «التجارة» منذ أمدائها الأولى غضب الأنظمة العربية. كنا نهوسون باستغلالنا وهما المجرّد للصفحة الذي مارسناه في عصر الميمنية الصحفية الذهبي في لبنان، وأردنا استعانة في بلد الحريات الصحفية، في بريطانيا. وبدأت الصحافة العربية تحت العرائل في وجهتنا وكان أسهلها الرقابة والصفحة والتأخير. إلى جانب الحصول على الاعتراف والاعتراف، إلى أن جاء يوم يخبر فيه رأس المال المتواضع بشتت الموارد. وبدأت الديون تنهش «التجارة». ووجدنا أنفسنا أمام أحد أمرين: إما أن نبيع الشركة بخسارها لأحد التمويل، أو نوجد - أو نثقل الدكان. واختارنا الحل الثاني. لقد فضلنا إبقائها شرب، وأن يتوجه كل من مثالي إلى لبنان، وما كان شباب «التجارة» يعملون في مؤسسات صحفية في لبنان وفي غيرها من الأوطان.

قبل صدور المذكرة بفترة كافية، كنت أصدر مطبوعة أسبوعية بالإنجليزية باسم *Arabia And The Gulf* وأرأيت أني لدي علم، متخصص في شؤون الخليج والجزيرة العربية، تودع عن طريق الاشتراك. وكانت أتجيب المطبوعات من نوعها، ومرجة تصاديا إلى حد كبير. وعند إقرار المذكرة في صيف عام ١٩٧٨، اضطررت إلى إيقافها لتسديد جزء من الديون المترتبة عليا. وكانت نهاية المرحلة الرابعة من حياتي المهنية.



كان خيار الصحافة العربية المهاجرة بين ان تموت جوعاً أو ان تموت شعباً. فاختارت أن تموت شعباً

أحاط بها الطغيان فهي صحافة خاتمة. وإذا أحاط بها الأرباب فهي صحافة جبانة. وإذا أحاط بها السوء فهي صحافة سيئة.

ويبدو أن اجابتي لم تنفع زميلي البحريني الشاب، فسألني بمزيد من الهلعة، وكأنه يريد أن يترجع الشك الذي بدأ يتسرب إلى أحلامه: ولكنكم أنتم الصحافيين العرب الذين هاجرتم إلى أوروبا، ألم تفعلوا ذلك طلياً للحرية، وتحققاً لحلم كان قد أصبح صعب التحقيق في لبنان في ظل الحرب الأهلية ومارساتها؟

قلت له، من دون أن أحاول التخفيف من قبحته: «هناجر بعضنا، إن لم يكن أكثرنا، وهم يحملون حلاً وطموحاً وهدماً والحلم: أن تصعد صحافة عربية حرة في أوروبا بعيدة عن الضغوط السياسية والأحقاد الخزية والأرباب السلطوي.

والطموح: أن تصعد صحافة عربية فيها شيء من نفس الرواد الأوائل من الذين هاجروا من بلدانهم في المشرق العربي إلى مصر وأوروبا في نهاية القرن التاسع عشر - مطلع القرن العشرين، كرشيد رضا وشكيل أرسلان وعبد عبيد وأحمد فارس والشديقي ورفاعة الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي، وعشرات غيرهم ممن هم أقل شهرة تاريخية. بل إن يكون فيها شيء من استمراريتهم، ومحاولة تقليدهم في أحيان كثيرة.

والوهم: أن تصعد صحافة عربية في أوروبا بأسلوب متشيز وصانق، وبحرفية مهينة لا تستهين بذكاء القارئ، ولا تستخف بعقله، وبحرية تحرم من ممارستها في بلادها الأصلية.

وماداً كانت النتيجة؟ تحقق الحلم أحياناً صحافة عربية في أوروبا من غير عربية ومع كل القصور التقنيكية التي تمارس في العالم العربي. وفشل الطموح، لأن الصحافة العربية لم تكن استمرارية تاريخياً للرواد الأوائل من البهويين الذين كانوا رواداً للحرية. وإنايا الوهم: لأن الصحافة العربية التي صدرت في أوروبا، لم تكن أفضل حالاً من الصحافة التي تصدر في أي بلد عربي. كل ما في الأمر أنها أصبحت تحرر من عواصم الأوروبية وتستعين إلى العالم العربي بشروط وأسعار العالم العربي نفسه.

وكان زميلي البحريني لم يفتن من اجابتي، فكرر ملحاً السؤال: لكن لماذا؟ كيف؟

أجبت، عواشاً التخفيف من وقع صدماتي المتلاحقة: «واسمح لي أن أعود إلى الوهم الذي تبخر. كان الوهم بأن مجرد صدور صحافة عربية في أوروبا سيخبر لها حرية غير موجودة في بلادها وحالة غير متوفرة هناك. إلا أنه انضح أن هذه الصحافة إذا أرادت أن تصل إلى العالم العربي فلا بد من أن تتعامل مع أجهزة الإعلام العربية، وأن تخضع للعقائس العربية السائدة والتي هي عند كل ما هو حرية أو نقد أو رأي مستقل غير ملبس. فالأنظمة العربية إن لم تكن معها، فانت ضدنا. إن أي وزير إعلام عربي يستطيع أن يمتصك لهذا التصنيف الجليل ذي اللونين الأسود والأبيض.

ولاً أنها لم تكن المشكلة الوحيدة التي واجهت الصحافة العربية في أوروبا. فالأنظمة لم تعد تكفي منها أن تكون حيادية أو موضوعية أو حتى تشجيعية في موقفها. بل طالبت وتطالب بأن تكون منازعة الحياداً كاملاً إلى وجهة نظرهما. وإذا أخذت بعين الاعتبار أن هناك

ثلاثاً وعشرين وجهة نظر عربية مختلفة، أدركت صعوبة هذا الأمر، وكم من معجزة تحتاجها لإجرايح هذا الموقف، فكان سيف الترهيب يسلط عندما يقشل سيف الترتيب.

ولذلك، كانت الصحافة العربية المهاجرة أمام خيارين: إما أن تُرضي كل الأنظمة العربية، وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً، وإما أن تصيح إدارة سياسية اعلامية في يد هذا النظام أو ذاك، وهذا أمر محتمل وخيار مفتوح. يبقى خيار ثالث وهو أن تصعد بحرية نسبية معقولة، وإن تخارس مصداقية مهينة محتملة، وهذا أمر شاق ومضني ومرفوض من أكثر الأنظمة. لذلك، لم يكن أمام الصحافة العربية المهاجرة إلا أن تموت جوعاً. ولأن حب البقاء هو أقوى غرائز الإنسان، فقد قررت صحافتنا أن تموت شعباً.

أكمشت جوابي وتطلعت في زميلي الشاب عواشاً أن أخفف عليه من غلوائه اجابتي، عندما يادري بشيء من الغلغ بالأسؤال: لكن ما البديل؟

أجبت، بصوت أروك أن يكون هماً: «الحرية. لا يمكن انقاذ الصحافة العربية إلا بعودة الحرية إليها. لا حرية - لا صحافة. صحيح أن هناك صحفاً جيدة وأنيقة، وأقلاماً تكتب دون أن تخرج أو تلحق. لكن كل هذا لا يكفي. لتسوق الكذب الاعلامي. ليس هناك أكثر من تعريف واحد للحرية الصحافية: الحرية.

«هي الحرية، مهباً أدخل عليها من مصطلحات كاسرية المسؤولة أو المضيق أو المقتة أو التنبيه. كل هذه المصطلحات تسامع في وأد الحرية، فنوصلنا إلى ما وصلنا إليه. لذلك يجب أن يتوقف الكذب على الحرية باسم الحرية. يجب الاعلان جهرأناً أن لا حرية للإعلام العربي إلا من خلال مقاييس كل نظام لها. وليس هناك فضل لنظام عربي على آخر في مفهومه للحرية. الكل يمتازون بتفسير واحد لحدود القوانين الصحافية والممارسة الاعلامية. في العالم العربي لا تصدق أنه يمكن للصحافة إلا أن تكون ابنة بيتها. فكما كانوا يؤل عليكم، وكما تكن انظمتكم تكن صحافتكم».

وما زال زميلي البحريني يعمل في الصحافة.

■ الأدب

بدأت حياتي الكتابية شاعراً، وبدأت حياتي المهنية محرراً ثقافياً. بين الدراسة وأول خطوة غصوني في الصحافة كانت الثقافة. أياهم الدراسة في انكلترا، كنت أبعت رسائل عن الحياة الأدبية في بريطانيا وراجعت لدواوين من الشعر الانكليزي صادرة حديثاً إلى مجلة «شعر» و«الأدب». كان ذلك بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠. كنت متابعاً جيداً للقضايا الأدبية وعاشقاً كبيراً للشعر. استهوتني صحة عدد كبير من الشعراء الذين قادني الظروف للالتقاء بهم في مراحل مختلفة من بداياتي. في بيروت، عرفت يوسف الحلال وجبرا ابراهيم جبرا وعلي الجندبي وعبد المداوي وأسي الحاج وشوقي أبو شقرا وغيرهم. وفي كسروان، حيث كنت أدرس، عرفت توفيق صايغ ولعليل حاوي وأخسرين. هذا التشتت بالشعر والشعراء جعلني على اطلاع كشاب ناشئ، على مختلف مراحل نشوء حركة الشعر العربي الحديث، إلى جانب الحركات الشعرية الجديدة في انكلترا.

وعندما بدأت حياتي الصحافية في لبنان، كنت أقوم بتحرير الصفحات الثقافية في أكثر الصحف التي دخلتها، إلى جانب عملي في الصحافة السياسية، التي كانت مصدر رزقي الأساسي. وكنت شاباً سيئاً، في إيمان المد الناصري وحركات القومية والوحدة العربية. وبالتالي، كانت الصحافة السياسية تعبيراً مباشراً عن طموحاتنا وأفكارنا في تلك الفترة. ولكن صلاتي وصداقاتي، التي كانت كلها من داخل الوسط الأدبي، تربطت ارتباطاً عضواً بحياتي الاجتماعية. فسمعت أكثر من كان يتعامل بالأدب في بيروت في الستينات، وعشت في مجالس الشعر والشعراء، وشاركت في كل الندوات والتجمعات، التي كانت تبهت وتنظر وتناقش قضية الشعر العربي الحديث باتجاهاته المتعددة، ونخست معارك أدبية على صفحات الجرائد والمجلات. فقد كنت أعبر نفسي حينذاك جزءاً من الشان الثقافي والشعري تحديداً.

وصدرت في أول مجموعة شعرية بعنوان «موت الآخرين» عام ١٩٦٢، قدم لها جبرا إبراهيم جبرا، وصدرت في دراسات نقدية عام ١٩٦٦، بعنوان «الفترة الحرجة»، وكتاب يرصد الحركة الأدبية والكتاب الجديد بين عام ١٩٦١ و١٩٦٥. كما صدرت في مجموعة شعرية أخرى بعنوان «البحث عن توفيق صايغ» عام ١٩٧٥، ولكتابا احترقا في المطبعة عند بداية الحرب اللبنانية، ولم توزع. هذا، وقد شاركت بتحرير مجلة «دخول» مع توفيق صايغ في بدايتها، كما شاركت بتحرير مجلة «شعر» مع يوسف الخال في نهايتها.

استمت حياتي المهنية بنوع من الارتداذية. العمل الصحافي النقي كان شأناً سياسياً متعدد الأطراف ومصدر عيشي، والعمل الثقافي الذي كان نشاطاً وشغفاً في شؤون الشعر والأدب، كان طموحي أن يكون الشعر والثقافة هما مداراتي الأساسيان. لكن عند النظر إلى الوراء بعد خبرة ثلاثين سنة من الممارسة المهنية، يتضح لي، أن ذلك لم يكن ممكناً، لأن الصحافة مهمة لا تغني عن التأليف والإبداع والمزاج. فهي بالوعة تلتهم كل المواهب، وتظعن كل الامكانيات الإبداعية، وتقتن كل الكفاءات الأدبية، لتصب في البهالة في صحيفة تتجدد يوماً بعد يوم، أو مجلة تصدر أسبوعاً بعد أسبوع. وأعل السبب الأهم أنني كنت صحافياً بالم والم الرواية والقطرة، أكثر مما كنت شاعراً مبدعاً يملك أدوات الشعر وعذته أو غرور الشاعر وترجيته. لذلك، ما زلت صحافياً محارماً، بينما صرت شاعراً سابقاً. إنني أبقى الشعر والأدب حيي الأول، وربما الأخير.

■ النشر

اعتدت عند كل متصفح من مراحل حياتي الصحافية، أن أتف وأسال: ماذا بعد؟ وما كنت لا أجد إلا مهمة الكتابة والقراءة، ولا طموح لي خارجها، كان علي أن أخلق كمناف الحيز الشافر، وأحسر نفسي فيه. كانت بيروت عاصمة الكتاب العربي، تحرق كل يوم وساحة الحرية للشامة في الوطن العربي تقتلص بالطراد. ولم يعد هناك للكتاب العربي وجود، كما أن عافة القراءة، قد بدأت بالانقراض. سنوات مرت ولا أذكر أن كتأباً عربياً واحداً حديثاً قد صدر وأثار أو لفت الأنظار. وكما حملت قبل عشر سنوات بأول جريدة عربية تصدر

من أوروبا، تجدد الحلم بمغامرة جديدة؛ إنشاء أول دار نشر عربية من لندن، تصدر الكتاب العربي من أوروبا. وكان ممكناً اقتحام هذه المغامرة اقتصادياً، فهي لا تحتاج إلى رسلة مالية كبيرة، في حين أن أي مشروع صحافي جديد يحتاج إلى اللالين.

كيف تبدأ وأين تملك المثلون والكتاب والمواضع؟ وجهنا إلى مجموعة كبيرة من الكتاب والأدباء والصحافيين والمثقفين والسياسيين على امتداد ساحة الوطن العربي بيأتنا نشرته في الصحف، دعواتهم فيه إلى التعاون معنا في إطلاق مشروع دار نشر عربية من لندن. وقلنا إن هدفنا هو قيام دار نشر عربية تعنى بإبداع الكتاب وحرية الكتاب معاً، في جو من حرية التعبير عن الرأي، مهما كانت اتجاهاته السياسية أو ميوله العقائدية. فالوطن العربي في أزمة يعاني منها كل من يمسك قلماً أو يرفع صوتاً أو يطلق رأياً، لا تحتاج إلى أكثر من التذكير بأنها أزمة حرية الفكر والرأي، والاحتجاج والتحليل والتعليق يجمع صورها وأشكالها. وإن الأمل أن تصبح الكاب التي تصفها على مر السنوات متابع ومراجع لكل الأقلام والأصوات.

وعلى الرغم من أنني لست من محترفي التفاوض. فإن ما حصل كان مدعشاً ومفاجئاً. لقد تلتقت خلال ثلاثة أشهر ما يزيد عن ٨٠ عضوية من ٨٠ كاتباً أو أفرهم، وفي مواضيع تتراوح ما بين السياسة والتاريخ والمكتبات والذاتيات والأدب والشعر. وشكلت هذه المخطوطات بداية برنامجنا الشعري. وكانت كلمة السحري الحرية. وكنت قد قررت الالتزام كنشر بأربع قواعد:

الأولى: أن لا نشر إلا لكتاب عرب وفي مواضيع عربية، وعدم الدخول في ترجمة أو نشر أي كتاب أجنبي، مهما كانت أهميته. والسبب الأساسي هو إتاحة فرص النشر لأكثر عدد ممكن من الكتاب العرب. قلنا لست لست هذه الأجنبي، وعلى قناعة تامة بأنه لو أتيح للكتاب العربي حرية الكتابة والبحث بالشكل الذي يتاح للكتاب الغربي، وخاصة في مواضيع بلاده، لقدم إنتاجاً بلوق بأهميته نتاج أي كاتب أجنبي. ودعم قرارتي عدم التعاطي بالترعة، إلا أن هناك مجموعة من الكتاب العرب، الذين يعيشون في الخارج، ولا يكتوبون العربية. قممت بتشجيعهم على الكتابة باللغة التي يريدونها، على أن تقوم نحن كنشرهم بترجمتها.

الثانية: عدم التدخل كنشرين في موضوع النص المقدم إلينا. فما إن نقله أو نرفضه. أي أن لا تليس أي نوع من الرقابة على الكتاب. فالرفض أو النشر يخضع لجودة النص وأهمية الموضوع ومدى اهتمامنا به وقدرتنا برنامجنا الشعري لسة معينة على استيعابه.

الثالثة: الاهتمام بشكل الكتاب ورفع مستواه الإخراجي إلى مصاف الكتب الأوروبية والأمريكية. فمن المأخذ على الكتاب العربي أنه كتاب مهلهل الشكل، الورق يضع الحرف عليه بالأخطاء المطبعية وهزيل التجليد. فأصدرنا كتاباً بجملة فنياً بغلاف صلب مع قميص خارجي. واستمعنا عن طريق الشكل الخارجي وحده أن نوصل الكتاب العربي إلى مكتبات بريطانيا وأوروبا كانت ترفض من قبل استقبال الكتاب العربي.

الرابعة: اتبعنا أسلوب الناشرين البريطانيين بإزالة كتبنا إلى



كل تقيدها. انتهالت عليها الكتابات من كل بلد وزاوية وقطر على امتداد العالم العربي، من شرقه إلى مغربه ومن صحرائه إلى بحره. كانت الكلمة السحرية التي جذبت الكاتب، كما شدت القارئ، هي قدرتها على عارسة الحرية من على صفحاته «النقده». واليوم فإن إحدى مشاكل الناقد أن لديها مادة صالحة للنشر تكفي، بلا مبالغة، لإصدار ٣٠٠ عددًا على الأقل. وبالتالي لا خوف من نقص الأبداع في العالم العربي.

المقابلة للمحنة الأخرى لنا وجدنا الناقد وقد قفّر توزيعها من ٣٠٠٠ عدد إلى ٥٠٠٠ عدد بعد المبد الحاسن وإلى ٧٠٠٠ عدد بعد العدد العاشر، ثم تم أصبح لاحقاً ٨٠٠٠ نسخة، وهو الحد الاقتصادي الأعلى الذي تستطيع أن تصل إليه. هذا هو الرض من الناقد لا تدخل إلا إلى سنة أقطار عربية فقط من أصل ٢٣ بلداً. و«النقده» لا تسعى إلى الانتشار بقدر ما تسعى إلى التواجد في الأقطار العربية. فالتوزيع الواسع عملية خاسرة بالنسبة إليها، لأن «النقده» لا تحصل أحياناً تجارياً. وبالتالي، فإن الاشتراك السنوي هو دعمها الأساسية، وبالتالي، فنحن نسعى إلى زيادة الاشتراك أكثر من زيادة التوزيع. وطموحنا أن يصل مشتركونا من المثالث إلى الآلاف خلال السنوات المقبلة. وإذا شئت أن أخصر سبيلنا نجاح الناقد فهو يكمن في قدرتها على نشر ما لا يجز غيرها على نشره، لأنها تتيح لكل المراهب أن تزدهر وتفيد من دون قوابل جملها أو أفكار مسبقة أو مواقف جملتها من قضايا مطروحة. فهي لا تتدخل في عملية الأبداع إطلاقاً. إلى جانب اهتمامها بقضايا الرفاهية على الكتابة والنشر والإعلام. إن «النقده» تهتم للكاتب عال أن يكتب ما يريد، وبالأسلوب الذي يريد من دون أي توجيه، وهو أبسط ما حملت به عندما فكرت بإصدارها.

■ الكشكول

كما فكرت في إصدار الناقد كمجلة ثقافية تتحدث عن الكتاب وترجع له، واعتبرت إصدارها عملاً متمماً لعملية دار النشر. كذلك فكرنا بضرورة فتح مكتبة والكشكول لعرض الكتاب وبيعه، وبذلك يتكامل العمل النشرى: دار النشر الكتب ومجلة ثقافية ومكتبة. وهكذا وُلدت «الكشكول» في نيسان عام ١٩٨٩، كمكتبة في أساسي من أحياء غرب لندن التجاري وهو فليتشربريدج حيث كل البيوت التجارية الهامة والكثافة العربية. و«الكشكول» مكتبة تحتوي حتى الآن على حوالي ٢٠٠٠٠ عنوان. فتجد فيها، ومحت سبب واحد، كل كتاب أساسي صادر في العالم العربي، من صنعاء إلى الرياض إلى بغداد إلى دمشق، ناهيك عن المغرب العربي والقاهرة وبيروت. وتجد فيها كل كتاب صادر بالانكليزية عن العالم العربي والشرق الأوسط من بريطانيا أو الولايات المتحدة. وهذا ما يميزها عن غيرها من المكتبات التجارية في لندن. وفي اعتقادي أن لندن، والقارئان العربي والانكليزي للتواجدان فيها بحاجة إلى هكذا مكتبة. وطموحي أن تصبح «الكشكول» نواة نشاطات ثقافية متعددة هدفها الجمع بين الكاتب والقارئ. ولكنا في البداية مغامرة تجارية قد تريح أو تحسر. وهي ليست أول مغامرة أخوضها، وإن تكون آخرها.

الأسواق بشكل موسمي أي أن لا تنزل إلى السوق كتاباً واحداً، بل مجموعة كتب دفعة واحدة، على أساس أربعة مواسم في السنة. كتب الصيف وكتب الخريف وكتب الشتاء وكتب الربيع. والفكرة أن إززال كتاب واحد يبدو ضعيفاً، مهما كان الكتاب هاماً. في حين أن إززال حوالي عشرة كتب أو يزيد مع بعضها البعض دفعة واحدة يجعل تسويقها أسهل، حيث يستدل كل كتاب كتاباً آخر. فنعلم بأن قارئه ليشترى كتاباً معيناً، سيقره كتاب آخر لم يكن في أصله يشتريه، وهكذا.

■ الناقد

فكرة إصدار الناقد كانت جزءاً من هواجس الثقافة، التي كانت وما زالت تعيش في داخلي، والحين المزمع إلى عوالم الشعر والأدب، لا سيما بعد انقطاعي عن الكتابة في الصحافة السياسية بعدما ضاقت السابرة. لكن الدافع الأساسي وراء دعوتي في هذه المغامرة الجنونية والحاسرة سلفاً، هو أنني بعد أن غشت غمار النشر بدأ والحوان الثقافي يصططع في داخلي إلى جانب والحوان السياسي، الذي هو لنا أصلاً، حتى انتصرت الثقافة في محاولة دمج السياسة معها في إطار عريض تلمه والناقد اليوم.

ولكن المحافز العمل الذي جعلني أقرر إلى هذه المغامرة، هو أنه خلال سنتين من نشر الكتب أحرزنا تراكباً عترياً من التعاون وانتشاراً لا بأس به. واتضح لي - ولم يكن اكتشافاً - أن الصحافة العربية لا تقرأ الكتاب العربي، وإن كل ما ينشر عن أي كتاب هو غالباً عن إصداره وعنوانه وموضوعه ومدلته وعدد صفحاته في صفحة إخبارية، تقريرية، ليس فيها حد أدنى من الجهد النقدي. وشجرت بضرورة إيجاد منتج يضمن بالكتاب في جو من الأبداع لا تحده إلا الحرية، ويشجع على قيام حركة نقدية جديدة في الوطن العربي، انطلاقاً من مفهوم أن الكتاب هو القيمة الحضارية والرصيد الثقافي الذي تشكله هذه الأمة.

وعندما استعرضت المجلات الثقافية الصادرة في العالم العربي، اتضح لي أن أغلب هذه المجلات، تصدر عن مؤسسات رسمية أو وزارات أو اتحادات كتاب أو منظمات حكومية. وكلما جلست بنظري في المجلات الثقافية الصادرة كلما زددت اقتناعاً بضرورة إصدار مجلة تهتم بالكتاب ونقد الكتاب. إلى جانب أن إصدار مجلة ثقافية يعتبر أتمماً لنشر الكتب ودعماً لها، بدأ اليوم بعد حوالي الثلاث سنوات يعمل مردودها المائل والشجع.

واتضح لي أن من الممكن من خلال عملية النشر المستمرة التي نخوضها أن تصدر مجلة شهرية، وإن تغني مصاريفها عبر إيرادات الكتب. بالإضافة إلى أننا نشر حوالي ٥٠ كتاباً في السنة، فغرضنا من ذلك تصدر ٣٠ كتاباً مع مطبوعة شهرية، وهكذا صدرت الناقد في تموز عام ١٩٨٨.

وهناك من الظواهر في العالم العربي ما يجعلك تميد الفتة في أمور، كنت قد فقدت الفتة بها، والدنيا العربية ما زالت بخير. فنعلمنا عزمنا على إصدار الناقد وجهنا يائماً تأسيماً، وأرسلنا رسائل إلى حوالي ٤٠٠ كاتب عربي ندعوهم إلى المساهمة في هذا المشروع الجليل. وكانت أجمل المقابلات أن الأقال على الكتابة في الناقد فاق الجليل.



■ المهرجانات

في ربيع عام ١٩٨٧، توفي الشاعر يوسف الخال مؤسس مجلة شعر، الذي كان صديقاً عزيزاً لي. فطرح فكرة تكريمه، وهو الذي قضى فقيراً معدماً وصاحب أفضال كثيرة على العديد من شعراء اليوم. وترأى لي أن أفضل طريقة لتكريمه هي إقامة مهرجان للشعر العربي في أسبوع واحد، دعونا إليها جميعاً من الشعراء العرب من مختلف الأنساب والمدراس، بقرأ كل واحد منهم فيها قصيدة من قصائده، من دون أن يكون تائباً له أو مدحياً. أي أن يكون يوسف الخال هو الحصة التي تضم كل هؤلاء الشعراء، معتبراً أن إعادة الاعتبار إلى الشعر هي أفضل تكريم للشاعر. أي شاعر. ووجدنا بالإقبال الكبير على مهرجان الشعر العربي في حزيران عام ١٩٨٧. فقد نجل أماناً فجة ونحن في غربة المهجر أن الشعر لا يزال صنعة العرب رغم كل شيء، وأن الناس في لندن مستعدون لأن يملأوا ١٠٠٠ كرسي في قاعة، يستمعوا إلى الشعر ويصفقوا لبدعيه، ويتفاعلوا مع شراعه. وكان كل ذلك في ليلة واحدة، صاحبها كل هذا الضجيج.

حرك هذا العطش وتلك الحاسة للثقافة في عالم الاقتراب، شهوة المغامرة، لإقامة ما أسماه «أسبوع لندن الثقافي العربي» في غوز عام ١٩٨٨. فأقمنا معرضاً للكتاب العربي، شارك فيه ٧٠ ناشراً عربياً من مختلف الأقطار العربية، وعرضنا لفن الفريك العربي، شارك فيه ٢٧ فنناً عربياً من ١٧ قطراً. وأصبحت شعرة، شاركت فيها ثلاث فرق موسيقية من ثلاثة بلدان عربية. وكان معدّل الزوار لهذا المهرجان ١٢٠٠ زائراً يومياً وعلى مدى سبعة أيام، وهو رقم قياسي بالنسبة لمثل هذه الكثافة. وما قلناه هو أننا جمعنا في هذه العاصمة البعيدة ما لا يمكن جمعه في العالم العربي نفسه. فقد أحيينا فكرة الجاهزة الثقافية التي ينبغي أن تكون قاسماً مشتركاً لجميع العرب تحت مظلة واحدة، ولا سيما أننا مؤسسة خاصة ولست طرفاً، لا في الصراعات الأدبية ولا في الخلافات السياسية، فالهدف كان مجرد توفير لأجواء من الديمقراطية والحرية وبعيداً عن أي دور رسمي لأي حكومة أو منظمة أو سلطة أو جهة معينة.

■ الجوائز

فكرة نشر الشعر جاءت على أثر مهرجان الشعر العربي الأول في صيف عام ١٩٨٧، حين أعلنت الدار عن جائزة سنوية باسم وجائزة يوسف الخال للشعراء، تمنح لشاعر عربي شاب لم يسبق له أن نشر ديواناً من قبل. ونحت الجائزة للمرة الأولى لثلاثة شعراء جدد عام ١٩٨٨، وللمرة الثانية عام ١٩٨٩، حيث فاز بها ثلاثة شعراء آخرون. وأصبحت تقاليد الجوائز الأدبية المستقلة التي لا تأخذ بالاعتبار إلا حرية الإبداع وجودته. كذلك أعلنت والناقد عن جائزة للرواية باسم «جائزة النقاد للرواية». ونحت هذه الجائزة أيضاً لروائي عربي لم يسبق له أن نشر رواية من قبل، وقد أعلنت نتائجها للمرة الأولى في صيف العام ١٩٩٠. وفازت ثلاث روايات لثلاثة روائيين جرى تكريمهم وطبع رواياتهم.

لذلك اتحدت ميدان نشر الشعر الجديد، كما اتحدت ميدان نشر الرواية الجديدة. فأنا أعتر أن لي مهمة ثقافية. فكما غلبرت

بمشروع تجاري أردت أن أقدم ثقافياً. الفكرة هي طرح أسبوع جديد وتأهيلها من ثم للشهرة، مثلاً تأهيل غيرها من قبل. إنها عملية تخريص هؤلاء الشباب الذين يكتبون، بأن نقول لهم، إنه بالإمكان أن تنشر لهم، وعلى مستوى جيد، ويواجهوا بعد ذلك حظهم من النجاح أو الفشل. وكما نشرت ١٣ ديواناً لـ ١٣ شاعرًا أغلبهم غير معروف في السلسلة الشعرية الأولى التي صدرت عام ١٩٨٨، كذلك صدرت السلسلة الشعرية الثانية في خريف العام ١٩٨٩، وفيها مجموعات لـ ١٥ شاعرًا، بعضهم معروف وبعضهم غير معروف. كذلك صدرت الروايات الأولى من السلسلة الروائية الأولى بدءاً من نهاية العام ١٩٩٠، والمؤلفة من حوالي ١٣ رواية لروائيين عرب طالعين، والأساس فيها تلاقي الأعمار والتجارب المختلفة على أساس من الإبداع الصرف، معتبراً أن جزءاً من مهمتي الثقافية هو أن أتيح فرصاً للنشر الخلاق قد لا يتيسر في بي. والمفرد من وراء ذلك كله، في النهاية، خلق جلبة ثقافية تلتف الأنظار وتسكني روح النقد والتفكير. وفي الشعر والرواية لا أنشر أساساً للمعروفين، بل لأرغب في أن يجتني نص جيد بنض النظر عن اسم كاتبه. فأنا لا أبحث عن المعروف أو المشهور. لكن إذا جاني هذا كان ممتازاً، إلا أن النص في النهاية هو الذي يفرض نفسه، وعليك أن تورق له الفرصة الجيدة كي يرى النور. فالبسطة ليست وثقاً على الأسبوع اللاحق فقط.

■ الكتاب

الكتاب العربي ليس صغيراً ولكن الثقافي العربي بغيره. أما الأمانة الحقيقية للكتاب العربي، فتتضمن بكلمة واحدة مزدوجة: الحرية - الرقابة. إن حرية الكتاب كل لا يتجزأ. فإنا ندم الكتاب يعامل في العالم العربي، من القادة إلى اقتصاد، بمعاملة المخدرات، ويعامل مؤلفه بمعاملة المهرب، ويعامل ناشره بمعاملة الإرهابي، ويعامل قارؤه بمعاملة اللص، فلا أمل لهذا العالم العربي بأن يلدن بركب القرن الواحد والعشرين.

وعندما نذكر، كعرب مثقفين، أنه لا يفصل بيننا وبين القرن المقبل سوى عقد واحد من الزمن، لا نستطيع إلا أن نرفع ألباننا نضرباً حتى لا أقول استسلاماً - بأن نرأف بنا الرقابات العربية. والكتاب العربي مضطهد للفقراء، وعلى القارئ أن يقابل هذا الاضطهاد بالإقبال على شراء الكتاب والبصود في وجه المنع، حتى يعيد للقراءة متعتها وللكتابة نباهها، وحتى تبقى الحماشة للفلم والكتاب والإبداع.

■ العودة

المغامرة - الحلم الباقية هي البلد المبعجرة الملائكة بعد ١٦ سنة من الإقامة والعمل في لندن وأوروبا. العودة إلى الوطن. إلى أي مكان في الوطن العربي. العودة بالذات إلى دمشق وبيروت، إلى عاصمة القارئ، وعاصمة الكتاب. وأرجو من قُبل الأيام أن تحقق لنا حقبة التسعينات من القرن العشرين حلم العودة إلى أرض عربية من دون أسوار ووطن عربي من غير أسلاك.

لندن - خريف ١٩٩٠

تعال السلطة
الكتاب العربي
معاملة
المخدرات،
والمؤلف
معاملة
المهرب،
والناشر معاملة
الإرهابي،
والقارئ
معاملة اللص